دراسات في تاريخ الهند الإسلامية

دكتور محمد نصر عبد الرحمن

دراسات في تاريخ الهند الإسلامية

أ.د. محمد نصر عبد الرحمن

أستاذ التاريخ الإسلامي

جامعة الملك فيصل

٢٠١٨

فهرس المحتويات

تقديم	١-٢
مقدمة	٣-٥
القسم الأول: بحوث خاصة	
الأسطورة في المجتمع الهندي في العصور الوسطى ودلالاتها التاريخية	٧-٢٤
الحياة الاقتصادية في الهند في عصر بني تغلق	٢٥ -٥٧
العلاقات بين سلاطين دلهي والخلافة العباسية	٥٨- ٨٥
الجيش وتنظيماته في الهند في عصر بني تغلق	٨٦- ١٣٤
القسم الثاني: بحوث مترجمة	
مساهمة في التاريخ المبكر للإسلام في الهند	١٣٥-١٦٧
بدايات الدعوة الإسماعيلية في شمال الهند	١٦٨-١٩٠
الصعوبات التي واجتها السلطانة رضية في البداية وكفاحها ضد النبلاء	١٩١- ١٩٨
القضاء والحسبة والشرطة في سلطنة دلهي	١٩٩- ٢١٩

تقديم

باسمه تعالى ومباركته سررنا باستقبال النتاج الفكري الجديد للدكتور الزميل: محمد نصر عبد الرحمن والموسوم بـ (دراسات في تاريخ الهند الاسلامية)، والذي دون شك سيغني المكتبة العربية بمحتواه، ويكون عوناً للدارسين في حقل الدراسات التاريخية الآسيوية بعامة، والهندية بخاصة.

لا أخفي سعادتي الغامرة وانا أُكلَف بهذا التقديم لسببين: الأول يتعلق بشخصية الدكتور محمد الرائعة، فقد أصريتُ على نفسي أن أسجل شكري العميق له على الورق، كي يبقى مدوناً إلى يوم طي السجل للكتب، وفاءاً له بعد المجهود الذي قام به في تأسيس عدد من المجموعات العلمية التخصصية في مواقع التواصل الاجتماعي، ومساعدته للباحثين في ميدان تخصصه عبر مناقشة وطرح الآراء، أو عبر نشره لعشرات المراجع الهندية التي طالما تُقْنا شوقاً لمطالعتها. وقد بدا في ذلك المسعى واسع الصدر، عالي الهمة، كما سنرى همته في هذا الكتاب رغم ما عرفنا عنه من مسؤوليات علمية عالية المستوى. وهكذا فالفضل لأهل الفضل واجب علينا رده.

أما السبب الثاني فهو التحيز المشروع لنشر أي كتاب يقع في تخصص (الهنديات) إن جاز التعبير. فلعلي أعدُ هذا العمل جسراً آخر معبداَ لإدامة الصلات بين عالم الهند والبلاد العربية، خاصة إذا ما اطلعنا على محتواه الذي كان عميق التحليل، واضح الرصانة، أصيل الاعتماد، مفيداً للدراسين.

أخذنا الدكتور محمد عبر مؤلفه في جولة دسمة الى الهند الإسلامية، وحدثنا عن الجانب التراثي والاجتماعي فيها عبر بحثه (الأسطورة في المجتمع الهندي في العصور الوسطى)، وقد تتبع أثر الأسطورة وكيف أدت دوراً ووجدت لها مكاناً خصباً هناك، من خلال قصة چكروتي التي رصدت أهمية الوجود العربي في الهند.

ومن ثم نقلنا إلى البحث عن (علاقة سلطنة دلهي بالخلافة العباسية) التي طالما بقي السلاطين الهنود خلال عصر الأسر التركية الخمسة الحاكمة في دلهي يخطبون ودَها بوصفها رمز اً للعالم الإسلامي حينها، وهي الجهة الرسمية بإعطاء التفويض الشرعي للحكام. كما تطرق الكتاب الى (الحياة الاقتصادية في عهد بني

تغلق)، فهذه الأسرة تتوسط الأسر الخمسة وكانت أكثرها قوة وانتشارا، وقد أجاد المؤلف في تتبع مظاهر الحياة الاقتصادية في الهند خلال تلك الفترة، وأدرج نتائج مدونة في متن الكتاب.

ولم يغادر المؤلف هذه الأسرة دون أن يتناول طبيعة الجيش والنظام العسكري فيها ببحث آخر قيم، ركز فيه على الادارة العسكرية والتنظيم، وقد أعجبني دقة تناوله لديوان العارض الذي يعد وظيفة أساسية من وظائف الجيش الهندي في العصور الوسطى.

ومن ثم يعود المؤلف ليذكرنا ببدايات الفتح الإسلامي للهند من خلال بحث قام بترجمته هو (مساهمة في التاريخ المبكر للإسلام في الهند)، كما وتتبع بدايات (الدعوة الاسماعيلية في شمال الهند) ببحث آخر كنا بحاجة بالغة له نظراً لقلة الدراسات الواردة عنه.

هذا ولم ينته الكتاب دون اضافة نكهة حضارية أخرى؛ إذ ترجم فصلاً هاماً عن السلطانة رضية الدين) التي حكمت كأول امرأة في العالم الإسلامي، وعاصرت بل وسبقت شجر الدر في مصر. وكان مسك ختام الكتاب، فصل هام عن (دواوين النظم الادارية في سلطنة دلهي كالقضاء والشرطة والحسبة).

أخيراً .. أُحيي الدكتور محمد نصر وهو ينشر ثمرته الثانية هذه آمِلاَ منه مزيدا من العطاء العلمي الثري، وأتمثل له هاذين البيتين من الشعر:

العلم زينُ فكن للعلم مكتسباً وكن له طالباَ ما عشتَ مقتبساً

اركن اليه وثق بالله واغنِ به وكن حليماَ رزين العقل محترساً

الدكتور ياسر عبد الجواد المشهداني
أستاذ التاريخ الاسلامي المساعد
العراق – جامعة الموصل

مقدمة

استيقظ العالم صبيحة أحد أيام عام ٩٢هـ/٧١٠م على أخبار حملة إسلامية ضخمة غزت شمال الهند، وأصبحت هذه الحملة بعد الانتصارات الرائعة التي حققتها فاتحة لتواجد إسلامي في الهند استمر حتى مطلع العصور الحديثة. وما بين بدايات الفتح الإسلامي للهند في نهايات القرن الأول الهجري، حتى نهاية حكم المسلمين للهند بسقوط إمبراطورية المغول في نهايات القرن الثالث عشر الهجري، سطر المسلمون هناك تاريخاً حافلاً طيلة هذه الفترة. وبرغم الأهمية التي حازتها الهند في تاريخنا الإسلامي إلا أنها لم تحظ بقدر كاف من الدراسات العربية تعادل تلك الأهمية.

وقد مرت السنوات سريعة منذ أن جعلت من الهند قبلة لي ووليت وجهي شطر تاريخها، ورغم أن البداية كانت عسيرة شاقة، إلا أن شغفي بهذا العالم لم ينقطع واستمر طيلة عقدين من الزمن. ورغم أعباء الحياة الجامعية وانشغالي أحياناً ببعض الأبحاث في مجالات أخرى، فإنني سرعان ما كنت أعاود أدراجي لأغرق بين أوراقي الخاصة بالهند.

وخلال تلك الفترة أنجزت عدة أبحاث نشرتها في دوريات مختلفة، ثم خطر لي مؤخراً أن أقوم بإعادة نشرها في كتاب، خاصة بعد أن قمت بعمل تعديلات جذرية في بعضها، بعد أن توفرت لي بعض المصادر التاريخية التي لم تكن متاحة لي وقت العمل الأولي في هذه الأبحاث. ورأيت أن أضيف لهذه الأبحاث بعض المقالات الأجنبية التي قمت بترجمتها عن موضوعات متعددة من تاريخ الهند الإسلامية، حتى تكون عوناً للباحثين في هذا المجال، لعلمي بقلة الدراسات العربية المتخصصة في هذا المجال.

ويتناول الموضوع الأول من الكتاب بحثاً بعنوان (الأسطورة في المجتمع الهندي في العصور الوسطى ودلالاتها التاريخية)، حيث يستعرض الوجود العربي في الهند ودوره في نشر الإسلام في الساحل الغربي للهند. وارتباط هذا الدور بشخصية الملك الهندي چكروتى التي حملت مكانة خاصة لدي الهنود للتأكيد على أهمية هذا الدور.

وتناول الموضوع الثاني بحثاً بعنوان (الحياة الاقتصادية في الهند في عصر بنى تغلق)، وكان اختياري للكتابة عن الحياة الاقتصادية خلال تلك الفترة، باعتبارها تمثل نموذجاً فريداً في الدينامية والتنوع في التاريخ الاقتصادي للهند خلال عصورها الإسلامية.

وتناول الموضوع الثالث بحثاً بعنوان (العلاقات بين سلاطين دلهي والخلافة العباسية دراسة في الفكر السياسي لسلاطين دلهي)، حيث ناقش العلاقة الفريدة التي ربطت سلاطين دلهي بالخلفاء العباسيين في العراق، ثم في مصر بعد سقوط الخلافة في بغداد على أيدي المغول، وحاول هذا البحث سبر أغوار تلك العلاقة ونتائجها على الطرفين.

وقد تناول الموضوع الرابع بحثاً آخر عن أسرة آل تغلق بعنوان (الجيش وتنظيماته في الهند في عصر بني تغلق)، حيث استعرض بناء الجيش الهندي خلال أزهى فترات قوته العسكرية، من حيث قيادته ورتبه العسكرية، وعناصر جنوده، وأهم الأسلحة والخطط الاستراتيجية.

وفي القسم الثاني من الكتاب هناك أربع موضوعات مترجمة عن اللغة الإنجليزية؛ الموضوع الأول هو ترجمة لمقال عن (التاريخ المبكر للإسلام في الهند)، ويناقش هذا المقال القضايا المتعلقة بانتشار الإسلام في الهند في الفترات المبكرة، والعلاقة بين الفاتحين العرب والسكان الهنود، وأسباب اعتناق الهنود للإسلام.

والموضوع الثاني هو ترجمة لمقال عن (بدايات الدعوة الإسماعيلية في شمال الهند)، حيث يرصد تخطيط الفاطميين لإقامة إمارة لهم في شمال الهند، ونجاحهم في ذلك، وتاريخ هذه الإمارة حتى سقوطها على يد سلاطين دلهي.

والموضوع الثالث هو ترجمة لفصل من كتاب الكاتب الهندي اشتياق قريشي عن الإدارة في عصر سلاطين دلهي، وهو بعنوان (القضاء، والحسبة، والشرطة)، ويتناول الفصل كما يبدو من عنوانه القضاء ودواوينه، والحسبة وأهميتها، وأخيراً نظام الشرطة ودوره في عصر سلطنة دلهي.

ونختتم الموضوعات المترجمة بفصل من أطروحة دكتوراه لباحثة هندية عن السلطانة رضية وخلفائها، وهو بعنوان (الصعوبات المبكرة التي واجهتها رضية وصراعاتها مع النبلاء)، ويتناول أبرز الصعوبات التي واجهتها السلطانة

رضية حين تولت حكم الهند، وكيف واجهت تمرد النبلاء الذين رفضوا حكمها وتمكنت من كسر شوكتهم.

وبعد، فهذا مبلغي من العلم فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي، والله ولى التوفيق.

محمد نصر عبد الرحمن

الهفوف ٢٠١٨

الأسطورة في المجتمع الهندي في العصور الوسطى
ودلالاتها التاريخية
(قصة چكروتي فرماض نموذجاً)

الأسطورة في المجتمع الهندي في العصور الوسطى ودلالاتها التاريخية
قصة چكروتي فرماض نموذجاً [١]

كثيراً ما نصادف في بعض نصوص مؤرخي العصور الوسطى بعض الروايات التي يغلب عليها الطابع الأسطوري ويكتنفها الغموض، مما يجعلها في بعض الأحيان مستعصية على الإدراك وعسيرة على التحليل. وعادة ما نقابلها بنوع من الازدراء وعدم التفهم، ويكون مصيرها الإهمال نتيجة قناعاتنا الأثيرة بأنها مجرد روح العصر التى تأثر بها واضع النص. ولا ينبغى علينا أن نهمل هذه الروايات لأن الأساطير في حقيقتها قصص كبرى أنتجتها كل حضارة لتصوغ من خلالها رؤى تفسر ما حولها. وقد تكون هذه الأساطير خيالية لكنها قد تستند إلى بعض الوقائع التاريخية، وتتضمن بعض الأسماء والأمكنة الحقيقية، ثم تنسج حولها القصص. وعلى هذا وبرغم أن هذه الروايات يغلب عليها الطابع الأسطوري فإنها تمثل أحد الأركان الهامة للنص التاريخي، وهي في جوهرها عبارة عن ترميز النفاذ إليه يكشف لنا عن عمق الدلالة الحقيقية للنص. وبالتالى فنحن بحاجة لرؤية وطرائق جديدة في معالجة وفهم تلك النصوص.

وفى هذا المجال اخترت أحد النصوص التاريخية، وبعض النصوص الأخرى المتعلقة به، والتى تناولت رواية لاعتناق أحد الملوك الهنود للإسلام لكي نطبق عليها هذه الرؤية. ويرجع هذا الاختيار لعوامل عدة؛ لعل أهمها هو أن المجتمع الهندي خلال العصور الوسطى ازدهرت فيه الأسطورة ازدهاراً خصيباً حتى أصبح التنجيم والتنبؤ بالغيب والقديسين وغيرها من الأمور جانباً واحداً من الصورة التاريخية التي تمثل الهند [٢]. بجانب تعدد النصوص التاريخية المتعلقة بتاريخ الهند، والتي تحمل في جوانبها العديد من الروايات الأسطورية، والتى جرى تفسيرها من زاوية واحدة لحمتها التشكيك في محتوى تلك النصوص، وسداتها عدم الاكتراث بمحتواها.

---

[١] نشر النص الأصلي لهذا المقال في مجلة حوليات إسلامية، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، العدد ٤١، ٢٠٠٧، ص١٢٧-١٤٠.

[٢] عن الأساطير الهندية وطبيعة المجتمع الهندي في هذا المجال انظر: ول ديورانت، قصة الحضارة، مج٢، الهند وجيرانها، ت. زكي محمود، القاهرة ٢٠٠١، ص٢٢١ وما بعدها؛
Vaudeville, Ch., *Myths, saints and legends in medieval India*, (Oxford, 1996).

فقد نُظر لهذه النصوص نظرة أحادية الجانب دون التعمق في دلالاتها، ودون أن تضاف للمعادلة التاريخية عوامل أخرى تتعلق بطبيعة المجتمع الهندي وخصوصيته. لذلك علينا هنا أن نقف أمام هذا النصوص ونرسم لها فضاءً آخر لأن النص التاريخي هنا كالكائن الحي، لا يمكن حصره أو تحديده داخل حدود صارمة، فذلك لا يؤدي إلا إلى تشويه النص وإفقاره وبتره وتجريده من ثرائه وتعقيده. وبوجه عام يبدو منظورنا المنهجي هنا واضحاً في سعيه لتحليل الفرضيات، والإشكاليات المطروحة تحليلاً مضمونياً أو موضوعاتي، واتخاذ الرؤية التعددية للنص عصاً نتوكأ عليها في محاولة لاستجلاء الحقيقة التاريخية.

ونصنا عبارة عن رواية وردت في مصنفين عربيين، المصنف الأول كتبه مؤرخ غير معروف يدعى (محمد بن مالك) [٣]، ويحمل عنوان: (ظهور الإسلام في مليبار) [٤]؛ والمصنف الثاني مجهول المؤلف [٥] يحمل عنوان (قصة چكروتي فرماض[٦]، وهو مروي على لسان محمد بن مالك أيضاً، والمصنفان يرويان قصة

---

[٣] محمد بن مالك: هو محمد بن مالك بن حبيب، ووالده مالك بن حبيب أحد الشخصيات المحورية في الرواية، إذ إنه كان أحد أفراد الوفد العربي الذي سافر للهند بناء على وصية الملك الهندي. راجع مزيد من التفاصيل لاحقاً.

[4] Mohammad b. Malik, *Tarikh zuhur al-Islam fil-Malibar*, Trans. Muhammad Abdul-Karim, (Centre of souvenir sciences, Kondotti 1988), p.30.

ومليبار كانت تسمى قديماً كيرلم Karalam وهي صورة محرفة لكلمة چيرلم Charalam أو چيرل بمعنى سلسلة الجبال. وكلمة مليبار أطلقها المسلمون على الساحل الجنوبي الغربي للهند، وهي مكونة من مقطعين: مالي Mali بمعنى جبل، وبار Bar بمعنى بلد. انظر:

Nadvi, S., "Muslim colonies in India before the Muslim conquest", ***Islamic Culture*** 8, 1934, p.481

[٥] مجهول، قصة شكروتي فرماض، نسخة المكتب الهندي رقم (MS.Loth 1044)، الأوراق ٨١ب – ١٠٤ب، نسخة المتحف البريطاني رقم (BM Ms. Or. 1738)، الأوراق ٧١ب–٩٣ب. نشر يوحنا فريدمان:

Israel Oriental Studies V, (1975), p. 246-257.

[٦] وشكروتي مصطلح يعني الملك أو الإمبراطور، انظر: عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، القاهرة ١٩٥٩، ص٦٤؛ وفرماض ربما كان تحريفاً لاسم بيرومل Perumal، انظر:

Friedmann, Y., "Qissat Shakrawati Framad. A tradition concerning the introduction of Islam to Malabar", ***Israel Oriental Studies*** V, 1975, p. 246.

إسلام أحد الحكام الهنود من آخر ملوك أسرة چيرا، ويدعى چيرامين بيرومل Cheramen Perumal[٧] من منطقة ساحل مليبار على الساحل الغربي للهند.

تقديم الرواية

تبدأ أحداث تلك الرواية ببعثة النبي ﷺ، ودعوته لقبيلة قريش للدخول في الإسلام، ثم تمضي القصة لتحكي كيف حارت قريش في أمر النبي وعجزت عن مواجهة دعوته، وتفكيرها في الاستعانة بأحد سادات العرب ويدعى (حبيب بن مالك) لنفوذه وعلمه بالأديان، فأعدوا وفداً منهم لزيارته في يثرب، وقد رحب حبيب بهم ووعدهم بالتصرف في الأمر. وبالفعل عزم حبيب على التحرك لمكة ومقابلة النبي لمعرفة أمره، وفى مكة كان اللقاء وطلب حبيب من النبي أن يأتى بمعجزة تؤيد نبوته كما فعل الرسل من قبله، وأن تكون المعجزة هى انشقاق القمر، وخلال ذلك هبط جبريل على النبي وطمأنه بأن المعجزة ستتحقق حتى ينصره الله على مكذبيه، وبالفعل انشق القمر [٨] فآمن حبيب ومن معه، ثم عادوا إلى يثرب.

ولم يكن حبيب ومن معه هم من شاهد هذه المعجزة فقط، بل شاءت الأقدار أن يرى هذه المعجزة سلطان مليبار وكان يدعى چكروتى، ثم تمضي القصة لتروى لنا كيف حيرت هذه الظاهرة العجيبة لب الملك الهندي، وجعلته يطلب من كهنته تفسيرها لكنهم عجزوا عن تأويلها، وبعد فترة تمثل النبي له في منامه وفسر له ما رآه بخصوص انشقاق القمر. وخلال تلك الفترة قدم على بلاده

---

[٧] هو آخر ملوك أسرة چيرا Chera التي حكمت مليبار، ومعنى كلمة چيرامين ملك من أسرة چيرا، وبيروميل اسمه الخاص. انظر: محي الدين الألوائي، مابلا، مجلة ثقافة الهند، سبتمبر ١٩٥٥، ص٣٤.

[٨] وردت تلك المعجزة في قوله تعالى: " اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ "، آية (١) – سورة القمر. كما وردت بعض الأحاديث النبوية الشريفة عن تلك المعجزة، ومنها ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقين حتى نظروا، فقال رسول الله اشهدوا). رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب: باب سؤال المشركين أن يريهم النبيُّ ﷺ آيةً، فأراهم انشقاق القمر؛ ومسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب انشقاق القمر. وللمزيد عن هذه المعجزة انظر: البيهقي، دلائل النبوة، ج١، القاهرة ١٩٧٠، ص٩٥-٩٦؛ السيوطي، الخصائص الكبرى، ج١، حيدر آباد، ١٣١٩هـ، ص١٢٥-١٢٦؛ القسطلاني، المواهب اللدنية في المواهب المحمدية، ج١، ١٢٨١هـ، ص٤٦٨؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، بيروت ١٩٤٠، ص٢٤٥.

جماعة من اليهود والنصارى من شبه الجزيرة العربية، وعلم منهم بظهور رجل يسمى محمد بن عبد الله وأنه يقول بالنبوة فعلم أن رؤيته حقيقية، ولكن لم يظهر ذلك لما رآه منهم من عداوة للنبي.

وكان من عادة بعض العرب المرور بأرضه سواء للتجارة أو زيارة قدم آدم في جزيرة سيلان [٩] فأنتظر حتى أقبل على بلاده أحد الوفود العربية المتجهة إلى جزيرة سيلان، فأرسل في طلبهم، وقد أظهر كبير الوفد وكان يدعى (الشيخ ظهير الدين) من الوقار والعلم ما جعل چكروتى يفضي إليه برؤياه، وهنا قص عليه الشيخ أمر النبي وارتباط المعجزة به، ونجح في استمالة چكروتى للإسلام، وقرر الأخير زيارة النبي في المدينة ومرافقة الوفد العربي عند إيابه من جزيرة سيلان.

وبعد أن رتب الملك أمور مملكته رحل في سرية تامة صوب شبه الجزيرة العربية، وعند وصوله استقبله النبي ورحب به وأعطاه اسماً جديداً هو (تاج الدين الهندي المليباري) بعد أن اعتنق الإسلام. وفى حضرة النبي تعرف چكروتى على حبيب بن مالك وأخيه شرف، وأخيه من أمه مالك بن دينار، وارتبط بهم ارتباطاً وثيقاً حتى أنه تزوج أخت مالك، وعند عودته لبلاده اصطحب معه شرف، ومالك، ومالك بن حبيب وأبنائهم.

وأثناء رحلة العودة وأثناء توقفهم في منطقة الشحر [١٠] جنوب اليمن مرض چكروتى مرضاً شديداً، ولما أحس بدنو أجله كتب وصيته بالخط المليباري، وطلب من رفاقه أن يواصلوا رحلتهم إلى الهند، وأن يسلموا الوصية لنائبه على

---

[٩] جاء في بعض المصادر التاريخية أن آدم بعد أن هبط من الجنة كان هبوطه على جزيرة سيلان جنوب الهند، وأن هناك أثراً لقدمه على أحد جبال تلك الجزيرة. كما ذكر القزويني حديثاً غريباً ضعيفاً في بابه عن النبي ﷺ يقول: (خير بقعة ضربت إليها آباط الإبل مكة ومسجدي هذا والمسجد الأقصى وجزيرة سرنديب (سيلان)، فيها نزل أبونا آدم). انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦٠، ص١٢١-١٢٦؛ ابن خرداذبه، المسالك والممالك، نشر دي غويه، ليدن ١٨٨٩، ص٦٤؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت ١٩٦٠، ص٣٤.

[١٠] الشِحْر: هي ساحل اليمن الممتد حتى عمان. انظر: البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج٣، تحقيق مصطفى السقا، بيروت ١٤٠٣هـ، ص٧٨٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، بيروت (ب.ت)، ص٣٢٧.

مملكته حتى يكرم وفادتهم، وبعدها أسلم چكروتى الروح في اليوم الأول لهجرة النبي من مكة إلى يثرب، وتم دفنه في الشحر [١١].

ويبدو أن شرف ومالك بقوا هناك لفترة حيث تطايرت الأخبار بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم مما جعلهم يعودون للمدينة ولم يكملوا رحلتهم للهند. ثم رأى مالك بن حبيب النبي في رؤية وطلب منه تنفيذ وصية چكروتى، لذلك سرعان ما جمع معه عميه شرف ومالك بن دينار وعائلاتهم وتوجهوا صوب الهند، ووصلوا ساحل مليبار عام ٢١هـ/٦٤٢م، حيث حط الركب رحاله في مليبار وهناك أكرم الحاكم وفادتهم بعد أن سلموه الوصية، بل ومنحهم بعض الأراضى لإقامة مسجد وما يلزمه من أوقاف، ثم توغل مالك بن حبيب مع أسرته بعد ذلك في مليبار فاتجه لكولم Kawlam[١٢] وبنى فيها مسجداً، وجعل ابنه قاضياً للمسلمين هناك، ثم واصل مسيرته في باقي مدن مليبار وبنى فيها ١١ مسجداً، ثم أدركه الموت عام ٢٤هـ/٦٤٥م[١٣]، أما مالك بن دينار فقد قرر السفر إلى اليمن لزيارة قبر چكروتى، ومنها قفل عائداً نحو العراق حيث توفته رسل الموت هناك.

روايات أخرى للأسطورة

وإلى هنا تنتهى روايتنا؛ وقبل أن نتعمق في أحداثها يهمنا أن نشير أن لتلك القصة مثيلاتها في المصادر التاريخية الأخرى؛ فهناك مصدر تاريخي متأخر[١٤] يرجع للقرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي يتناول نفس الأحداث، ويذكر هذا المصدر أن ملك مليبار أرسل في طلب وفد من المسلمين كان ماراً ببلاده في طريقه لسيلان لزيارة قدم آدم، وأنه استفسر منهم عن النبي،

---

[١١] عن مقبرة چكروتي انظر:

Miles, S., *The countries and tribes of the Persian gulf*, (London, 1919), p. 552-554.

[١٢] هي ميناء جنوب ساحل مليبار، وتعرف الآن باسم كويلون Quilon. ولمزيد عنها انظر: القزويني، آثار البلاد، ص١٠٦-١٠٧؛

Nainar, N., *Arab geographers' knowledge of Southern India*, (Madras 1942), p.44-45.

[١٣] وقبره معروف الآن في شمال مليبار باسم قبر سيدنا مالك. انظر: عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص٦٣.

[١٤] زين الدين المليباري، تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين، تحقيق حكيم شمس الدين قادري، حيدر آباد (ب.ت)، ص١٣-١٧.

وأن شيخهم حدثه عن سيرة النبي ومعجزة انشقاق القمر مما جعل الملك يعتنق الإسلام ويعزم الرحيل مع هذا الوفد بعد عودته من سيلان لكى يتشرف بزيارة النبي ... ثم تمضى أحداث الرواية لتذكر نفس أحداث روايتنا السابقة بصورة مختصرة ، ويختتم مصدرنا روايته بقوله : "وليس لهذا الرأي سند واضح والرأي عندي أن هذه الواقعة كانت بعد القرن الثاني الهجري".

ومن الواضح أن صاحب هذا المصدر قام بتلخيص رواية محمد بن مالك وإن لم يقتنع ببعض أحداثها ووقوعها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، واختلف مع روايتنا السابقة في مداها الزمني حيث رجح تاريخ وقوعها في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، ويرفض بالتالي أن يكون هذا الملك قد قابل النبي، أو أن تلك الأحداث ترجع لعهده، كما أنه ذكر أن اسم هذا الملك هو الساموري[١٥]. والملاحظ أن هذا المصدر اعتمد تفاصيل الرواية الأولى لكنه نسبها إلى فترة لاحقة دون أن يحلل ذلك، ولم يجهد نفسه في مناقشة الرواية نفسها؛ فإذا كان قد رفض أن تكون الرواية وقعت في عهد النبي، فإنه لم يوضح سبب اتجاه الملك الهندي إلى شبه الجزيرة العربية، كما لم يقدم تفاصيل أخرى تبرر افتراضه.

ولدينا رواية أخرى في مصنف يدعى (رحلة الملوك) تتناول تلك الأحداث ولكن بتفاصيل جديدة هذه المرة [١٦]؛ وتذكر الرواية أن اعتناق چيرامين بيرومل للإسلام كان بسبب راجا ذيبة المهل (جزر المالديف) ، الذي كانت له صلات تجارية بالعراق، وتربطه أيضاً صداقة بچيرامين بيرومل. وكان الراجا يعرف الصوفي البصري الشهير مالك بن دينار، وحصل منه على كتاب يروى معجزات النبي ومنها معجزة انشقاق القمر، وقد قرأ الراجا على چيرامين ووزيره كريشنا هذا الكتاب، وكان من أثر ذلك أن أبدى الثلاثة اهتماماً كبيراً بالإسلام، وقرروا أن يقوموا بزيارة سرية للجزيرة العربية وزيارة قبر الرسول في المدينة. وفى تلك الأثناء كانت زوجة بيرومل ترغب في إقامة علاقة غير شرعية مع كرشنا، فلما أعرض عنها اتهمته بالتحرش بها، وقد صدق بيرومل روايتها الملفقة وأصدر حكمه بإعدام

---

[١٥] ساموري، ساموتري، تاموري، تاموتري، هي صور محرفة لكلمة ساموري ومعناها ملك البحر. انظر: محي الدين، مابلا، ص٣٤.

[16] Umar b. Muhammad Suhrawardi, *Rihlat al-Muluk*, Mal.trans. Muhammad Abdul-Karim, (Centre of souvenir sciences, Kondotti 1988), p.20-22.

وزيره، لكن الوزير قام بالفرار بعد أن ترك رسالة للملك يشرح له فيها حقيقة الموقف.

وتمضى الأحداث باعتناق الوزير والراجا للإسلام، ثم تحقق چيرامين من كذب زوجته وعزمه السفر للمدينة لينسى تلك الأحداث. وبالفعل جهز نفسه للرحيل مع ابن أخته الأمير كوهنور، ولحق به وزيره كريشنا وسافر ثلاثتهم معاً عام ٨٢هـ/٧٠١م في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك !!ثم وصلوا البصرة حيث كان في انتظارهم مالك بن دينار، ثم تحركوا من البصرة للمدينة وظلوا بها ١١عام وفى عام ٩٤هـ/٧١٣م عادوا إلى مليبار، وفى طريق العودة مرض چيرامين وتوفى في الشحر بساحل اليمن ودفن هناك. ثم أكمل كوهنور الذي بدل اسمه بعد إسلامه إلى صفى الدين محمد ومعه مالك بن دينار ومعهم بعض أقارب مالك وآخرون من البصرة، حيث استقروا في مليبار وبنوا هناك ١١ مسجد.

وفى هذا النص نجد اختلافاً جزئياً في بنيته عن النصوص السابقة وإن تشابهت بعض الشخصيات والأحداث؛ فچيرامين هنا لم يقابل النبي أو شاهد المعجزة، وإن كان قد سافر بالفعل للجزيرة العربية واعتنق الإسلام وتوفى في طريق عودته باليمن. كذلك اختفت شخصيات وظهرت شخصيات أخرى، فقد اختفت شخصية مالك بن حبيب إحدى الشخصيات الرئيسية في نصنا الأصلي، وظهرت شخصيات أخرى مثل راجا ذيبة المهل، والوزير، والأمير كوهنور، كما ظهر دور مالك بن دينار بصورة أساسية في هذا النص. وبغض النظر عن الاختلاف في بعض الأحداث والشخصيات يبقى الخط الأساسى للرواية وهو رحلة چيرامين واعتناقه الإسلام، والتأكيد على معجزة انشقاق القمر حتى وإن لم يشاهدها الملك كما في نصنا الأصلي، وعودة الوفد العربى إلى مليبار وبناء المساجد هناك هو الخط الذي يهمنا في تلك الرواية.

ولم تكن المصادر الإسلامية هى الوحيدة التى تناولت هذه الأحداث، بل كانت هناك إشارات قريبة منها في بعض المصادر الهندية غير الإسلامية، ففي الحوليات التاريخية لمملكة چيرا Keralopathi [١٧] نجد أن هناك إشارات عن وجود ملكين من مملكة چيرا قاما بزيارة مكة؛ الملك الأول هو بالى بانا بيرومل

(17) Gunderr, H., *Keralopathi*, Balan publications, (Trivandrum, 1961), p.32.

Bali Bana Perumal، والثانى هو چيرامين بيرومل. وإن كانت الحوليات قد اختلفت في ذكر التفاصيل؛ فالملك الأول ذكرت أنه ذهب لمكة واعتنق البوذية !! وهو أمر غريب فما جدوى زيارته لمكة إذن؟ والثانى ذكرت أنه توجه لمكة عام ٣٣٢هـ، وهو تاريخ بعيد حتى عن عهد النبي وبعثته التى تمت بعد عام600 م.

وقبل أن نتصدى لنصنا الأساسي وصورته المتغيرة في النصوص الأخرى، ربما يجدر بنا الوقوف قليلاً عند رواية أخرى قصيرة لها دلالات قد تفيدنا في رؤيتنا المنهجية، والرواية تحكي أن أهل جزيرة سيلان حين سمعوا عن النبي بعثوا للجزيرة العربية أحد أفضل رجالهم ومعه غلامه لكي يستطلع الأمر ويتحقق من صدق نبوته. لكن هذا المبعوث لم يصل الجزيرة العربية إلا في عهد عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ/٦٣٤٦٤٤م)، ولم تحدد الرواية الأسباب التى أعاقت هذا الرجل عن الوصول مباشرة. وقد أعجب الرجل بما سمعه عن النبي وخليفته أبا بكر الصديق وما لمسه من عدل وتواضع عمر بن الخطاب .وفى طريق عودته قضى نحبه في مكران [١٨]، فتكفل الغلام بنقل تفاصيل تلك الرحلة لأهالى سيلان، مما كان له كبير الأثر في حبهم للإسلام والمسلمين [١٩] واعتناق راجا سيلان للإسلام [٢٠]. ونلاحظ أن الرواية الأخيرة تتشابه مع نصنا الأساسى من حيث الهدف من الرحلة، وهو زيارة النبي والتعرف إليه؛ كذلك موت الشخصية الرئيسية في الروايتين وتكفل المبعوث بمهمة نقل الرسالة، وتقارب مكان هذا الموت.

موقف المؤرخين من الرواية

ونعود مرة أخرى إلى نصنا الرئيسي؛ ونبدأ برؤية المؤرخين المحدثين له حيث انقسموا لفريقين؛ فريق يرفض الرواية جملة وتفصيلاً، وآخر يقبلها ولكن مع

---

[١٨] تقع مكران في الجنوب الشرقي لإيران. ولمزيد عنها انظر: المستوفي، نزهة القلوب، بسعي واهتمام لسترانج، لندن ١٩١٩، ص١٤١؛ دهخدا، لغت نامه، تهران ١٣٣٦ش، ص٩٩٠؛
Holdish, S., "Notes on ancient and medieval Makran", ***Geographical Journal***, 1896, p.387-405.

[١٩] بزرك بن شهريار، عجائب الهند بره وبحره، ليدن ١٨٨٦، ص١٥٦-١٥٧؛ عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص٦٩-٧٠.

[٢٠] فرشته، تاريخ فرشته، ج٢، تصحيح محمد رضا نصيري، تهران 1393 ش، ص٣١١؛
Nadvi, Muslim colonies, p.478.

التحفظ على بعض أحداثها وعلى الفترة التى وقعت فيها. والفريق الأول [٢١] يرى أنه لا يوجد دليل ملموس على صحة هذه الرواية التاريخية لغلبة الطابع الأسطوري عليها، ولأن الكثير من تفاصيلها تحوم حوله الشبهات، بجانب أن الشخصيات التي ذكرت بها لا يدعمها التاريخ، ويرى أن چيرامين ليس اسم ملك بل مجرد لقب ملكي، وأن اسم (ظهير الدين) اسم غريب ولا يمكن أن يكون مسماه معاصراً للملك المزعوم في الثالث الهجري، إذ أن كلمة (الدين) لم ترد في أسماء المسلمين إلا في القرن الخامس الهجري.

على الجانب الآخر، يرى البعض [٢٢] أنه لا يوجد سبب لرفض رواية زيارة ملك چيرا لمكة واعتناقه للإسلام، مبرراً قوله بأن هذه الأحداث لم تذكر في المصادر الإسلامية فقط، بل في بعض الحوليات الهندية. وهناك من يقبل صحة بعض تفاصيل الرواية [٢٣]؛ مثل قدوم بعض العرب لمليبار، وبرر قدومهم لبلاط الملك المليبارى بأنه جاء بناء على دعوة شخصية من الملك من أجل التعرف على الدين الإسلامي، وإن كان يرجح أن أحداث الرواية وقعت بعد وفاة النبي بفترة قليلة. ويؤيد الألوائي [٢٤] رواية زين الدين المليباري، ويرى اعتماداً على بعض الدراسات المقارنة أن الملك غادر مليبار إلى شبه الجزيرة العربية عام ٢١٠هـ/٨٢٥م، وأنه وصلها عام ٢١٢هـ/٨٢٦م، ثم توفي هناك بعد أربعة سنوات، ثم وصل مالك ورفاقه إلى مليبار بعد سنتين من وفاته. لكن هذا التحديد الزمني لا يوجد ما يؤكد حقيقته بشكل قاطع حتى الآن.

وهناك من الباحثين من لم يهتم بأحداث الرواية بقدر الاهتمام بدلالاتها؛ فقد استنتج البعض أن المغزى من الرواية هو إظهار أن الأسرة الحاكمة في مليبار انتهت بإسلام ملك يحمل لقب بيرومل ثم تم عزله[٢٥]، كما رأى أحد

---

[٢١] أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ت. حسن إبراهيم حسن وآخرون، القاهرة ١٩٤٧، ص٢٢٦؛ تاراشند، الثقافة الهندية ووصول المسلمين للهند، مجلة ثقافة الهند، مارس ١٩٥٠، ص٢٦؛ أبو الصلاح، كيرلة القديمة والعرب، مجلة ثقافة الهند، يناير ١٩٦٢، ص٩.

[22] Narayanan, M., *Perumals of Kerala*, (Trivandrum, 1972), p.65.

[23] Zahoor, *Chakrawati Framas, king of Malabar, India*: http://www.cyberistan.org/Islamic/Farmas.htm

[٢٤] محي الدين الألوائي، مابلا، ص٣٧.

[25] Innes، M., *Malabar and Anjengo*, (Madras, 1906), p.436.

الباحثين[٢٦] أن الرواية تعبير عن رغبة المسلمين الهنود في إظهار أن دخولهم في الإسلام تم في فترة مبكرة من التاريخ الإسلامي؛ وأن مؤلف هذا النص التاريخي أراد أن يثبت أن اعتناق الهنود للإسلام في البداية لم يقتصر على الطبقات الدنيا التي كانت ترغب في تحسين أوضاعها في ظل الدين الجديد، وإنما اعتنقه الملوك أيضاً. أو أنها تحمل الدليل على طابع المسالمة الذي اتسمت به مؤثرات نشر تعاليم الإسلام في الهند [٢٧]. أو أن بداية انتشار الإسلام واستقرار المسلمين كان في ساحل مليبار [٢٨].

وهكذا كان النص التاريخي الوارد في مصنف محمد بن مالك والمصدر المجهول، وما حواه من تفاصيل بدت أسطورية في غالبها مثار جدال بين المؤرخين المحدثين، مابين رافض للرواية جملة وتفصيلاً، وبين قابل لها ولكن مع الخلاف حول زمن وقوعها.

تقييم الرواية

سيكون تعاملنا مع هذه الرواية من جانبين؛ الأول يتعلق بمدى صحة أحداثها، والثاني التعمق في دلالات هذا النص التاريخي وما يحمله من إشارات وذلك في ضوء ثلاثة محاور؛ الأول يتناول الدور العربي في هذه الرواية، والثانى معجزة انشقاق القمر ومكانتها في التراث الهندي، والثالث شخصية چيرامين بيرومل ومكانتها في التراث الهندي.

وبداية فيما يتعلق بصحة الأحداث الواردة في الرواية نجد الكثير من الثغرات التاريخية، ولا نجد سنداً تاريخياً لهذه الأحداث في المصادر التاريخية المؤرخة لتلك الفترة أو حتى في كتب السنن والسيرة النبوية [٢٩]، وذلك باستثناء ما

---

[26] Friedmann, *Qissat Shakrawati*, p.245.

[٢٧] أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص٢٢٦؛

Titus, M., *Islam in India and Pakistan, a religious history of Islam in India and Pakistan*, (Calcutta, 1959), p.38.

[28] Alawy, A., The role of the Arabs in the spread of Islam in India, ***Minbar al-Islam*** 4, 1964, p.54.

[٢٩] انظر على سبيل المثال: البخاري، الجامع الصحيح المختصر، بيروت ١٩٨٧؛ أبو عبد الله القزويني، سنن بن ماجة، بيروت (ب.ت)؛ ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، القاهرة ١٩٣٦؛ حسين مؤنس، دراسات في السيرة النبوية، القاهرة ١٩٨٨.

ورد في مستدرك الحاكم [٣٠] عن أبى سعيد الخدري أنه قال: " أهدى ملك الهند إلى الرسول ﷺ جرة فيها زنجبيل فأطعم أصحابه كل منهم قطعة وأطعمني منها قطعة ". وهذه الإشارة وإن كانت غامضة، إلا أنها تبدو على الأقل دليلاً على وجود صلة بين النبي وأحد ملوك الهند.

وكذلك فإن الشخصيات الواردة فيها لا يوجد لها ذكر تاريخي باستثناء شخصية مالك بن دينار [٣١] الذى نعرفه كواحد من أشهر متصوفة البصرة، والذى عاش في أواخر القرن الأول وبدايات القرن الثاني الهجري، وبالتالي لم يثبت زمنياً تواجده في كلا الفترتين اللتين ذكرتا عند محمد بن مالك والمصدر المجهول أو زين الدين المليباري، بجانب أنه لم يثبت تاريخياً أنه سافر إلى الهند أو كانت له صلة بهذه الأحداث، وحتى رواية «رحلة الملوك » التي أعطت لمالك بن دينار دوراً أساسياً في الأحداث ليست دليلاً حاسماً على زيارته للهند.

كما تظهر عدة متناقضات في جوهر النص نفسه خاصة في التواريخ المذكورة به؛ فالمفترض في النص الأصلي أن زيارة چكروتى تمت قبل هجرة النبي إلى يثرب، وأن عمر النبي وقتها كان 57 سنة، كما أن وفاة چكروتى بعدها كانت يوم هجرة النبي وهو أمر غير صحيح وفقاً للسيرة النبوية، فقد هاجر النبي إلى يثرب عام 622 م، وعمره 51 عاماً [٣٢].

وبرغم ذلك تبقى دلائل وقوع هذه الأحداث قوية، ولعل ما يدعم ذلك أن شخصية چكروتى من الشخصيات المشهورة في الفلكلور المليباري[٣٣]. وتذكار

---

[٣٠] أبو عبد الله الحاكم، المستدرك، ج٤، حيدر آباد (ب.ت)، ص٣٥؛ المباركبوري، العرب والهند في عهد الرسالة، القاهرة ١٩٧٣، ص١١١.

[٣١] مالك بن دينار البصري: عالم زاهد عاش في البصرة وتوفي عام ١٣١هـ. لمزيد عنه انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٤، بيروت ١٩٧٧، ص١٣٩-١٤٠؛
Arberry, J., *An introduction to the history of Sufism*, (Oxford, 1962), p.26-31; Nickolson, A., *Studies in Islamic Mysticism*, (Cambridge 1967), p. 89-90.

[٣٢] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، تحقيق أبو الفدا عبد الله القاضي، بيروت ١٩٩٥، ص٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣، بيروت ٢٠٠١، ص١٧٧؛ حسين مؤنس، دراسات في السيرة النبوية، ص٤٦.

[٣٣] عن مكانة چكروتى في الفلكلور المليباري انظر:
Fawcett, F., "War songs of the Mapillas of Malabar", ***Indian Antiquary*** XXX, 1901, p.449-508,528-537.

هذا الحادث كان حياً في مليبار حتى وقت قريب، فعندما كان حاكم مليبار يعتلي العرش كانوا يحلقون له رأسه ويكسونه كواحد من المسلمين، ويُتوجه رجل مسلم، وبعد حفل التتويج يعاملون الحاكم كأنه مارق فلا يبيحون له أن يجالس حتى أقاربه وأهل بيته، ويزعمون أنه نائب عن الملك الغائب وينتظرون رجوعه من البلاد العربية، وعندما يتوج بعض الأمراء هناك ويحملون السيف يعلن كل واحد في دوره قائلاً: إنى أحافظ على هذا السيف حتى يرجع العم الذي رحل إلى مكة[٣٤]. وظل هذا التقليد قائماً حتى عام 1890م [٣٥].

وربما يكون قريباً من هذا الافتراض ما ذكره أحد الباحثين [٣٦] من وجود أسرة مالكة مسلمة بشمال مليبار تعرف باسم " أركل راجاومشم" أي الأسرة المالكة بأركل Arakkal ، وأن هذه الأسرة يرجع أصلها إلى چيرامين بيرومل، فمؤسس هذه الأسرة المالكة ويدعى محمد علي هو ابن السيدة "سري ديوي" أخت چيرامين. وأن هذه الأسرة ما زالت تحتفظ بوثائق تاريخية تتحدث عن بداية الدعوة الإسلامية في ساحل مليبار. وقد برز اسم هذا المؤسس كما ذكرنا في كتاب رحلة الملوك.

كما توجد على جدران المسجد الجامع ببلدة بوناني Ponnani بمليبار أبيات منقوشة للشاعر الصوفي الكبير قاضي عمر يتحدث فيها عن چكروتى بوصفه أول مسلم في مليبار[٣٧]:

وبعد فكدغلور منشا موسم — بچكروت برماض مليك معظم
بقطر مليبار جرى حكم ملكه — على كل ذي ملك بها بالتقدم
فمعجزة الهادي النبي بيقظة — رآها انشقاق القمر لا بالتغيم
فحب النبي منها على قلبه وقع — ففي قطرنا قد صار أول مسلم

---

[٣٤] عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص٦٧؛
Tarachand, M., *Influence of Islam on Indian culture*, (Allahabad, 1954), p.34.

[35] Jaihoon, *Perumal in the Theyyum songs*:
http://www.Jaihoon.com/watan/peruteyymn.htm

[٣٦] محيي الدين الألوائي، مليبار (كيرلة)، مجلة ثقافة الهند، مارس ويونيو ١٩٥٦، ص٥٧.

[37] Jaihoon, *Pomes of Umar Qazi*:
http://www.Jaihoon.com/watan/Umarpoems6.htm

الدور العربي في الرواية

وقد عثر مؤخراً أحد الباحثين الهنود [٣٨] على نقش يؤيد وصول رفاق چكروتى إلى مليبار خلال الفترة التي ذكرتها روايتنا الأولى، والنقش عبارة عن نص قديم باللغة العربية منقوش على العتبة الخشبية للمسجد الجامع في مدينة كاسرجود في مليبار، والنص يتحدث عن وصول هؤلاء العرب للمنطقة وقيامهم بنشر الإسلام وبنائهم المساجد فيها، لكنه لم يشر للملك چكروتى أو زيارته للنبي. ويفصح الكشف الأخير عن صحة بعض ما جاء بالرواية، مما يؤكد وجود جذور تاريخية لهذه الأحداث.

والمدقق في النص الأصلي للرواية يجد أنه يعتبر سيرة ذاتية لمالك بن حبيب وذريته ودورهم في نشر الإسلام في ساحل الهند الغربي أكثر من كونه قصة لإسلام حاكم هندي، وظهر ذلك في رواية (محمد بن مالك بن حبيب بن مالك)، وكذلك رواية المؤلف المجهول نقلاً عن ابن مالك. ففي بداية النص نجد أن راوي القصة هو أحد أحفاد هذه الأسرة، لذا اهتم بذكر التفاصيل الدقيقة لهذه الأسرة والدور الذي لعبته في نشر الإسلام في الساحل الغربي للهند. لذلك فالنص الأصلي يحمل بين طياته تمجيداً لدور العرب– خاصة أسرة مالك بن حبيب– في نشر الإسلام وبناء المساجد في مليبار. ولعل ذلك راجعاً لما حظى به المسلمون من تكريم واضح في المنطقة؛ حيث حمل المسلمون في هذا الساحل لقب مابلا[٣٩].

وقد اختلف الباحثون في تفسير هذا المصطلح، إذ رأى أحد الباحثين [٤٠] أن معناه الطفل الأكبر أو الزوج. بينما مال آخر [٤١] للمعنى اللغوي ورأى أنه مكون من مقطعين بمعنى ابن الأم، على اعتبار أن العرب كانوا يتزوجون من نساء مليبار ثم يطلقوهن عند عودتهم لبلادهم، فكان أولادهم يدعون بلقب مابلا

---

[38] Rao, B., *New fact on Islam's arrival*: http://www.muslimsonline.com/babri/Keralamuslim.htm.

[٣٩] تتكون هذه الكلمة من الناحية اللغوية من مقطعين: (ما) بمعنى أم، (بلا) بمعنى ابن. انظر: الحاج مولوي، فيروز اللغات، أردو جامع، لاهور ١٩٧٨، ص١٩٠، ١٠٣١؛
Plata,J., *A dictionary of Urdu, classical Hindi and English*, (Lahore, 1983), p. 169,977.

[٤٠] أبو الصلاح، كيرلة، ص١٠.

[٤١] محي الدين الألوائي، مابلا، ص٣.

نسبة إلى أمهاتهم المليباريات. بينما رأى آخر[٤٢] أن (ما) هنا كلمة سنسكريتية معناها العظيم، وأن سكان مليبار احتفاء منهم بأولاد المسلمين لقبوهم باسم مابلا بمعنى ابن العظيم. ويؤكد ذلك ما عرف من الثقة العظيمة التي كان يحظى بها المسلمون لدى حاكم چيرا في ساحل مليبار، والتي جعلته يصدر أمراً لكل أسرة من البحارة في مملكته بأن تربي واحداً أو اثنان من أبنائها على الديانة الإسلامية.

صفوة القول، إن الوضع الذي تميز به المسلمون في هذا الساحل ربما كان دافعاً قوياً لمحاولة إظهار الدور العربي في نشر الإسلام لينال حظاً أكبر من هذا التكريم والتميز.

معجزة انشقاق القمر ومكانتها في التراث الهندي

ثم ننتقل بعد ذلك لمعجزة انشقاق القمر، التي يبدو أن لها وضعية خاصة في التراث الهندي، فلم تكن قصة چكروتى هي الوحيدة التى ارتبطت برؤية هذه المعجزة، ولم يكن هو الملك الهندي الوحيد الذي رآها. فهناك رواية أخرى وردت في مصنف فارسي متأخر يعرف باسم "رياض الأولياء"[٤٣]، ويروى صاحب هذا المصنف قصة إسلام أحد الحكام الهنود البوذيين ويدعى راجا بوخا Bhoja، وكانت عاصمته مدينة أوجين Ujain [٤٤]، حين رأى انشقاق القمر، فجمع حاشيته والعلماء واستفسر منهم عن هذه الظاهرة الغريبة فأخبروه أنها مرتبطة بالنبي العربي محمد، وعلى الفور أوفد الملك وزيره في سفارة إلى النبي محملاً إياه بعض التساؤلات للتحقق من صدق نبوته. وبعد أن أجاب النبي على هذه التساؤلات للوزير أشهر الأخير إسلامه، كما أعلن أن بوخا سيشهر هو الآخر إسلامه، وقد أعطى النبي لبوخا اسماً جديداً وهو " عبد الله "، وفوضه في اختيار اسم جديد لوزيره .وعندما عاد الوزير وقص على الملك ما حدث أشهر إسلامه وسمى وزيره

---

(42) Tarachand, *Influence of Islam*, p.33; Innes, *Malabar*, p.190.

(43) بختيار خان، رياض الأولياء، مخطوطة بالمتحف البريطاني (BM Or.1745)، ورقة ١٣٨ب-١٣٩ب. نشر:

Friedmann, *Qissat Shakrawati*, p.257.

(44) كانت تقع على الساحل الشمالي الغربي للهند. ولمزيد عنها انظر:

Law, B., *Historical geography of ancient India*, (Calcutta, 1954), p.197-199.

.

باسم الشيخ چنگال. ويختتم المؤلف روايته بقوله وقد مات قبل الهجرة وفى بعض الروايات بعد الهجرة. وقبري الملك ووزيره يقعان في مدينة دهار Dhar والتي أصبحت عاصمته بعد إسلامه.

وتبدو هذه الرواية متشابهة إلى حد ما مع رواية چكروتى في رؤية انشقاق القمر، مع اختلاف التفاصيل. كما تتشابه معها في عدم وجود سند تاريخى لها في السيرة النبوية أو المصادر التاريخية الأخرى، باستثناء ذكر لها في مصدر فارسي متأخر [٤٥] يتحدث عن قصة بهوج باختصار ولكنه يذكر أنه حاكم منطقة الدكن. واسم بهوج ومملكته في أوجين لا يبدو غريباً على تاريخ الهند؛ فمن الثابت أن فرعاً من البرتهاريين Pratiharas (٨٠-٣٩٣هـ/٧٠٠-١٠٠٣م) [٤٦] اتجه منذ وقت مبكر إلى أوجين وكون مملكة صغيرة هناك، وحمل أكثر من حاكم لهذه المملكة اسم بوخا [٤٧]. كما عثر أحد الباحثين [٤٨] على مقبرة في مدينة دهار منقوش عليها نص يتحدث عن وصول ولي إلى المدينة يدعى عبد الله چنگال مع جيش كبير، وعن تحويله للمعبد البوذي الموجود بالمدينة إلى مسجد. كما تحدث عن إسلام بوخا واختياره تلك المدينة لتكون حاضرة جديدة له.

وهناك رواية هندية أخرى مرتبطة بمعجزة انشقاق القمر، وتعرف باسم قصة الشيخ الهندي " رتن "، والقصة رواها أحد التجار المسلمين ويدعى محمد بن الحسين خلال القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادي، إذ يروي أنه إبان وجوده في رحلة تجارية بالهند، وفى إحدى مدنها قيل له أن بها الشيخ رتن الذى قابل النبي ومازال على قيد الحياة ، وعلى الفور اتجه ومن معه لمقابلته ، وبعد أن التقوا به رحب بهم الشيخ المعمر وقص عليهم حكايته حيث كان تاجراً سافر لمكة

---

[٤٥] رفيع الدين، رسالي شق القمر، مخطوطة فارسية رقم: (India office.Ms.D.P.1145)، ورقة ١٩٥ب-١٩٦أ، نشر:

in: Friedmann, *Qissat Shakrawati*, p.258.

[٤٦] هي الأسرة الحاكمة للملكة قنوج في شمال الهند وتحديداً شرقها، وقد استطاعت مد نفوذها غرب الهند. انظر:

Mahajan, D., *Muslim rule in India*, (New Delhi, 1970), p.17.

[٤٧] عن الحكام الذين حملوا هذا اللقب في هذه الأسرة انظر:

Ganguly, D., *History of the paramara dynasty*, (Dacca, 1933).

[٤٨] لمزيد من التفاصيل عن هذا الكشف انظر:

Yazdani, G., "The inscription on the tomb of Abdullah shah Changel at Dhar", ***Epigraphia indo-Moslemica***, 1909-1910, p.1-5.

قبل بعثة النبي وقابله بالصدفة وهو يرعى الغنم ولم يكن يعرفه ، ثم ساعده في أمر ما فدعا له النبي بطول الأجل ، وبعد انتهاء رحلته قفل عائداً إلى الهند . وبعد فترة من الزمن شاهد انشقاق القمر، ولما سمع من التجار العرب المارين بالهند أن تلك المعجزة مرتبطة بالنبي ذهب لمكة وأسلم بين يديه، ودعا له مرة أخرى بطول الأجل. وبفضل هذا الدعاء عاش رتن ٦٠٠ عام ونيف [٤٩]. ويذكر صاحب رسالة شق القمر أن رتن كان أحد رسل بهوج الذين ارسلهم للنبي لامتحان نبوته [٥٠].

تلك باختصار قصة التاجر الهندي الشيخ رتن التي روتها المصادر الإسلامية مع التشكيك في محتواها. وبرغم ما يبدو فيها من مبالغة، وعدم وجود سنداً تاريخياً لها؛ فإن ما يهمنا في تلك الرواية هو ارتباطها بمعجزة انشقاق القمر، مما يؤكد على مكانة هذه المعجزة في التراث الهندي. ولعل هذه المكانة ترجع إلى ولع الهنود بهذه الظواهر الغريبة، وإيمانهم بالغيبيات؛ لذلك لم يكن غريباً أن تحرص معظم الروايات التى تناولت هذه القصة على ربطها بمعجزة انشقاق القمر سواء برؤية الملك لها أو سماعه عنها وتأثره في الحالتين بها.

شخصية چيرامين بيرومل ومكانتها في التراث الهندي

ثم نأتى لشخصية چيرامين بيرومل أو چكروتى فرماض، وحرص الروايات بما فيها نصنا الأصلي على جعله من أوائل من أسلموا ووضعه في مصاف الشخصيات الأسطورية، وتبدو هذه الرواية محاولة لإبراز چيرامين كشخصية إسلامية مميزة في مواجهة التراث الآخر للأديان المتعددة في المنطقة، حيث كانت مليبار مركزاً لتجمع العديد من الأديان والمذاهب. فهناك أسطورة تتحدث عن انتشار البوذية في مليبار على يد (بالى بانا بيرومل) الذى اعتنقها

---

[٤٩] لمزيد من التفاصيل عن تلك الرواية ومناقشة المصادر الإسلامية لصحتها انظر: ابن حجر، الإصابة في معرفة الصحابة، ج١، القاهرة ١٩٣٩، ص٥١٥-٥٢٠؛ الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج٢، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة ١٩٦٣، ص٤٥؛ المباركبوري، العرب والهند، ص١١٢-١١٥؛

Horovitz, S., "Baba Ratan, the Saint of Bharinda", ***Journal of Pakistan Historical Society*** 2, 1954, p.97-114.

[٥٠] رفيع الدين دهلوي، رسالة شق القمر، ورقة ١٩٦.

وحاول إقناع براهمة مليبار بها لكنهم رفضوها وتآمروا عليه وقطعوا لسانه ونفوه من البلاد، لكنه تمكن من العودة ونشر الدين البوذى بين سكان مليبار [٥١]. بل كانت هناك محاولات لتصوير چيرامين على أنه اعتنق البوذية وليس الإسلام؛ فقد رأى أحد المؤرخين [٥٢] أن چكروتى هو بالى بانا الذي نشر البوذية في ساحل مليبار بعد أن اعتنقها.

كما أن هناك أسطورة تاميلية تحكي ان قديس هندوسي يدعى (ماني بهاسكرن) ذهب إلى سواحل مليبار في القرن الثالث الميلادي، وقام بعمل بعض المناظرات مع المسيحيين هناك ونجح في اقناع بعضهم حتى دخلوا في الهندوسية. وهناك أسطورة مسيحية تروى أن القديس توماس اتجه لمليبار خلال القرن الأول الميلادي لكى يبشر بالمسيحة هناك، وقام ببناء عدة كنائس في مليبار، ونجح في إقناع عدد كبير من سكان مليبار باعتناق المسيحية ومنهم بيروميل[٥٣].

كما كانت هناك هجرات يهودية لساحل مليبار من يهود اليمن الذين فروا هرباً من اضطهاد المسيحيين لهم هناك، واستقروا مع عائلاتهم في مدن مليبار، وأول مدينة نزلوها هي حاضرة چيرامين بيرومل، وكان زعيمهم يسمى (جوزيف ربان)، وصار اسمه يتردد في الأغاني الشعبية اليهودية وأدعيتهم [٥٤].

وهكذا نرى أن لكل ديانة في مليبار بطلها المخلص الذي تحرص على تمجيده، بل أن بعضها حاول الالتصاق بشخصية جيرامين، لذلك لم يكن غريباً حرص الروايات الإسلامية على الالتصاق بتلك الشخصية وتأكيد انتمائه لجانبها، وذلك كشخصية أسطورية تلهب خيال الهنود من جهة، وكملك قوي كان لاعتناقه الإسلام أثره في نشر ودعم الإسلام في ساحل مليبار. وكما يقول أحد الباحثين[٥٥] " إن الاعتراف بمثل هذه الشخصيات الأسطورية يؤدى إلى كشف لحظة تاريخية، وهذا ممكن إذا درست الأساطير دراسة غير تاريخية بمعنى عدم اعتبارها جزءاً من

---

[٥١] الألوائي، مليبار، ص٥٠-٥١.

[52] Menon، A., *The Cochin state Manual*, (Ernakulum, 1911), p.36-37.

[٥٣] الألوائي، مابلا، ص٤٠.

[٥٤] الألوائي، مليبار، ص٣٥.

[٥٥] عبد الرحمن عبد الهادي، التاريخ والأسطورة، بيروت ١٩٩٤، ص٥٤.

التاريخ الفعلي الذى قام واستمر في ذلك الزمان بقدر ما تقدم من دلالات تاريخية".

وعلى ذلك فإن روايتنا لم تكن مجرد سرد لأسطورة تتعلق باعتناق حاكم هندي للإسلام بقدر ما كانت رواية تحمل العديد من الدلالات؛ فالرواية ترصد في الأساس الوجود العربي في الهند ودوره في نشر الإسلام في ساحل مليبار. وحرصت على ربط هذا الدور بشخصية چكروتى التي تحمل مكانة خاصة لدى الهنود للتأكيد على أهمية هذا الدور؛ كما حرصت على إبراز معجزة انشقاق القمر في هذا السياق نظراً لأهميتها في التراث الهندي.

وهكذا فإن القراءة المتأنية للنصوص التاريخية التى تبدو من ظاهرها حبلى بالأساطير قد تفتح علينا أبواباً أخرى من المعرفة التاريخية، تلك الأبواب التي نرفض أحياناً ولوجها متأثرين بنظرتنا السطحية للنصوص أحياناً. والتعمق في النص وما به من روايات يغلب عليها الطابع الأسطوري وفق رؤية متحررة من أية أحكام مسبقة ستقودنا بلا شك إلى آفاق معرفية أرحب، ولعل في النص الذي تناولناه وما تلاه من نصوص، والدلالات التى خرجنا بها منها ما يدعم هذه الفرضية.

الحياة الاقتصادية في الهند في عصر بنى تغلق
(٧٢٠ – ٨١٦ هـ / ١٣٢٠ – ١٤١٤م)

الحياة الاقتصادية في الهند في عصر بنى تغلق
(٧٢٠ – ٨١٦ هـ / ١٣٢٠ – ١٤١٤م) [١]

يعد عصر سلاطين دلهي (٦٠٢ – ٩٣٢هـ / ١٢١٠– ١٥٢٦م) بوجه عام [٢]، وعصر بنى تغلق (٧٢١ – ٨١٦ هـ / ١٣٢١ – ١٤١٤م) بوجه خاص من أهم وأخصب فترات تاريخ الهند خلال العصور الوسطى. فخلال تلك الفترة شهدت الهند تطورات عديدة على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية؛ تلك التطورات التي شكلت منعطفا بارزاً في تاريخ الهند خلال تلك الحقبة. ومن نافلة القول إن هذه الأهمية دفعت العديد من الباحثين إلى إفراد العديد من الدراسات المستقلة عن بنى تغلق، لكن جُل هذه الدراسات وجهت اهتمامها الأساسي نحو دراسة التاريخ السياسي لهذه الحقبة [٣]، بينما اتجهت دراسات قليلة نحو الحياة الاجتماعية والثقافية [٤]. أما الأوضاع الاقتصادية لتلك الحقبة فلم يكن لها عند الدارسين نصيب كبير، برغم أهميتها في استكمال الصورة التاريخية لهذه الحقبة.

---

[١] نشر النص الأصلي لهذا المقال في مجلة حوليات إسلامية، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، العدد ٤٢، ٢٠٠٨، ص١–٢٤.

[٢] لمزيد من التفاصيل عن عصر سلاطين دلهي انظر: بيتر جاكسون، سلطنة دلهي: تاريخ سياسي وعسكري، ت. فاضل جكتر، الرياض ٢٠٠٣؛

Majumdar, C., *The Delhi Sultanate*, (Bombay, 1960).

[٣] انظر على سبيل المثال:

Haig, W., "Five questions in the history of the Tughluq dynasty of Delhi ", ***Journal of Royal Asiatic Society*** (1922), p.365 – 72; Basu, K.,"The house of Tughlaq. (From the Tarikh-i-Mubarakshahi) ", ***Journal of Asiatic Society of Bengal,*** 26 (1930), p.1-33; Mahdi, H., *Tughluq dynasty*, (Calcutta, 1963).

[٤] انظر على سبيل المثال: محمود عرفة، النظم السياسية والاجتماعية بالهند في عهد بنى تغلق، (٧٢١ – ٨١٦هـ / ١٣٢١ – ١٤١٤م)، حوليات كلية الآداب جامعة الكويت، الحولية ١٨، الكويت ١٩٩٨؛

Hussainm M., The social life and institutions with special reference to Hindus in the days of Muhammad Bin Tughluq, ***Proceeding 10th Indian History Congress***,(1947), p.297 – 305; Jauhri, R., "Learning and literature during the reign of Firoz Shah Tughluq (1351 – 88)", ***Islamic Culture***, XLI (1967)., p.241 – 246.

ولهذا اتجه الباحث إلى دراسة السياسة الاقتصادية لسلاطين بنى تغلق لبيان التأثير المتبادل بين الأوضاع الاقتصادية والأوضاع السياسية والاجتماعية، وتعول الدراسة على رصد النشاط الاقتصادي متمثلا في أشكال ملكية الأرض وطبيعة الإنتاج الزراعي، وعناصر الإنتاج الصناعي، ثم التجارة بشقيها الداخلي والخارجي، إلى جانب النظام المالي.

ولعل من المفيد في البداية أن نعطى لمحة مختصرة عن التاريخ السياسي لأسرة بنى تغلق حتى تكون الصورة واضحة المعالم. كانت بداية حكم آل تغلق للهند عام ٧٢٠هـ / ١٣٢١م حين ارتقى عرش دلهي غياث الدين تغلق (٧٢٠ – ٧٢٥هـ / ١٣٢٠ – ١٣٢٥م). وكان غياث الدين جندياً بسيطاً لدى السلطان علاء الدين الخلجي واستطاع أن يرتقي لمرتبة القيادة [٥]. وكانت الأمور قد اضطربت في نهاية عصر هذه الأسرة بعد مقتل مباركشاه على يد خسرو واعتلاء هذا الأخير لعرش السلطنة. وكان خسرو من أصل هندوكي فحاول إحياء التقاليد الهندوكية وأبدى استهتاره بالإسلام ومشاعر المسلمين. وقد أثار ذلك مشاعر المسلمين في السلطنة فاستنجدوا بغياث الدين الذي سرعان ما لبى ندائهم ونجح في أن يلحق الهزيمة بخسرو واعتلى عرش سلطنة دلهي وبذلك بدأ حكم أسرة آل تغلق. وقد حكم غياث الدين قرابة خمس سنوات قبل أن يخلفه في الحكم ابنه محمد[٦].

وخلال عهد محمد بن تغلق (٧٢٥-٧٥٢هـ/١٣٢٥-١٣٥١م) وصلت سلطنة دلهي لأقصى اتساع لها، وامتد سلطانه ليشمل عدداً كبيراً من أقاليم الهند

---

[٥] أمير خسرو، تغلق نامه، تهذيب وتحشية سيد هاشمي، أورنجباد ١٩٣٣، ص١٤١؛ عصامي، فتوح السلاطين، تصحيح أوشا، جامعة مدراس ١٩٤٨، ص٣٨١.

[٦] لمزيد من التفاصيل عن فترة حكم غياث الدين تغلق انظر: أمير خسرو، تغلق نامه، ص ٧٢ وما بعدها؛ ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج٣، تحقيق: عبد الهادي التازي، الرباط ١٩٩٧، ص١٣٩-١٤٤؛ برني، تاريخي فيروز شاهي، تصحيح: سيد خان، كلكتا ١٨٦٢، ص٤٢٣-٤٥٤؛ سرهندي، تاريخ مباركشاهي، به سعي وتصحيح هدايت حسن، تهران، ٢٠٠٣، ص٩٢-٩٧؛

Banerji, S., "Ghiyasuddin Tughluq Shah as seen in his monuments and coins ", ***Journal of the United Provinces Historical Society***, 15 (1942), pp.45 – 54; Jauhri, R., "Ghyathu'd-din Tughluq – his original name and descent ", in: *Kumwar Muhammad Ashraf commemoration volume*, (Wiesbaden, 1966), pp.62-66.

لم يتوافر أي سلطان قبله في تاريخ الهند [٧]. ثم توفى محمد تغلق أثناء إحدى حملاته العسكرية، ولم يكن له ولد فعهد بالملك من بعده إلى ابن عمه فيروز شاه[٨]. وكانت بعض أقاليم الهند قد استغلت وفاة محمد بن تغلق واستقلت عن حكم السلطنة، فحاول فيروز شاه (٧٥٢-٧٩٠هـ/١٣٥١-١٣٨٨م) استعادة هذه الأقاليم لكنه لم يتمكن من استردادها كلها؛ نظراً لانصرافه عن الأعمال العسكرية واهتمامه بالمشروعات العمرانية في سلطنته. وفى سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م توفى فيروز شاه وكان قد عهد بالملك إلى حفيده ويدعى غياث الدين، لكن الأخير وكان صغيراً عديم الخبرة، فانصرف عن شئون الحكم إلى اللهو واللعب، وعامل الأمراء وكبراء السلطنة معاملة سيئة فثاروا عليه وقتلوه، ووقع بعد ذلك خلاف وصراع على الحكم بين محمد تغلق الثاني وابن عمه أبى بكر. وانتهى الصراع بجلوس محمد تغلق الثاني على العرش عام ٧٩٣هـ/١٣٩٠م، وبعد جلوسه بدأ يطارد ابن عمه أبى بكر والأمراء الآخرين الثائرين عليه. لكن محمد تغلق الثاني لم يعمر كثيرا في الحكم إذ سرعان ما قضى نحبه عام ٧٩٥هـ/١٣٩٢م وارتقى العرش من بعده ابنه همايون شاه ولكنه توفى بعد أيام قليلة فخلفه أخوه ناصر الدين محمود تغلق. وخلال عهد الأخير تنافس أمراء ورجال الدولة فيما بينهم على السلطة ومظاهر النفوذ وأدى ذلك إلى استقلال الكثير من الإمارات والحصون عن السلطنة. ثم

---

[٧] العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ج٣، تحقيق: محمد عبد القادر خريسات وآخرون، الإمارات ٢٠٠١، ص٣٨. ولمزيد من التفاصيل عن فترة حكم محمد بن تغلق انظر: ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص١٤٧ وما بعدها؛ برني، تاريخي فيروز شاهي، ص٤٥٥-٥٢٦؛

Chaghati, M., "Muhamed bin Tughluq Shah ", ***Poona Orientalist*** 9, (1944), pp.58-61; Nizami, K., "Some documents of Sultan Muhammad bin Tuhghluq", ***Medieval India: a miscellany*** 1 (1969), pp.305-313; Mahdi, H., The rise and fall Muhammad bin Tughluq, (Delhi, 1972).

[٨] عن فترة حكمه انظر: مؤلف مجهول، سيرتي فيروز شاهي، دلهي ١٩٧٣؛ شمس سراج عفيف، تاريخ فيروز شاهي، تصحيح مولوي حسين، كلكتا ١٨٩٠؛ فيروز شاه، فتوحاتي فيروز شاهي، تصحيح عبد الرشيد، عليكرة ١٩٥٤؛

Riazul, I., "A review of the reign of Firoz Shah (1351–1388 A.D.)." ***Islamic Culture*** 23 (1949): 281–97.; Qadir, K., "Firoz Shah Tughlaq: a personality study". ***Journal of Central Asiatic*** 9 (1986), n.2, pp.17-39.

سرعان ما قدر لهذه الدولة أن تشهد نهايتها على يد المغول؛ حين زحف حفيد زعيمهم تيمورلنك على الهند وتمكن القضاء على سلطنة بنى تغلق عام ٨١٦هـ/١٤١٤م [٩].

الحياة الاقتصادية:

(١) الزراعة والإنتاج الزراعي:

لا شك أن الزراعة، خاصة في مجتمعات العصور الوسطى، كانت تعد عصب الحياة الاقتصادية؛ باعتبارها من أقدم الأنشطة التي مارسها الإنسان لتوفير أبسط احتياجاته اليومية. وتحليل مظاهر النشاط الزراعي في الهند خلال فترة بنى تغلق، تدفعنا لدراسة طرفي العملية الزراعية؛ وهما الإنسان والأرض والعلاقة بينهما سواء في وضعية الأرض وأشكال الملكية، وعلاقات الإنتاج. أو في طبيعة الإنتاج الزراعي والعوامل التي أثرت فيه.

(أ) أشكال ملكية الأرض:

تعددت أشكال ملكية الأرض في الهند خلال عصر بنى تغلق؛ فقد كانت هناك بعض الأراضي الخراجية لكنها كانت محدودة [١٠]. أما غالبية الأراضي فكانت خاضعة للنظام الإقطاعي، وكان الإقطاع العسكري هو النمط السائد من الإقطاع في عصر سلاطين دلهي بوجه عام [١١]، وعصر بنى تغلق بوجه خاص. يدل على ذلك أن أكثر الاقطاعات كانت للحكام وكبار قادة العسكر (أرباب السيوف) في السلطنة [١٢]. ولم يختص بنو تغلق وحدهم بتطبيق هذا النظام فيما يخص وضعية الأرض في العالم الإسلامي، بل كان هذا النظام هو

---

[٩] لمزيد من التفاصيل عن أحداث تلك الفترة انظر: برني، تاريخي فيروز شاهي، ص٥٢٧ وما بعدها؛ سرهندي، تاريخ مباركشاهي، ص١٤١ وما بعدها؛

Banerjee, A., "A note on the succession of Firuz Shah ", ***Indian Culture*** 2, (1935-1936), pp.47-52; Basu, K., "Firuz Shah Tughluq as a ruler", ***Indian Historical Quarterly***, 17 (1941), 386-393.

[١٠] عصام عبد الرؤوف، بلاد الهند في العصر الإسلامي، القاهرة ١٩٧٠، ص٢١٣.

[١١] محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ج٣، القاهرة ١٩٩٢، ص٤٤.

[١٢] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٤٤.

السائد في معظم مناطق العالم الإسلامي خاصة في دولة المماليك في مصر والشام والحجاز [١٣].

وبرغم ذلك فقد اختلف نظام الإقطاع في الهند في عهد بنى تغلق عن نظام الإقطاع العسكري المملوكي، فهناك بعض الاختلافات الأساسية بين النظامين، والتي أشار إليها كلا من العمري والقلقشندي [١٤] صراحة حين ذكرا أن النظام كان مختلفا في الهند عنه في مصر والشام، هذا الاختلاف فيما يخص تابعي السيد الإقطاعي، ففي النظام المملوكي يقوم الإقطاعيون بمنح جنودهم اقطاعات من الأرض لكي يتعيشوا منها نظير ارتباطهم بسيدهم الإقطاعي وتقديم الخدمات له. أما في الهند فإن تابعي السيد الإقطاعي من الجند لم يكن يحصلون من السيد الإقطاعي على أي مقابل، بل كانوا يحصلون في مقابل ولائهم لسيدهم على رواتب من السلطان مباشرة، وكان راتب الجندي يتراوح ما بين (١٠٠٠-١٠٠٠٠ تنكة[١٥] حسب رتبته [١٦].

وقد اتخذ هذا النظام خلال عهد محمد بن تغلق الشكل الهرمي فكان على قمته الخانات، يليهم الملوك، ثم الأمراء، ثم الاصفهسلارية [١٧]. وكان لكل خان إقطاع من الأرض ريعه السنوى (٢٠٠ ألف تنكة)، ولكل ملك ما بين (٥٠ – ٦٠ ألف تنكة) والأمير ما بين (٣٠ – ٤٠ ألف تنكة)، والاصفهسلار (٢٠ ألف تنكة). وكان للخان من الأتباع ١٠ آلاف فارس، والملك ١٠٠٠ فارس، والأمير ١٠٠ فارس، والاصفهسلار أقل من ذلك [١٨].

---

[١٣] عن نظام الإقطاع العسكري المملوكي انظر: إبراهيم على طرخان، النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، القاهرة ١٩٦٨، ص ٥٩ وما بعدها؛ آشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ت. عبد الهادي عيلة، دمشق ١٩٥٨، ص ٣٦٩ – ٤٢٥.

[١٤] العمري، مسالك الأبصار، ص٤٤؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، القاهرة ١٩٥٣، ص٩٢.

[١٥] التنكة إحدى العملات الهندية وللمزيد عنها انظر النظام المالي في هذه الدراسة.

[١٦] برني، تاريخ فيروز شاهي، ص٤٤٣؛ العمري، مسالك الأبصار، ص٤٤ – ٤٥.

[١٧] الاصفهسلار: هو قائد الجيش، انظر: محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص٣٢.

[١٨] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٩٤؛ العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص ٤٤.

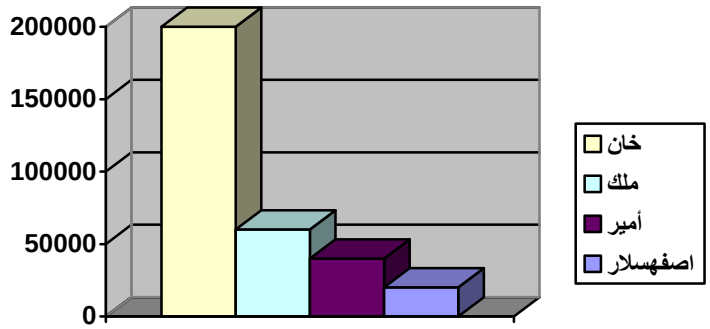

رسم تخطيطى يوضح نسب ريع الاقطاع مقدرا بالتنكة

وإلى جانب الإقطاع العسكري؛ منح السلاطين كبار الموظفين والفقهاء (أرباب الأقلام) إقطاعات بدلاً من الرواتب [١٩]. وكان على رأسهم نائب السلطان ويسمى (امريت)، وكان له إقطاع ضخم في حجم إقليم كبير مثل العراق، يليه الوزير وله إقطاع كبير لإقليم بحجم العراق أيضاً. وكان للوزير أربعة نواب يسمى كل واحد منهم (شق) وله إقطاع ريعه ما بين (٢٠ –٤٠ ألف تنكة). هذا بجانب كتاب سر أربعة (يسمى الواحد فيهم دبيران) لكل واحد مدينة كبيرة، وكان كبار الكتاب يصل إقطاع الواحد منهم إلى ٥٠ قرية، أما الصغار فإقطاعاتهم صغيرة ريعها في حدود (١٠ آلاف تنكة) [٢٠]. وكان صاحب وظيفة أمير داد (مهمته الجلوس بمجلس القاضي فمن كان له حق على أمير أو كبير أحضره بين يديه) فكان إقطاعه في حدود (٥٠ ألف تنكة)، ومحاسب الدواوين (٤٠ ألف تنكة)، صاحب وظيفة رسول دار (حاجب الإرسال) في حدود (٢٤ ألف تنكة) [٢١].

أما رجال الدين من الفقهاء والقضاة فكان لهم أيضاً نصيب من الإقطاعات فقد كان لقاضى القضاة الملقب بصدر جهان إقطاع ريعه (٦٠ ألف تنكة) وشيخ الشيوخ مثله [٢٢]، والقاضي (١٢ ألف تنكة) [٢٣]، والمحتسب إقطاع ريعه (٨ آلاف تنكة) [٢٤]. كما كانت هناك اقطاعات لبعض الوظائف الخاصة

---

[١٩] محمود إسماعيل، سوسيولوجيا، ص٤٥.

[٢٠] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص ٥٦.

[٢١] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص ٥١١ – ٥١٢.

[٢٢] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٩٤.

[٢٣] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج٣، ص ٥٠٧.

[٢٤] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٩٤.

مثل شحنة الفيل الذي كان إقطاعه إقليم كبير مثل العراق، ومرجع هذا لأهمية الفيلة للسلطان الذي كان الوحيد الذي يقتنيها وكان له ٣٠٠٠ فيل [٢٥].

هذا بجانب الهبات الإقطاعية الذي كان السلطان يمنحه لندمائه من رجال الحاشية وكان يتراوح ريعه ما بين (٢٠ – ٤٠ ألف تنكة) على حسب علاقتهم ومدى قربهم من السلطان [٢٦]. وكان أحيانا يمتد الإقطاع ليشمل مدينة كاملة، كما حدث عندما منح السلطان أحد كبار التجار مدينة كاملة إقطاعاً له [٢٧]. كما اقطع الأمير غياث الدين ابن الخليفة العباسي المستنصر بالله مدينة (سيري) إقطاعاً بجانب مائة قرية عندما وفد عليه من بلاد ما وراء النهر [٢٨]. وأقطع أحد الشيوخ مدينة لأنه أهداه من بطيخ حلو يزرعه لا يزرع مثيله في الهند [٢٩].

أما عن التزامات أصحاب الاقطاعات أو المقابل الذي كانوا يؤدونه للسلطان فقد كانت مشابهة لباقي الأنظمة الإقطاعية الأخرى؛ فقد كان الأمراء يخرجون معه في حروبه [٣٠]. كما كان كل إقطاعي يأتي إلى مجلس السلطان في عيدي الفطر والأضحى بدنانير ذهبية في صرة مكتوب عليها اسمه فيلقيها في طست ذهب موضوع أمام السلطان، ثم يمنحها السلطان لمن يريد [٣١]. بجانب ذلك كان أصحاب الاقطاعات يساهمون في إنشاء بعض مشاريع الري العامة في مناطق إقطاعهم مثل البحيرات الصناعية والخزانات، ولدينا بعض النقوش لنص عثر عليه في إحدى مقاطعات راجاستان Rajasthan يخبرنا أن الإقطاعي مالك بن فيروز بن محمد قان بإنشاء بحيرة صناعية (حوض) هناك وسماه بحر فيروز[٣٢]. وباستثناء ذلك لم تحدثنا المصادر عن أية التزامات أخرى يؤدونها للسلطان فيما عدا الضرائب العامة المقررة على الأراضي.

---

[٢٥] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص ٥٦؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٩٤.

[٢٦] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٤٧.

[٢٧] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج٣، ص ٤٥٢.

[٢٨] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج٣، ص ٤٥٩.

[٢٩] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج٣، ص ٥٤٦.

[٣٠] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص ٤٩.

[٣١] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج٣، ص ٤٤٨.

[32] Siddiqui, I, "Water works and irrigation system in India during Pre-Mughal period", ***Journal of The Economic and Social History of the Orient***, 29 (1986), p.58.

وتبدو هناك إشارة وحيدة عن وجود نظام القبالة أو الالتزام فيما ذكره ابن بطوطة [٣٣] عن التزام أحد رجال الهند مدينة دولت آباد مقابل (١٧ كرور) وعجزه عن الوفاء بهذا الالتزام. وباستثناء هذه الإشارة لا يوجد ما يشير إلى انتشار هذا النظام في الهند خلال تلك الفترة.

وخلال عهد فيروز شاه اختلفت أنواع ملكية الأراضي نوعاً ما عما كان موجودا زمن سلفه؛ فقد تم تقسيم كل أراضي السلطنة إلى أخماس، وكل خمس تم تقسيمه إلى مقاطعات، وجرى توزيع هذه المقاطعات على رجال الجيش بشكل يقارب النظام الإقطاعي الأوربي. وكان جنود الجيش يحصلون على اقطاعات من الأرض مقابل خدماتهم، أما الامتيازات الأخرى الغير قانونية فكانوا يحصلون عليها من الخزانة الملكية. أما الذين لم يحصلوا على اقطاعات ولا رواتب فكانوا يحصلون على مخصصات من الخراج. وإذا علمنا أن الجيش كان يتكون من ٨٠ – ٩٠ ألف فارس بجانب تابعي بارونات الإقطاع والنبلاء الذين كان عددهم أقل بقليل من ٢٠٠ ألف يمكننا أن ندرك مدى ضخامة حجم الإقطاع خلال تلك الفترة[٣٤].

وكانت الاقطاعات تمنح تحديداً لنواب الملك، ونجد مناطق كبيرة وحتى ولايات بأكملها تخصص كإقطاع لكبار النبلاء. ومن ذلك أن السلطان منح منطقتى كارا Kara ودلمو Dalmau لأحد كبار النبلاء مع لقب ملك الشرق [٣٥]. كما منحت مدينتي ظفار آباد Zafarabad وجانبور Jaunpur لأمير آخر. وجرى نفس الأمر على مناطق كجرات وبحار bihar [٣٦].

أما عن الالتزامات الإقطاعية فقد اختلفت أيضاً خلال عهد فيروز شاه وارتبط معظمها بالعبيد الذين ازدهرت تجارتهم خلال هذا العهد؛ فعندما كان الإقطاعيون – ومعظمهم من كبار موظفي الدولة – يقومون بزيارتهم السنوية

---

[٣٣] رحلة ابن بطوطة، ج٣، ص ٥٤٨ – ٥٤٩.

[٣٤] عفيف، تاريخي فيروز شاهي، ص ٣٠٣.

[٣٥] كان هذا اللقب يمنح للولاة الذين يحكمون المناطق الشرقية من سلطنة لدلهي. انظر:
Raza, J, Tughlaq administration in the light of epigraphic evidence, in: ***Indian Historical Conference: Proceeding, 69th session***, 2008, p.231.

[٣٦] عن هذه المناطق انظر الخريطة الخاصة بالهند في عصر بنى تغلق الملحقة بالبحث.

للعاصمة – كنوع من الحساب – كانوا يحضرون معهم الهدايا للسلطان من الفيلة والجمال والبغال والأواني الذهبية والفضية، بجانب من ١٠ إلى ١٠٠ عبد لكل فرد حسب الإقطاع وتخصم من ضرائبهم أو إيجاراتهم [٣٧]. وعندما قام السلطان فيروز شاه بمنح ولاية كجرات كإقطاع لأحد النبلاء، كان ذلك في مقابل أن يقدم سنويا للسلطان ٤٠٠ من العبيد الأحباش المختارين [٣٨].

على الجانب الآخر وفيما يخص أحوال الفلاحين وعلاقتهم بالسيد الإقطاعي في ظل هذا النظام؛ فقد كان من المتوقع أن هؤلاء النبلاء يديرون الإقطاعات ويشرفون على شئونها الداخلية، لكن الأمر كان مختلفاً عن نمط الإقطاع الغربي فيما يخص حقوق الإقطاعي على فلاحى إقطاعيته فقد ألغى سلاطين بنى تغلق هذه الحقوق [٣٩]. خاصة في ظل الإقطاع العسكري؛ فكما ذكرنا أن السلطان قام بالتخفيف عن كاهل هؤلاء أية أعباء أو التزامات مالية تجاه تابعيهم من الفرسان والجنود وربطها بخزانة السلطنة.

وقد تحسنت أحوال الفلاحين خلال عصر بنى تغلق مقارنة بالفترات التي سبقته؛ فخلال عصر الخلجيين عانى الفلاحون من قسوة الضرائب، حتى أن علاء الدين الخلجي قام بجمعها من شيوخ القرى وأصر على جمعها نقداً مما جعل الفلاحين يضطرون لبيع محاصيلهم للتجار بأسعار بخسة لكي يدفعوا الضرائب نقداً، فلما جاء غياث الدين تغلق وجد أن هذا الأمر فيه ظلم لشيوخ القرى والفلاحين، لذلك أعفي شيوخ القرى من الضرائب على أراضيهم مقابل ما يؤدونه من خدمات للسلطنة [٤٠].

لكن الأمور بالنسبة للفلاحين لم تسير بصورة طيبة كل الوقت، فخلال عهد محمد بن تغلق ومع ارتفاع نفقاته قام بزيادة الضرائب على الفلاحين في بعض المناطق الخصبة، وأدت قسوة هذه الضرائب إلى تحول عدد كبير من الفلاحين إلى متسولين. أما الأغنياء من شيوخ القرى فقد تحولوا إلى ثوار، وأجدبت

---

(37) Lane pool, S., *Mediaeval India under Mohammedan rule, (712-1764 A.D)*, (London, 1952), p.145.

(38) Imamuddin, S., "The maritime trade of Sind Gujarat and Malbar under the sultans of Delhi", ***Hamdard Islamicus*** VII, (1984), p.89.

(39) Habib, I., "The peasant in Indian history ", ***Social Scientist***, 11(1983) p.54.

(٤٠) برني، تاريخي فيروز شاهي، ص ٤٠٣.

الأراضي. وامتد هذا التأثير إلى كثير من الولايات؛ فأصيب الفلاحون بالذعر، وفقدوا الثقة في الحكومة، وهجروا أراضيهم، وحرقوا حطبهم، وأطلقوا ماشيتهم وأخذوها إلى الغابات [٤١].

وقد زادت وطأة الأمر بعد أن حدثت مجاعة في المنطقة ولم تخفف الدولة من مطالبها حتى مع وقوع المجاعة، بل أصر الموظفون على جمع الضرائب المقررة وأيضا لم تتخذ الدولة أية خطوات للتخفيف عن الفلاحين في ظل هذه الظروف السيئة. وحتى إجراءات السلطان التخفيفية مثل المعونات التي كانت تقدم للفلاحين كانت ضعيفة ومتأخرة، وعانى الفلاحون كثيرا مما اضطرهم في النهاية لهجر أراضيهم. وفي غضب عظيم قام السلطان ببعض الخطوات الانتقامية لإرجاعهم لأراضيهم [٤٢].

ثم تحسنت الأمور في عهد فيروز شاه بعد أن أعفي الكثير من المزارعين من ديونهم، وتمت السيطرة على مساوئ نظام جمع الضرائب بيد قوية، كما أدت التسهيلات التي قدمتها الحكومة للمزارعين إلى تحسن أوضاع الأراضي وزيادة غلتها، وظهر ذلك في ارتفاع قيمة الضرائب التي تم جمعها برغم إلغاء الكثير منها. حيث تم تقدير ضرائب منطقة دواب وحدها فقط بحوالي ثمانين لك، ومدينة دلهي بحوالي (٦ كرور و٨٥ لك) [٤٣]. وكتب أحد الكتاب المعاصرين له [٤٤] يذكر أنه كانت توجد بجوار منطقة دلهي وحدها ألف ومائتي قرية كانت تدفع سنويا (١٨٠ ألف تنكة).

(ب) الإنتاج الزراعي:

ازدهرت الزراعة بصورة كبيرة خلال تلك الفترة، ساعد على ذلك توفر المقومات التي هيأت المجال لهذا الازدهار مثل التربة الخصبة التي انتشرت حول ضفاف أنهار الهند المتعددة [٤٥]. وكذلك مصادر المياه متمثلة في الأنهار،

---

[٤١] فرشته، تاريخ فرشته، جلد أول، ص٤٥٠.

[٤٢] الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص١٧٢.

[٤٣] لمعرفة قيمة هذه العملات راجع النظام المالي بالبحث.

[٤٤] عفيف، تاريخي فيروز شاهي، ص ١٢٨.

[٤٥] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج٣، ص ٤٠٨.

بجانب الأمطار الموسمية الغزيرة التي كانت تسقط أربعة أشهر في السنة، واعتمد عليها الهنود في ري الأرض في نهاية فصل الصيف [٤٦]. هذا بجانب المناخ المعتدل، الذي لم يكن مفرطاً في الحر أو البرودة مما أدى لتنوع الإنتاج الزراعي وغزارته [٤٧].

ولكي تتم إدارة شئون الأراضي الزراعية بكل كفاءة تم تقسيمها إلى أصداء، وكل صدى يضم مائة قرية. وكان لكل صدى موظفان يتوليان إدارته الأول يسمى جوطري وهو بمثابة شيخ بلد أو عمدة، ومتصرف مختص بجمع الضرائب على الأرض عقب حصاد المحاصيل يتم مراقبته بشدة حتى لا يسئ استخدام وظيفته أو يظلم المزارعين [٤٨].

وكانت الزراعة خلال هذه الفترة موسمية تتم مرتين في السنة، في فصلى الخريف والربيع، فعند سقوط المطر في آخر الصيف يزرعون الزرع الخريفي ويحصدونه بعد شهرين، وبعد الحصاد يزرعون الحبوب الربيعية. ومن الحبوب التي تزرع خلال موسم الخريف (الكُذرو، الشاماخ، الماش، المُنج، المُوت، اللوبيا، القال). ومن المحاصيل الربيعية (القمح والشعير والحمص والعدس والسمسم وقصب السكر) [٤٩]. بجانب ذلك كانت هناك محاصيل تزرع ثلاث مرات في السنة مثل محصول الأرز الذي كان يعد المحصول الأساسي في البلاد [٥٠]. كما ازدهرت زراعات الفواكه كالعنب والرمان والنارنج، بجانب التوابل كالفلفل والقرنفل والقرفة والكافور والدار صيني وغيرها [٥١].

وبجانب الأراضي الزراعية أهتم السلاطين بالحدائق التي ازدهرت بشكل كبير في الهند[٥٢]، فقد اهتم فيروز شاه بشكل كبير بالحدائق وقام بزراعة ألف ومائتي حديقة بالقرب من دلهي وكثير في أماكن غيرها وكانت هذه الحدائق تنتج

---

[٤٦] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٦٨.

[٤٧] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص ٤١.

[٤٨] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج٣، ص٥٠٧.

[٤٩] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٤١.

[٥٠] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج٣، ص ٤٠٨ – ٤٠٩.

[٥١] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٣٥.

[٥٢] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٤٠.

سبعة أنواع مختلفة من العنب الأبيض والأسود كانت تدخل دخلا سنويا للخزانة[٥٣].

مشروعات الري:

وساعد على تطور الزراعة وازدهارها مشاريع الري من البحيرات الصناعية (الأحواض) والقنوات والسدود التي قام سلاطين بين تغلق بإنشائها في مناطق الهند المختلفة لتخزين مياه الأمطار واستخدامها في فصول الجفاف؛ فقد قام السلطان محمد بن تغلق بإنشاء بحيرة ضخمة بالقرب من مدينة عدل آباد [٥٤]، بجانب بحيرتين أخريين هما بحيرة تغلق شاه، وبحيرة قتلغ خان (معلم السلطان محمد بن تغلق). أما فيروز شاه فقد كان أكثر نشاطاً في إنشاء هذه البحيرات ومنها: بحيرة شاه زاده فتح خان (الابن الأكبر لفيروز شاه)، وبحيرة شاه زاده مبارك (ابن فيروز شاه) [٥٥]، بجانب بحيرة ضخمة أقامها عند حصن حصار فيروزا Hisar Firuza [٥٦]. ولم تكن مهمة هذه البحيرات أو الخزانات حفظ الماء فقط، بل كانت تستخدم في الزراعة أيضاً؛ فعند جفاف أطرافها كان يتم زراعتها ببعض المزروعات مثل قصب السكر والخيار والقثاء والبطيخ الأخضر والأصفر[٥٧].

ولم يكتف فيروز شاه بهذه المشروعات، بل فكر في توفير مياه الرى للمناطق التي تقل بها المياه عن طريق الخزانات وقنوات الري، حيث أنشأ ٣٠ خزاناً لتعزيز الري في تلك المناطق، كما قام بإنشاء بعض السدود لهذه المهمة أيضاً [٥٨]. وقد أشار مؤرخ معاصر له لأسماء بعض هذه السدود مثل سد شكر خان Shukr Khan، وسد وزيراباد Wazirabad، وغيرها من السدود الأخرى[٥٩].

---

[٥٣] عفيف، تاريخي فيروز شاهي، ص١٢٨.

[54] Siddiqui, I.," Water works and irrigation system in India during Pre-Mughal period", ***Journal of The Economic and Social History of the Orient***, 29 (1986)", p.57 - 58.

[٥٥] مجهول، سيرتي فيروز شاهي، ص ٧٨ – ١٠٧.

[٥٦] عفيف، تاريخي فيروز شاهي، ص١٢٦.

[٥٧] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج٣، ص٤١٨.

[58] Siddiqui, "Water works…" , p.58.

[٥٩] عفيف، تاريخي فيروز شاهي، ص٣٣٠.

ومن هذه المشاريع أيضاً قناتين أمر بشقهما فيروز شاه؛ واحدة تمتد من جمنا jumna والأخرى من ستليج Sutlej وقد سميت الأولى رجواب Rajwab والأخرى اولجخانى Ulugkhani. وكانت القناتان تجريان بالقرب من منطقة كرنال karnal وبعد أن تجريان لمسافة ١٦٠ ميل تلتقيان وتشتركان في مجرى واحد في منطقة حصار فيروزا [٦٠]. وقد ساهمت هذه القنوات في تحسين الري، وتوفير المياه بسهولة للأراضي الزراعية البعيدة عن مجاري الأنهار، وكانت إدارة القنوات تخضع لرقابة مهندسين أكفاء، كانوا يفحصون القنوات خلال موسم المطر والفيضان [٦١].

الثروة الحيوانية:

كان من الطبيعي مع التنوع الكبير للبيئة الهندية ومساحتها الشاسعة أن تتنوع الثروة الحيوانية بها ويزداد حجمها بصورة كبيرة [٦٢]، خاصة في الحيوانات التي كانت تستخدم للاستهلاك البشرى سواء للطعام أو الصناعة، حيث ذكرت المصادر [٦٣] أن بها " ما لا يحصى من الدواب السائمة من الجواميس والأبقار والأغنام والماعز. أما الجمال فكانت قليلة ويبدو أن استخدامها كان قاصرا على التنقل فقط، خاصة للسلطان وكبار رجال حاشيته من الخانات والأمراء والوزراء[٦٤]. وقد وصف لنا ابن بطوطة [٦٥] طريقة تسمين الماشية خلال تلك الفترة؛ حيث كان يؤتى بحبوب الموت والحمص وتجرش وتبل بالماء ثم تطعم للماشية، كما كان يتم سقى الماشية السمن لمدة عشرة أيام في كل يوم بمقدار ثلاثة أرطال أو أربعة، وبعدها تطعم أوراق نبات الماش.

على الجانب الآخر كانت هناك بعض الحيوانات التي تستخدم للطعام وأمور أخرى كالخيل؛ فبجانب استخدامها المعتاد لركوب الفرسان سواء للحروب أو المواكب والتنقل، كان يتم استخدام لحومها للطعام أيضاً، حيث كانت تسمن وتذبح

---

[٦٠] عفيف، تاريخي فيروز شاهي، ص ١٢٧.

[61] Lane pool , *Mediaeval India* ,p.144

[٦٢] ماركو بولو، رحلات ماركو بولو، ت. عبد العزيز جاويد، ج٣، القاهرة ٢٠٠٤، ص٦٢.

[٦٣] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٨٢.

[٦٤] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٤٢.

[٦٥] رحلة بن بطوطة، ج٣، ص٤٠٨.

وتقدم من ضمن مائدة السلطان [٦٦]. ورغم كثرة الخيل بالهند إلا أنها كان يتم استيرادها بأعداد كبيرة لكثرة ما كان السلطان محمد بن تغلق يقوم بتوزيعه منها على حاشيته؛ فقد كان يفرق في كل سنة عشرة آلاف فرس عربي من الخيل العراب، أما الخيل البراذين فكان يوزع منها بلا حساب [٦٧]. ولعل السبب الأساسي لكثرة استيراد الخيول من خارج الهند أن البيئة الهندية عموماً لم تكن ملائمة لتربية الخيل إذ يذكر العمري [٦٨] أن " الخيل إن طالت الإقامة بها بالهند انحلت وأكثرها مما لا يحمد فعله لذا يتم جلب الكثير من الخارج ".

وبجانب الحيوانات الاستهلاكية وجدت حيوانات أخرى متعددة الاستخدام وأشهرها الفيلة، التي كان السلطان محمد بن تغلق يقتنى منها وحده حوالي ثلاثة آلاف فيل. ويبدو أن اقتناء الفيلة كان قاصراً على السلطان وكبار رجال الدولة والأثرياء نظراً للنفقات الباهظة التي كان يتكلفها إطعام الفيلة؛ إذ أن كل فيل كان يحتاج يوميا ٤٠ رطلا من الأرز و٦٠ رطلا من الشعير و٢٠ رطلا من السمن بجانب نصف حمل من الحشيش [٦٩]. وبجانب هذا اشتهرت الهند بطيور الزينة من الطواويس والببغاوات المتعددة الأنواع والأشكال [٧٠].

(٢) الصناعة والإنتاج الصناعي:

بجانب النشاط الزراعي وجدت بعض الأنشطة الصناعية المختلفة، والتي اعتمدت على المواد الخام المتوفرة كالحديد والخشب، والمحاصيل الزراعية كالقطن والنيلة. لكن التطور الصناعي خلال تلك الفترة لم يكن كبيراً فقد كانت الصناعات يدوية بدائية في الغالب، ومعظمها مرتبط بالاستهلاك المحلى، وهذا الأمر كان غالبا على معظم الصناعات في العالم الإسلامي خلال تلك الحقبة.

وكان من أهم الصناعات في الهند خلال عصر بنى تغلق صناعة المنسوجات؛ ومنها ما كان يخص الدولة لإنتاج احتياجات القصر السلطاني، حيث كان للسلطان محمد بن تغلق دار طراز يعمل بها أربعة آلاف عامل تقوم

---

[٦٦] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص ٤٧.

[٦٧] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص ٤٥.

[٧٨] مسالك الأبصار، ج٣، ص ٤٢.

[٦٩] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص ٥٦.

[٧٠] ماركو بولو، رحلات ماركو بولو، ج٣، ص٦٣.

بصناعة الأقمشة والخلع من الأقمشة التي كان يتم استيرادها من الصين والعراق والإسكندرية. ولا شك أن هذا العدد الضخم من العمال يمنحنا تصور عن مدى حجم هذه الدار أو المصنع ومدى إنتاجه، خاصة أن السلطان كان يفرق في كل عام مائتي ألف كسوة؛ مائة في الربيع ومائة أخرى في الخريف [٧١].

كما وجدت بعض المغازل الخاصة بالصناعات القطنية؛ حيث يستخدم القطن من الأشجار الشابة في المغازل ويصنع منه المنسوجات القطنية، أما الأشجار القديمة فكان يستخدم قطنها في صنع الألحفة. كما كانت تصنع في إقليم كجرات النمارق المحلاة بأسلاك الذهب التي تمثل أشكالا للطير والحيوان التي تفوق في رقتها كل مثيلاتها في العالم. هذا بجانب أغطية الفراش التي تتميز بالرقة والنعومة ويستخدم في صناعتها خيوط الذهب والفضة[٧٢].

ويرتبط بتلك الصناعات صناعة النيلة المستخدمة في عمليات الصباغة وكانت صناعتها بسيطة حيث يحضر نبات النيلة وينقع في براميل ماء، ويترك حتى يتعطن، ثم تعصر منه عصارته، ثم تترك في الشمس حتى يتبخر ماؤها وتتحول إلى عجينة، تقطع قطعاً صغيرة، وتستخدم في عمليات الصباغة[٧٣].

بجانب ذلك وجدت بعض الصناعات الأخرى مثل الصناعات الخشبية وأهمها صناعة السفن التي تركزت في المناطق الساحلية، وكانت السفن تصنع من خشب الساج وهو من أفضل أنواع الأخشاب لشدة تحمله. ومتى تم إعداده لا ينشق أو يتشقق أو يتقلص أو يتغير شكله [٧٤]. ولم تكن المسامير تستعمل في صنع السفن الهندية، وإنما كانت تشد أخشابها بربطات من الحبال شداً متينا، وكانوا يضعون الشحم في الثقوب والمنافذ الناتجة من ربطات الحبال [٧٥]. وقد اختلفت الآراء في سبب عدم استخدام الهنود للمسامير في صناعة السفن، لكن

---

[٧١] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص ٤٥.

[٧٢] ماركو بولو، رحلات ماركو بولو، ج٣، ص٦٨.

[٧٣] ماركو بولو، رحلات ماركو بولو، ج٣، ص٦٢.

[٧٤] حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل العصور الوسطى، ت. السيد يعقوب بكر، القاهرة ١٩٥٨، ص٢٤٥.

[٧٥] السيد أبى ظفر الندوي، أسطول كجرات، مجلة ثقافة الهند، ع١٦، ١٩٦٥، ص٩٥.

الرأي الأقرب للصحة هو قدرة السفن المخيطة واستطاعتها التعامل مع أمواج المحيط، حيث تكون أكثر مرونة من مثيلتها المسمارية فيمكنها امتصاص صدمات الأمواج، ولمرونتها تلك واتساع قاعدتها نتيجة استخدام الخيوط والحبال تكون أقل عرضة للكسر عند اصطدامها بالشعاب المرجانية الموجودة في المحيط الهندي [٧٦]. هذا بالإضافة إلى صناعة الأسرة، وكانت الأسرة الهندية تصنع من أربع قوائم مخروطة يوضع عليها أربعة أعواد ثم تنسج عليها ضفائر من الحرير أو القطن [٧٧].

كما وجدت بعض الصناعات الأخرى مثل دباغة الجلود وتركزت في إقليم كجرات؛ حيث كانت تدبغ أعداد كبيرة من جلود الماعز والجاموس والثيران وغيرها من الحيوانات [٧٨]. كذلك صناعات الأسلحة؛ مثل السيوف والقسي والرماح والزرد والصواغ والزراكش والسراجين[٧٩].

وعلى الجانب الآخر كانت هناك بعض الصناعات الغذائية مثل صناعة مشتقات جوز الهند؛ حيث كان يؤتى بالثمار من شجر النارجيل فيصنع منه الزيت والحليب والعسل، أما عن الزيت فتؤخذ ثمرة الجوز بعد نضجها فتزال قشرتها وتقطع قطع صغيرة، ثم تترك في الشمس، وبعد أن تذبل يتم طهيها في قدور، ثم يستخرج منه الزيت. أما طريقة استخراج العسل منه فإن هناك رجال مختصون بذلك يصعدون لشجرة جوز الهند ثم يقطعون الفروع التي تخرج منها الثمار، ويتركون منها جزءا صغيرا ويضعون عليها قدورا صغيرة، ثم يسيل ماء من تلك الفروع في هذه القدور فيتم جمعها ليلاً، ثم يتم طهى هذا الماء فيصير عسلاً. أما الحليب فيتم إحضار جوزة الهند وحديده مسننة ويتم عمل فتحة بطول الحديدة في الثمرة، ثم يتم جرش الثمرة من الداخل حتى لا يبقى في داخلها شيء، ثم ينقع هذا الجريش في الماء مع المرت باليد حتى يصير كلون الحليب وطعمه[٨٠].

---

[٧٦] شوقي عبد القوى عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية (٤١ – ٩٠٤هـ/٦٦١ – ١٤٩٨م)، عالم المعرفة، ع ١٥١، الكويت ١٩٩٠، ص ١٢٤ –١٢٥.

[٧٧] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج٣، ص ٥٠٤.

[٧٨] ماركو بولو، رحلات ماركو بولو، ج٣، ص ٦٨.

[٧٩] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص ٤٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٨٣.

[٨٠] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص ٢٦٥.

(٣) التجارة والنشاط التجاري:

(أ) التجارة الداخلية:

نشطت التجارة الداخلية بصورة كبيرة خلال عصر بنى تغلق، وكان مركز هذا التجارة مدينة دلهي بوصفها أهم المدن الهندية، وكانت معظم البضائع تتجه في نهاية مطافها إلى هذه المدينة [٨١]. وكان أهم هذه البضائع التنبول [٨٢]؛ الذي راجت تجارته لأن السلطان حرم شرب الخمر وتشدد في معاقبة من يشربها حتى من خاناته الكبار، لذلك لجأ الناس للتنبول لأنه "*يشبه الخمر في مفعوله فيبسط الأنفس بسطا عظيما ويورثها سرورا زائدا لكنه مع ذلك يكون مع ثبوت العقل وصفاء الذهن*" [٨٣].

بجانب ذلك كانت هناك تجارة الرقيق التي كانت رائجة هي الأخرى لرخص أثمان الجواري، فالجارية الخادمة كان ثمنها لا يتعدى ٨ تنكات، والخدمة والفراش ١٥ تنكة، والعبد الشاب ٤ دراهم. وكانت هذه الأسعار في دلهي أما في غيرها فكان السعر أقل. وبجانب ذلك كانت هناك جواري أسعارهن مرتفعة ومنهن من يبلغ ثمنها ٢٨ ألف تنكة، لكن كان لها مواصفات خاصة؛ مثل جمالها وحسن خلقها وحفظها للقرآن ورواية الأشعار وإجادة الغناء وضرب العود ولعب الشطرنج وغيرها، وكلما زادت مواهبها زاد سعرها. ورغم وجود الجواري الترك والروم إلا أن الهنديات كان لهم الأفضلية لجمالهن وأمور أخرى [٨٤].

ولعل مما زاد في رواج هذه التجارة خاصة في عهد فيروز شاه، أنه كان واحدا من الملامح الرئيسية لعهد هو النمو غير الطبيعي لنظام العبيد. حيث كان العبيد يرسلون من نواب السلطان على أجزاء الإمبراطورية المتعددة. وكان بعضهم يتلقى تعليما حراً ويتم تخصيصهم لدراسة الدين والأدب والبعض يتلقى تعليما فنياً ويصبح حرفياً. وبسبب عطف السلطان زاد عدد العبيد بصورة هائلة حتى وصل

---

[٨١] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص ٥٤٠.

[٨٢] التنبول: نوع من الأشجار المتسلقة، لذلك كانت زراعته تشبه زراعة العنب من حيث إقامة الدعائم كي يتسلقها النبات في نموه. وهو شجر بلا ثمر ولكن يستعمل ورقه. انظر: ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص١٥٩.

[٨٣] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص ٥٨.

[٨٤] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص ٥٥؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٨٥.

عددهم إلى ١٨٠ ألف عبد. وكان في قصر السلطان وحده ٤٠ ألف من العبيد. ولإدارة هذا الجيش من العبيد تم تخصيص قسم منفصل وموظفين ولا شك أن هذا كان يشكل عبء على الخزانة [٨٥].

(ب) التجارة الخارجية:

انتعشت التجارة الخارجية بصورة كبيرة خلال تلك الفترة خاصة مع التشجيع المباشر من السلاطين لها؛ وقد استغل التجار عادة السلطان محمد بن تغلق في إكرام الغرباء، حيث اعتاد السلطان أن من يقدم عليه بهدية أن يكافئه بأضعاف مضاعفة، فكان التجار يعطون القادم على السلطان قروضاً بآلاف الدنانير ويجهزونه بما سوف يهادى السلطان به، وبعد أن يحصل على مكافئته من السلطان يستردون أموالهم ومعها الأرباح. وقد مر ابن بطوطة بهذا الموقف حين أخذ من التجار الخيل والجمال وغيرها من الهدايا ليقدمها للسلطان[٨٦].

وظهر حرص السلاطين على تشجيع التجارة وتنميتها في إلغاء بعض الضرائب التي تفرض على البضائع الواردة من خارج الهند؛ فقد كان بمدينة ملتان مركز للمكوس يتم فيه تفتيش القوافل التجارية المتجهة لجنوب الهند ويؤخذ الربع مما تحمله، بجانب ضريبة مقدراها سبعة تنكات على كل فرس يتم استيراده، فألغى السلطان محمد بن تغلق هذه الضرائب خاصة مع أهمية تجارة الجياد [٨٧].

وظهر انتعاش التجارة الخارجية في عدد وحجم السفن التي كانت تقصد الموانئ الهندية؛ إذ يذكر بن بطوطة [٨٨] أنه كان يوجد بميناء لكنوتى مائتي ألف مركب صغير. بجانب السفن الضخمة التي يوجد بها الطواحين والأفران والأسواق ولا يتعرف سكانها ببعضهم إلا بعد مدة لاتساعها. وبرغم ما قد يبدو من مبالغة في وصف بن بطوطة؛ فإننا نجد تأكيداً لذلك فيما ذكره ماركو بولو [٨٩] في وصفه لسفن الهند، حين ذكر أن بعض السفن تحوي ستين مقصورة لسكن التجار تزيد تبعا لحجم السفينة، وأن بعض السفن تحتاج إلى طقم ملاحين عدده ٣٠٠ رجل.

---

[٨٥] عفيف، تاريخي فيروز شاهي، ص٣٤٤.

[٨٦] رحلة بن بطوطة، ج٣، ص٣٩٦.

[٨٧] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص ٣٩؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٧٨.

[٨٨] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص ٤٠٣.

[٨٩] ماركو بولو، رحلات ماركو بولو، ج٣، ص١١ -١٢.

وكـان مـن أنـواع المراكـب المسـتخدمة فـي المـوانئ الهنديـة: الجـاكر[٩٠]، العكيري[٩١] وكان كل أصحاب كل مركب يحرصون على حماية ما به من بضائع من خطر القراصنة وعبث اللصوص، لذاك كان يوجد في كل مركب خمسون رامياً ومثلهم الحراس الحبشيين الذين اكتسبوا شهرة في مجال التصدي للقراصنة الهنود، وكان تواجدهم بكل مركب علامة عل ابتعاد القراصنة عنه [٩٢].

وبجانب ذلك كانت هناك المراكب الصينية، والكبيرة منها تسمى جنوك والوسط تسمى الزو والصغيرة تسمى الكَكَم. ويخدم في المركب الكبير ألف رجل ٦٠٠ من البحرية و٤٠٠ من المقاتلة. ويتبع المراكب الكبيرة ثلاثة النصفي والثلثي والربعي. ولا تصنع هذه السفن إلا بالصين؛ وقد ترك لنا بن بطوطة وصفاً دقيقاً لصناعتها [٩٣].

وكان تواجد السفن الصينية في الموانئ الهندية بكثرة أمراً طبيعياً؛ فقد كانت الصين من أهم الشركاء التجاريين للهند خلال العصور الوسطى، وكانت السفن الصينية تحمل إلى الهند الحرير الخام والأقمشة الحريرية والديباج وخشب الصندل وغير ذلك. كما كانت المواصلات بين الهند والصين في أيدي تجار صينيين أو على الأقل تجرى بواسطة السفن الصينية، وكانت السفن تعود إلى الصين وهي محملة بالعقاقير الهندية (الأفاويه)، حيث كانت الصين أكبر مشترى لتلك العقاقير وكان الصينيون يدفعون أكبر ثمن في شرائها، لذلك كان يصدر منها إلى الصين كميات كبيرة [٩٤].

---

[٩٠] الجاكر: نوع من السفن يستخدم لنقل المسافرين ويزود عادة بالمقاتلة لحماية ركابه من القراصنة. وللمزيد عنه انظر: درويش النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المعجم، الإسكندرية ١٩٧٤، ص٢١.

[٩١] العكيرى: من المراكب الخفيفة التي يمكنها مغالبة الأمواج والسفر في الظروف التي لا تلائم المراكب الكبرى الثقيلة، وكان يستخدم في النقل التجاري الخفيف. انظر: حسن صالح شهاب، المراكب العربية تاريخها وأنواعها، الكويت ١٩٨٧، ص٤٧.

[٩٢] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص ٥٥٢ – ٥٥٣.

[٩٣] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص ٥٦٥.

[٩٤] هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ج٢، ت. أحمد رضا محمد رضا، القاهرة ١٩٩١، ص ٣٩٦.

وكان الساحل الغربي للهند المحط الرئيسية للسفن القادمة من الغرب، حيث كانت تستطيع الحصول على أغلب احتياجاتها دون التوجه إلى الساحل الشرقي للهند، إذ كان هذا الساحل بمثابة الواجهة التي تعرض فيها منتجات الداخل الغزيرة، خصوصا من التوابل [٩٥]. وكانت هناك جاذبية أوربية للساحل الغربي للهند نظراً للتنوع غير العادي للسلع التي تضفي على السوق الفاخرة روعة خاصة بجانب سياسة تشجيع التجارة التي انتهجها آل تغلق. وظهر هذا الاهتمام من قبل مدن ايطاليا التجارية مثل جنوة والبندقية قبيل ظهور بنى تغلق بوقت قصير، فقد قامت أول بعثة تجارية جنوية قاصدة سواحل الهند عام ١٢٩١م، وقام بها ثلاثة أخوة من أسرة فيفالدي Vivaldi، أحد أشهر الأسر التجارية في جنوة، وتكونت البعثة من سفينتين حربيتين كبيرتين [٩٦]. وبغض النظر عن مصير هذه البعثة الذي اختلفت الآراء حوله، إلا أن الذي يهمنا هنا هو دلالة هذه البعثة على الاهتمام التجاري الغربي بسواحل الهند. ولم يقتصر الأمر على الجنويين فقط، فقد قام التجار البنادقة برحلات تجارية لمنطقة كولام على ساحل مليبار من أجل الحصول على الفلفل والزنجبيل وغيره من التوابل الهندية [٩٧].

وكان أكثر اهتمام الغرب بساحل الهند الغربي خاصة منطقة كولام، وكانت هناك أسباب عديدة حملت التجار الغربيين على التردد على كولام وهو جاذبيتها كسوق به كمية هائلة وتنوع غير عادى من المنتجات خاصة الفلفل؛ الذي كان أكثر المنتجات طلباً، وأرتفع ثمنه ارتفاعا هائلاً فضلاً عن ندرته لشدة إقبال الأوربيين عليه، حتى صار مثل شائع في العصور الوسطى بتشبيه الشيء النادر الغالي بالفلفل فيقولون "غال كالفلفل". ونتيجة هذه الندرة وارتفاع ثمنه أصبحت له قوة شرائية، وكان يستعمل في بعض الأحيان بديلاً عن النقود [٩٨]. وكان رؤساء الكنيسة الفرنسية يتقاضون العشور توابل خاصة الفلفل، كما كان

---

[٩٥] شوقي عثمان، تجارة المحيط الهندي، ص١٩١.

[٩٦] هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى، ص ٣٨٣.

[٩٧] هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى، ص ٣٩٣.

[٩٨] هنرى بيرين، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ت. عطية القوصي، القاهرة ١٩٦٦، ص١٨.

العبيد يشترون حريتهم بأحمال من الفلفل، وكان يؤدى كإيجار للأراضي الزراعية في إنجلترا [٩٩].

أما عن أهم أنواع البضائع التي جرى تبادلها في التجارة الخارجية لسلطنة بنى تغلق مع جيرانها في الهند وجيرانها بالخارج فلعل أهمها الخيل؛ فرغم كثرة الخيل بالهند إلا أنها كان يتم استيرادها بأعداد كبيرة لكثرة ما كان السلطان محمد بن تغلق يقوم بتوزيعه منها على حاشيته؛ فقد كان يفرق في كل سنة عشرة آلاف فرس عربي من الخيل العراب، أما الخيل البراذين فكان يوزع منها بلا حساب[١٠٠]. كما كانت الخيول تسمن وتذبح وتقدم من ضمن مائدة السلطان [١٠١]. ولعل السبب الأساسي لكثرة استيراد الخيول من خارج الهند أن البيئة الهندية عموماً لم تكن ملائمة لتربية الخيل إذ يذكر العمري [١٠٢] أن " الخيل إن طالت الإقامة بها بالهند انحلت وأكثرها مما لا يحمد فعله لذا يتم جلب الكثير من الخارج. لذلك كانت تجارة مربحة للغاية لكثرة العساكر والحاشية وعدم بقاء الخيول بها لفترات طويلة.

وكانت الخيول تجلب عادة من البحرين، وكان لأهل البلاد علامة في الفرس يعرفونها فمتى رأوها في فرس اشتروه بمبالغ عالية [١٠٣]. كما كانت تجلب أيضاً من بلاد الترك ومن اليمن والعراق [١٠٤]. والخيول التي كانت تأتى من بلاد الترك كانت تقدم في قوافل كبيرة تقارب ستة آلاف فرس لكن الكثير منها كان يموت في الطريق البري الذي يخترق السند وصولا للهند، بجانب ما يسرق وما يدفعون من جمارك. لكن الأرباح العالية منها كانت تعوض ذلك، فالفرس الرخيص كان يباع بمائة تنكة، ويصل ثمن الجيد منها إلى ٥٠٠ تنكة، وهذه الجياد تخصص للحروب. أما الجياد التي تخصص للجري والسبق فتجلب من اليمن وعمان وفارس ويباع الفرس بمبلغ يتراوح بين ١٠٠٠ – ٤٠٠٠ تنكة [١٠٥].

---

[٩٩] شوقي عثمان، تجارة المحيط الهندي، ص٢١٥.

[١٠٠] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص ٤٥.

[١٠١] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص ٤٧.

[١٠٢] مسالك الأبصار، ج٣، ص ٤٢.

[١٠٣] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص ٤٦.

[١٠٤] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص ٢٥٩.

[١٠٥] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص ٣٢٨.

بجانب ذلك كانت هناك بعض المنتجات الغذائية مثل البطيخ الأصفر الذي كان يتم استيراده من بخارى، والذي كان السلطان محمد بن تغلق يحبه حتى أن أحدهم حمل إليه حمل تلف غالبه ولم يبق غير اثنتان وعشرون بطيخة فأعطاه ٣٠٠٠ مثقال من الذهب [١٠٦]. والزبيب واللوز من خراسان [١٠٧]. كما كان يتم استيراد الثياب والقماش؛ حيث يستورد ١٠٠ ألف كسوة من الإسكندرية. وثياب الكتان من بلاد الروس والإسكندرية [١٠٨]. والقماش من الإسكندرية والصين والعراق [١٠٩]. والأقبية الإسلامية مخصرة الأوساط من خوارزم [١١٠].

ولم يكن الميزان التجاري يميل كله لصالح واردات الهند، بل كانت هناك الكثير من الصادرات الهندية التي تصدر لدول الجوار؛ فقد كان التجار يشترون من الهند الحشائش والصموغ [١١١]، والقماش والأفاويه والطيب [١١٢]، والقنا والطباشير والقسط والخيزران [١١٣]. والفلفل من ساحل مليبار [١١٤]. كما كان عسل عسل جوز الهند يصدر للصين واليمن [١١٥]. والأرز الهندي يصدر لسواحل اليمن[١١٦].

وكان للتجارة دور في حياة المدن؛ فمدينة كنباية على سبيل المثال تميزت بأبنيتها ومساجدها المميزة لأن أكثر سكانها من التجار الغرباء، " *وهم يتنافسون فيما بينهم في بناء البيوت والمساجد على أشكال عجيبة مختلفة* " [١١٧].

---

[١٠٦] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٩٠.

[١٠٧] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص ٤٠٤.

[١٠٨] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٩٣.

[١٠٩] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص ٤٥.

[١١٠] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص ٦١.

[١١١] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص ٦٢.

[١١٢] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص ٣٧.

[١١٣] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٧٢-٧٣.

[١١٤] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٧٣.

[١١٥] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص ٢٦٥.

[١١٦] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص ٢٧١.

[١١٧] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص ٥٥٠.

النظام المالي:

كان النظام النقدي خلال عصر بنى تغلق بالغ التعقيد، ويمكننا أن نرسمه في شكل هرمي في قمته عملات ذات قيمة ضخمة، ثم عملات أخرى متوسطة القيمة، ثم يأتي في قاعدته العملات ذات القيمة الأدنى. وقد ساعدنا على وضع هذا التصور ما ورد ببعض المصادر التاريخية عن طبيعة هذا النظام النقدي.

فقد ذكر ابن بطوطة [١١٨] أنه كانت بالهند ثلاث عملات رئيسية وهي الكرور واللُك والدينار، وأن (الكرور = ١٠٠ لُك) و(اللك = ١٠٠ ألف دينار). وأضاف القلقشندي [١١٩] نقلاً عن شاهد عيان أنه كانت هناك أربع عملات أساسية أخرى للنظام النقدي في الهند خلال عهد محمد بن تغلق وهي كالتالي:
الدرهم الهشتكاني (ويساوى ٤ دراهم سلطانية)، الدرهم الششتكاني (ويساوي٣ دراهم سلطانية)، الدرهم الدرازدهكاني (ويساوي في القيمة الدرهم الششتكاني)، والدرهم السلطاني (ويساوي ٢ جتيل). والجتيل (يساوى ٨ فلس).

وبرغم أن العمري [١٢٠] ينقل عن نفس المصدر إلا أنه ذكر أن للهند ستة عملات وليس أربعة مع اختلاف بعض المسميات لديه فالدراهم الأربعة يذكرها بالشكل التالي (هستكاني، سشتكاني، دوازد هكاني، سلطاني) وهذا الاختلاف في أسماء الثلاث دراهم ربما كان مرجعه خطأ من النساخ لأن المسميات تبدو قريبة. أما الدرهمان الزائدان فهما (يكاني، شازرد كاني) والأول ذكره القلقشندي دون تحديد اسمه حين ذكر أن الدرهم السلطاني يساوى نصف درهم لكن لم يحدد له مسمى، أما الدرهم الثاني فلم يذكره القلقشندي. ويذكر العمري أنه يساوى درهمين. والحقيقة أن ما ذكره القلقشندي أقرب للتنظيم مما ذكره العمري الذي أخطأ أيضاً حين سمى الدرهم الهشتكاني مرة بالدرهم الفشتكاني وتارة هستكاني. وبجانب هذه العملات كانت توجد عملات ذهبية خاصة ضخمة القيمة مثل التنكة، وكانت نوعان فضية (بيضاء) تساوى ٨ دراهم هشتكانية & وذهبية (حمراء) تساوى ٣ مثاقيل، وكل ١٠٠ ألف تنكة تساوى لُك [١٢١].

---

[١١٨] رحلة ابن بطوطة، ج٣، ص ٥٤٩.

[١١٩] صبح الأعشى، ج٣، ص٨٤.

[١٢٠] مسالك الأبصار، ج٣، ص٦٠.

[١٢١] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٨٤ – ٨٥.

ومن العرض السابق يمكننا أن نحدد النظام النقدي الهندي في شكل هرمي أعلاه (الكرور) يليه (اللُك) ثم يليه (التنكة والدينار بنفس القيمة)، يليهما أربعة عملات كبيرة رئيسية وهي الدراهم (الهشتكانى، الششتكانى، الدوازدهكانى، الشارزردكانى)، وكلها يمكن تقسيمها للدرهم السلطاني الذي كان العملة الوسيطة والأكثر تعاملاً، وهو بدوره ينقسم لعملة أصغر منه وهي الجتيل أو الحثيل، ويأتي في ذيل هرم العملات الفلس.

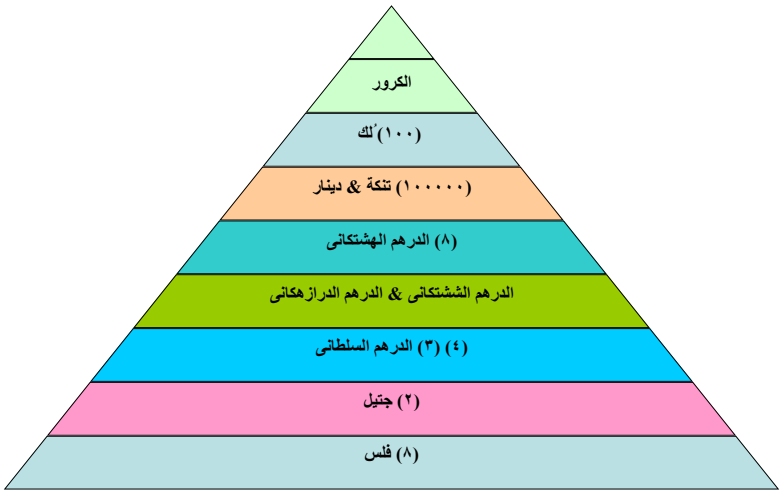

شكل هرمي يوضح النظام النقدي الهندي خلال عصر بنى تغلق

السياسة المالية والنظام النقدي:

كان الإسراف اللامحدود للسلطان محمد بن تغلق حقيقة أحد أسباب متاعبه. وحتى مع الثروة العظيمة التي تمتعت بها مملكته، والتي عززتها الغنائم التي حصل عليها من المدن الهندية في منطقة الدكن، التي أصبحت تحت سيطرته لم تستطع مواجهة الإنفاق الهائل على حاشيته [١٢٢]. وكانت مظاهر الإسراف واضحة في نفقاته التي تجاوزت ٣٦ لك في السنة [١٢٣]؛ حيث كان يتصدق عند رؤية هلال كل شهر بلكين، بجانب راتب مستمر لحوالي أربعين ألف فقير (درهم + ٥ أرطال خبز قمح أو أرز لكل واحد منهم)، بجانب رواتب ألف فقيه يعلمون

---

[١٢٢] فرشته، تاريخ فرشته، ص ١٢ وما بعدها.

[١٢٣] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص٤٤٧.

الناس القراءة والكتابة [١٢٤]. هذا بجانب اقتنائه لحوالي ٣ آلاف فيل مع نفقاتها الباهظة [١٢٥].

بجانب ذلك كان السلطان شديد الكرم بالنسبة للغرباء ويفضلهم على رعاياه الهنود ويخصهم بالولايات والمراتب الرفيعة حتى أن معظم خواصه وحجابه ووزرائه وقضاته وأصهاره كانوا من الغرباء. وعندما كان الغرباء يقدمون إلى دلهي كان يمنحهم الكثير من القرى والأراضي المعفية من الضرائب والتي تجعلهم يعيشون في رفاهية أثناء زيارتهم للهند وتجعلهم عند المغادرة أغنياء. وابن بطوطة نفسه عند زيارته للهند في عهد السلطان محمد بن تغلق نعم بكرم السلطان وضيافته، وتم تعيينه كقاض لمدينة دلهي، وفي النهاية أرسل كسفير من قبل السلطان إلى الصين [١٢٦].

ولا شك أن العدد الضخم اللامعقول من زواره وحاشيته من الشعراء والموظفين وغيرهم أفقر الخزانة التي ازدهرت نسبيا خلال عهد والده القصير، وقضت الحملات الهائلة التي قام بها السلطان لاستكمال فتوحاته في الهند على ما تبقى من أموال. بجانب ذلك فإن مشروعه لغزو فارس جعله يبقى على جيش ضخم ظل عاطلاً، وحلمه الأخر بغزو الصين قادا في النهاية إلى كارثة [١٢٧].

يضاف إلى ذلك سياسته الخاطئة حين فكر في نقل العاصمة وبناء حاضرة جديدة تسمى دولت آباد وأمر أهل دلهي أن ينتقلوا إليها بالقوة، وعندما رفضوا ذلك قام بتهجيرهم قسراً وبعنف واشترى من أهلها جميع دورهم ومنازلهم حتى خربت دلهي فأمر أهالي البلاد أن يعمروها فخربت البلاد ولم تعمر دلهي لاتساعها [١٢٨]. وان كان هناك [١٢٩] من يرى أنه لم يطلب من أهل دلهي الهجرة،

---

[١٢٤] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٥١.

[١٢٥] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٥٦.

[١٢٦] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص ٣٩٥.

[١٢٧] عن حملاته في آسيا انظر:

Jackson, P., "The Mongols and the Delhi sultanate in the reign of Mohamed Tughluq ", ***Central Asiatic Journal*** XIX (1975), p.118 – 57.

[١٢٨] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص ٤٧٩ – ٤٨٠.

(129) Roy, N., "The transfer of capital from Delhi to Daulatabad", ***Journal of Indian History*** 20 (1941), p.109 – 122.

وأنه لم يهجر كل الناس للعاصمة الجديدة. هذا المشروع لم يكن كما رأى بعض الدارسين محاولة وحشية للانتقام من سكان دلهي. بل كان لهذا الاختيار سبب حيث كانت العاصمة تحتل مركز متوسط بين مقاطعات الدولة وموقع استراتيجي مما جعلها في مأمن من غزوات المغول [١٣٠]. ولا شك أن قرار السلطان محمد بن تغلق بنقل العاصمة من دلهي إلى دولت آباد كان قراراً غير مدروس وسبب معاناة للناس.

وأمام هذه الأعباء التي فرضت على الخزانة لم يكن هناك مناص من فرض ضرائب جديدة، خاصة على الأراضي الزراعية الخصبة. ولا شك أن هذه الضرائب الجديدة كانت حملاً زائدا على السكان لاسيما أن هامش العائد الزراعي كان صغير جدا [١٣١]. وقد أشار برني [١٣٢] إلى ذلك بقوله " كان المشروع الأول الذي قام به السلطان والذي أدى لخراب البلاد وإفقار الشعب هو محاولة الحصول على نسبة ٥ أو ١٠ بالمائة زيادة على الضرائب المحصلة من أراضي دواب Doab [١٣٣]، وقد كانت هذه الضرائب فوق طاقة الأهالي". وبرني نفسه باعتباره مواطناً هندياً من سكان هذه المنطقة وشاهد عيان على هذه الوقائع عانى من تأثيرات هذه الضرائب. ونتيجة لفشل هذه الضريبة قام السلطان بمطاردة الهنود البؤساء مثل الحيوانات البرية وحاصرهم في الغابات وأوقع بهم مذبحة. وفي مدن دواب وقنوج وغيرها تم قتل كل من قبض عليه من الرجال وقطعت رؤوسهم وعلقت على متاريس المدن. ولم يسلم من هذا المصير ملاك الأراضي ورؤساء القرى، ومما زاد الأمر سوء نقص الأمطار الموسمية ونقص مخزون الحصاد[١٣٤].

---

(130) Majumdar, C., *An advanced history of India*, (London, 1963), p.320.

(131) Lane pool, *Mediaeval India*, p.128 – 129.

(١٣٢) عفيف، تاريخي فيروز شاهي، ص٤٧٣.

(١٣٣) الكلمة تتكون من مقطعين: دو بمعنى اثنان، وآب بمعنى نهر والكلمة بمعنى النهران، وهي منطقة تقع شرق دلهي بين نهري جمنا والجنج، انظر: عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، القاهرة ١٩٨١، ص١٢٩.

(134) Lane pool, *Mediaeval India*, p.129.

وقد رأى أحد الدارسين [١٣٥] أن سبب هذه الإجراءات هو خصوبة وغنى تلك الأراضي وما تدره من دخل، وكذلك لعقاب أهالي المنطقة من الثائرين ضد السلطان. لكن هناك باحث آخر [١٣٦] رأى أن هذه الزيادات لم تكن مفرطة وأنها لم تكن تتجاوز ٥٠ بالمائة من التي كانت مفروضة في عهد علاء الدين الخلجي[١٣٧]. ورأى أيضا أن مشروع السلطان بزيادة الضرائب المحصلة على سكان دواب لم يكن نيته إجراء عقابي ضد المقاومين من سكان دواب ولكن كان الغرض منه سد العجز في الخزانة. بينما رأى باحث آخر[١٣٨] أن الغرض من هذه الضريبة كان زيادة مصادره العسكرية وتنظيم الإدارة على أساس فعال.

وكان للفكر الاقتصادي للسلطان محمد بن تغلق تأثير كبير على النظام النقدي في الهند، فلكي يواجه الاستنزاف الهائل لخزانته والذي مؤداه ضخامة حاشيته وإسرافه الزائد، قام بخطوة جريئة وهي البعد عن العملات الذهبية والفضية وسك عملات نحاسية يتم التعامل بها. هو ربما أخذ الفكرة من الأوراق النقدية التي أصدرها قبلاي خان في الصين، أو من الأوراق التي حاول خان المغول جاي خاتو في فارس أن يخدع بها رعيته. لكن عملة تغلق المفروضة لم تكن تنوى أن تسلب الناس حقهم، وبدون قصد أدت إلى انتعاش الشعب، فقد كانت العملة النحاسية مقارنة بالورق فكرة جديدة. وكانت العملة النحاسية تساوى في قيمتها تنكة الفضة المعاصرة، وبالطبع كانت مقبولة للاعتماد في الخزانة العامة.

ومن اللافت للنظر ومما لا شك فيه تماما أن قيمة العملة الجديدة تعتمد على ضمان الخزانة لها، لذلك فإن السلطان نسى أنه من الضروري تماما لنجاح ابتكاره أنه لا يصدر العملة سوى الدولة. وخلال تلك الفترة لم تكن هناك وسيلة للتمييز بين العملات الملكية والعملات المزيفة التي يسكها الأفراد. وتزييف الذهب كان أمر مكلف، لكن أي نقاش هندي ماهر يمكنه نقش وضرب العملات النحاسية التي تحمل قيمة التنكة بنفسه [١٣٩].

---

(135) Prasad, *History of mediaeval India*, p.273.

(136) Majumdar, *An advanced history of India*, p.319.

(١٣٧) عن الضرائب التي فرضها علاء الدين الخلجي انظر: برني، تاريخي فيروز شاهي، ص٢٩١.

(138) Haig, *Five questions*, p.370.

(139) Lane Poole, *Mediaeval India*, p.134 -135.

وكانت النتيجة طبيعية فقد أدى سك العملة الجديدة كما يقول برني [١٤٠] إلى تحول منزل كل هندي الى دار لسك العملة، وقام الهنود في الولايات المختلفة بسك اللكات والكارورات من العملات النحاسية. وبذلك تمكنوا من دفع الضرائب وشراء الخيول وكل الأنواع الطيبة الأخرى. وقد زاد غنى الراجات ورؤساء القرى وملاك الأراضي لكن الدولة كانت هي الخاسرة. وكان كل صانع للذهب يضرب العملات النحاسية في متجره وامتلأت الخزينة بتلك العملات. هذا الانخفاض في القيمة جعلها بعد فترة لا تساوى أكثر من حصاة أو كسرة خزف. والعملة القديمة بعد المذبحة التي تعرضت لها ظهرت بحوالي أربع أو خمس أمثال قيمتها.

وعندما انقطعت التجارة في كل جانب وأصبحت العملة النحاسية لا قيمة لها، اضطر السلطان إلى إلغائها وأعلن في حنق شديد أن حائزي العملات النحاسية يجب عليهم إحضارها إلى الخزانة واستبدالها بالعملة القديمة. وقد قام آلاف الهنود الذين كانوا يمتلكون الآلاف من هذه العملة النحاسية وكانوا لا يهتمون بها ويضعونها في جوانب بيوتهم بجانب أوعيتهم النحاسية بإحضارها للخزينة واستبدلوها بالتنكات الذهبية والفضية [١٤١].

بجانب ذلك قام السلطان محمد بن تغلق بتغييرات أخرى في النظام النقدي حيث أصدر عملة ذهبية جديدة هي الدينار وكانت تزن ٢٠٠ جرام. كما أصدر عملة فضية تزن ١٤٠ جرام بدلاً من العملات الذهبية والفضية القديمة التي كانت تزن ١٧٥ جرام. وقد أدى هذا الإجراء إلى هبوط قيمة الذهب قياساً إلى الفضة. وكانت الخزانة الإمبراطورية قد امتلأت بأعداد كبيرة من الفضة نتيجة الحملات على الدكن [١٤٢]. وسرعان ما امتدت يد الإصلاح إلى نظام الضرائب نفسه حين ألغى السلطان الكثير من الضرائب وأمر " برفع المكوس وألا يؤخذ غير العشر من الناس" [١٤٣]. وبذلك أزاح عن كاهل الناس الكثير من الأعباء.

واستمر هذا الوضع بالنسبة للضرائب على الأرض في عهد فيروز شاه حيث حدث تطور كبير في النظام الخاص بها؛ فقد تم إعادة تنظيم نظام الضرائب

---

[١٤٠] برني، تاريخي فيروز شاهي، ص ٤٨٥.

[١٤١] برني، تاريخي فيروز شاهي، ص٤٨٦.

[142] Majumdar, *An advanced history of India*, p.322.

[١٤٣] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص ٤٧٠.

على أساس عادل، وتم إلغاء كل الضرائب الغير قانونية التي فرضت في العهود السابقة لفيروز، حيث تم إلغاء ٢٣ ضريبة ولم تعد هناك ضرائب سوى المذكورة في القرآن وهي (الخراج، والزكاة، والجزية، والخمس) [١٤٤]. وبجانب هذه الضرائب كانت هناك ضريبة خاصة بالري وكانت تقدر بحوالي عشرة بالمائة من المحصول[١٤٥].

كما أصبح تقدير الضرائب على الأرض يتم بعد دراسة ظروف كل أرض وتم عمل استقصاء عن ملاك الأراضي الذين فقدوا أراضيهم، وطلب منهم أن يطالبوا بها بشكل قانوني. وقام السلطان بتعيين أحد كبار رجال بلاطه كمسئول عن تقدير الضرائب، وقام هذا الرجل بجولة عبر المملكة ووضع تقرير خاص ضمنه اقتراحاته لتحسين نظام الضرائب. وكان من أهم ما جاء بتقريره ضرورة أن تلقى الدولة من على كاهل المزارعين الكثير من الأعباء، مثل المطالبات التي كانوا مضطرين لدفعها للحكام المحليين سنويا [١٤٦].

وفيما يخص الضرائب على التجارة؛ كان السلطان محمد بن تغلق قد فرض ضرائب بقيمة الربع على كل الواردات ثم خفضها الى العشر أو الخمس. وبجانب ذلك كان يجبى ربع جتيل على كل تنكة من قيمة البضائع التي تباع. ثم قام فيروز شاه بإلغاء ذلك [١٤٧].

أما عن النظام النقدي في عهد فيروز شاه فيذكر المؤرخون المعاصرون لفيروز أنه أصدر عدة عملات جديدة، لكن الحقيقة أن معظم هذه العملات ترجع لعهد محمد بن تغلق[١٤٨]. وفيما يخص إدارة العملة فظلت غير فعالة وحالات التزوير وسك العملة المزيفة لم يكن يتم كشفها بسهولة. لكن على الجانب الآخر فإن فيروز شاه لم يهمل اهتمامات رعيته ولكي يسهل التعامل بين الفقراء قام بإصدار عملة صغيرة هي نصف وربع جتيل، كانت خليط من الفضة والنحاس[١٤٩].

---

[١٤٤] فيروز شاه، فتوحاتي فيروز شاهي، ص٣٧٧.

[١٤٥] فيروز شاه، فتوحاتي فيروز شاهي، ص ٣٦١.

[١٤٦] عفيف، تاريخي فيروز شاهي، ص ٣٧٤.

[١٤٧] عفيف، تاريخي فيروز شاهي، ص٣٧٥.

[148] Majumdar, *An advanced history of India*, p.322.

[١٤٩] عفيف، تاريخي فيروز شاهي، ص ٣٤٤ –٣٤٥.

الأسعار:

كانت الأسعار خلال عصر آل تغلق رخيصة بوجه عام، فقد ذكر العمري[١٥٠] أن أحدهم حدثه أنه أكل مع ثلاث رفاق له في مدينة دلهي لحم بقرى وخبز وسمن حتى شبعوا ولم يدفعوا سوى جتيل واحد. كما تحدث عن رخص أسعار المنتجات الهندية وقلة أثمانها [١٥١].

لكن على الجانب الآخر كانت هناك بعض الأزمات الاقتصادية التي حدثت خلال تلك الفترة، فخلال فترات الجفاف ارتفعت الأسعار حتى وصل سعر (مَن) القمح إلى ستة دنانير [١٥٢]. وكان ابن بطوطة شاهد عيان على هذه الحالة فقد روى أنه رأى ثلاث نسوة يقطعن قطعاً من جلد فرس نهر مات منذ أشهر ويأكلنه، وكانت الجلود تطبخ وتباع في الأسواق، وكان الناس إذا ذبح البقر أخذوا دمائها فأكلوها. كما ذكر أن آخرين رووا له أنهم قصدوا منزلاً ليبيتوا فيه فوجدوا به رجلاً بيده رجلاً آدمية يشويها في النار ويأكل منها [١٥٣].

ولم يقف السلطان ساكناً أمام هذه الظروف، بل حاول التخفيف عن رعيته في هذه الأزمات فأمر أن يعطى لجميع أهل دلهي نفقة ستة أشهر، وحتى يضمن العدالة في توزيع هذه المساعدات فإنه جعل ذلك يتم تحت أشراف الفقهاء والقضاة [١٥٤].

قائمة بأسعار بعض المنتجات خلال عهد محمد بن تغلق [١٥٥]

السلعة	السعر بالدرهم الهشتكانى
القمح	مَن ([١٥٦]) = درهم ونصف

[١٥٠] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٦٠.

[١٥١] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص ٤٢.

[١٥٢] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص٤٧٠.

[١٥٣] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص٥٠١.

[١٥٤] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص ٤٧٠.

[١٥٥] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص ٦٠ –٦١؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٨٥ –٨٦.

[١٥٦] المن: يساوى ٢٥,١١كجم تقريبا. انظر: هينتس فالتر، المكاييل والموازين وما يعادلها في النظام المتري، ت. كامل العسيلي، الأردن ١٩٧٠، ص٥٤.

الشعير	من = درهم
الأرز	من = درهمين إلا ربع
الحمص	من = نصف درهم
لحم البقر والماعز	٦ أستار [١٥٧] = ربع درهم
لحم الغنم	٤ أستار = ربع درهم
الأوز	طائر = درهمين
الدجاج	٤ طيور = درهم
السكر	٥ أستار = درهم
رأس الغنم الجيدة	٨ دراهم
البقرة الجيدة	١٦ درهم
سكر النبات	٤أستار = درهم

قائمة بأسعار بعض المنتجات في عهد فيروز شاه[١٥٨]

السلعة	السعر بالجتيل
قمح	من = ٨ جتيل
شعير	من = ٤ جتيل
حنطة	من = ٤ جتيل
سكر	ستر = ٣ جتيل

صفوة القول؛ أن الحياة الاقتصادية في الهند خلال عصر بنى تغلق قد شهدت مراحل متباينة من الانتعاش والخمول وفقا لطبيعة السلطة المركزية وسياسة السلاطين التي أثرت بشكل كبير على أنماط الإنتاج وطبيعة الحياة الاقتصادية. ومع التنوع الكبير في البيئة الهندية تنوعت الحياة الاقتصادية بكافة أشكالها؛ الزراعية، والصناعية، والتجارية. ويمكننا القول إن الحياة الاقتصادية خلال تلك الفترة تمثل نموذجاً فريداً في الدينامية والتنوع في التاريخ الاقتصادي للهند خلال عصورها الإسلامية.

---

[١٥٧] الستر: يساوى تقريبا ٤٦,٤ جم. انظر: هينتس، المكاييل والموازين، ص١٩.

[١٥٨] عفيف، تاريخي فيروز شاهي، ص٢٩٠.

خريطة لأهم مدن الهند خلال عصر آل تغلق

(نقلا عن: حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص١٢١).

العلاقات بين سلاطين دلهي والخلافة العباسية
دراسة فى الفكر السياسي لسلاطين دلهي
(٦٠٢ – ٨١٦هـ / ١٢١٠– ١٤١٤م)

العلاقات بين سلاطين دلهي والخلافة العباسية دراسة في الفكر السياسي لسلاطين دلهي (٦٠٢ – ٨١٦هـ / ١٢١٠– ١٤١٤م) [١]

لم يكن عصر سلاطين دلهي مجرد حقبة عادية فى تاريخ الهند الإسلامية، ولن نقع في شباك المبالغة إذا اعتبرنا أن هذه الحقبة تُعد واحدة من أهم وأبرز حقب هذا التاريخ؛ فخلال تلك الحقبة وصل النفوذ الإسلامى فى الهند إلى أقصى اتساع له، حين بسط هؤلاء السلاطين نفوذهم على معظم مناطق الهند، حقيقة أن هذا التفوق لم يكن طيلة هذه الحقبة، لكن مع ذلك يبقى لهذه الحقبة أهميتها ورونقها فى تاريخ الهند الإسلامية.

وقد صاحب هذه الأهمية اهتماماً مماثلاً من الباحثين بدراسة هذه الفترة، فخرجت عديد من الدراسات التي تناولت تاريخ السلطنة بشكل عام [٢]، أو إحدى الموضوعات من تاريخها [٣]. وتنوعت هذه الدراسات لتغطي معظم جوانب تاريخ هذه الحقبة: السياسية، والإدارية، والاقتصادية، والاجتماعية، والفكرية.

---

[١] نشر النص الأصلي لهذا المقال في مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد ٤٥، ٢٠٠٩.

[٢] انظر على سبيل المثال:

Majumdar, C., *The Delhi Sultanate*, (Bombay, 1960); Srivastava, L., *The Sultanate of Delhi (711-1526 A.D.)*, (Agra, 1966); Habib, M., Nizami, K., *The Delhi Sultanate (A.D. 1206–1526): A comprehensive history of India*. Vol. 5, (New Delhi, 1986); Chandel, S., *Early medieval state: A study of Delhi Sultanate*, (New Delhi, 1989).

[٣] انظر على سبيل المثال: محمود عرفة، النظم السياسية والاجتماعية بالهند في عهد بني تغلق ٨١٦–٧٢١هـ/١٣٢١–١٤١٤م)، حوليات كلية الآداب جامعة الكويت، ح١٨، الرسالة ١٢٨، ١٩٩٨؛ بيتر جاكسون، سلطنة دلهي: تاريخ سياسي وعسكري، ت. فاضل جكتر، الرياض ٢٠٠٣؛

Qureshi, I., *The administration of the Sultanate of Delhi*, (Lahore, 1944); Abdul Aziz, *Early Turkish Empire of Delhi*, (Lahor, 1949): Lal, S., *History of the Khaljis , A.D. 1290 – 1320* , (Allahabad, 1950); Habibullah, A., *The foundation of Muslim rule in India, a history of the establishment and progress of the Turkish Sultanate of Delhi 1206 – 1290*, (Allahabad, 1961); Mahdi, H., *Tughluq dynasty*, (Calcutta, 1963); Nigam, S., *Nobility under the Sultans of Delhi A.D. 1206–1398*, (Delhi, 1968); Habib, I., "Economic history of the Delhi Sultanate – an essay in interpretation", ***Indian Historical Review*** 4 (1977), pp.287-303.

وبرغم هذا التنوع إلا أن المكتبة العربية ما زالت تفتقر لدراسات كافية عن هذه الحقبة برغم أهميتها، ومن هنا جاء اهتمام الباحث بدراسة هذا العصر وتحديداً مجال الفكر السياسي؛ على اعتبار أنه المجال الأقل حظاً في الدراسات التي خرجت عن تلك الفترة. وعلى الرغم من وجود بعض الدراسات التى عنيت بالفكر السياسي الهندي في العصور الوسطى؛ لكنها كانت دراسات عامة تناولت هذا الموضوع بشكل عام [٤]، أو جزئية واحدة منه مثل الفكر السياسي في ضوء أحد المصادر التاريخية [٥]، وبقيت حالة لم تحظ بالاهتمام الكافي من الباحثين، برغم كونها واحدة من أبجديات الفكر السياسي لسلاطين دلهي؛ وهي رؤيتهم للخلافة الإسلامية، وعلاقتهم بالخلافة العباسية سواء في بغداد أو بعد ذلك في مصر. وهذا ما سوف تتناوله هذه الدراسة.

وتعول الدراسة على تحليل الفكر السياسي لسلاطين دلهي من حيث إطاره ومسبباته، ورصد طبيعة العلاقة بين هؤلاء السلاطين والخلافة العباسية في بغداد ومصر، وكذلك موقف الخلفاء العباسيين من هذا التوجه السياسي لسلاطين دلهي، وعلاقتهم بالقوى السياسية الهندية الأخرى المناوئة لهؤلاء السلاطين، لنرسم صورة واضحة لموقف كلا الطرفين من هذه العلاقة.

ويجدر بنا أن نعطي في البداية لمحة مختصرة عن أحوال الخلفاء العباسيين الذين عاصروا سلاطين دلهي، وكذلك لمحة مختصرة عن هؤلاء السلاطين، وبعض ملامح فكرهم السياسي حتى تكون الصورة واضحة المعالم.

صار العالم الإسلامي لأول مرة بدون خليفة عباسي [٦] بعد اجتياح التتار بقيادة هولاكو بغداد، وقتل الخليفة العباسى المستعصم بالله عام ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م

---

[٤] انظر على سبيل المثال:

Aziz, A. "Trends in the political thought of medieval Muslim India", ***Studia Islamica*** 17(1962), pp.121-130.

[٥] انظر على سبيل المثال:

Habib, M., *The political theory of the Delhi Sultanate: including a translation of Ziauddin Barani's Fatawa-i Jahandari, circa 1358-9 A.D.* Translated by: Asfar Umar Salim Khan, (New Delhi, 1961); Habib, I., " Barani's theory of the history of the Delhi Sultanate", ***Indian Historical Review*** 7 (1980-1), pp.99-115.

[٦] أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج٣، المطبعة الحسينية، القاهرة (د.ت)، ص١٩٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج٣، القاهرة ١٩٥٣، ص٢٥٩ – ٢٦٠.

على أيديهم مع أفراد أسرته. لكن الخلافة العباسية لم تنته بذلك؛ إذ نجا بعض أفراد البيت العباسي من مذبحة التتار ومنهم أمير يدعى (أبو القاسم أحمد) حفيد الخليفة العباسي الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ / ١١٧٩-١٢٢٥م)، واتجه إلى الشام عام ٦٥٧هـ/١٢٥٩م [٧]. ثم وصلت هذه الأخبار إلى السلطان المملوكي الظاهر بيبرس البندقداري (٦٥٨ – ٦٧٦م / ١٢٦٠ – ١٢٧٧م) في مصر من نوابه على الشام، فأرسل في طلبه حيث راودته فكرة إحياء الخلافة العباسية من جديد في مصر [٨].

وبعد وصول الأمير أحمد إلى مصر قام بيبرس وكبار رجال دولته بمبايعته، وأمر بنقش اسمه على السكة والدعاء له فى الخطبة عام ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م، ولقب بالمستنصر بالله [٩]. لكن بيبرس خشي على سلطته من وجود

---

[٧] ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض ١٩٧٦، ص٩٩ وما بعدها؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج١، حيدر آباد ١٩٥٤، ص ٤٨٥؛ المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفي زيادة، ج١، ق٢، القاهرة ١٩٥٨، ص٤٤٨.

[٨] عن الظروف التي دفعت الظاهر بيبرس للقيام بتلك الخطوة انظر:

علي إبراهيم حسن، دراسات في عصر المماليك البحرية ، القاهرة ١٩٤٨، ص٢٢١ – ٢٢٢؛ حامد زيان غانم ، صفحة من تاريخ الخلافة العباسية في ظل دولة المماليك: الخليفة المستعين بالله العباسي سلطان الديار المصرية، القاهرة ١٩٧٨، ص ١٨ – ١٩؛ عبد المجيد أبو الفتوح بدوي، الخلفاء العباسيون في ظل دولة المماليك، مجلة كلية دار العلوم جامعة القاهرة (مصر)، ع ٨، ١٩٧٨، ص١٧٩-١٩٦؛ أحمد حطيط، في الشرعيتين الروحية والزمنية في الإسلام الوسيط: الخلافة العباسية والسلطة المملوكية، مجلة الفكر العربي المعاصر (بيروت)، ١٩٩٠، ص٨١ ؛ زكي محمد عبد الله، مؤسسة الخلافة في العهد المملوكي (٦٥٩-٩٢٣هـ/١٢٦٠-١٥١٧م)، أطروحة ماجستير- الجامعة الوطنية (فلسطين)، ٢٠٠٤، ص٤٣-٤٥؛ جاسم محمد جاسم، جهود الأمراء المماليك في إحياء الخلافة العباسية، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية (العراق)، م١٥، ع١، ٢٠٠٨، ٢٣٣-٢٤٣؛

Ayalon, D., "Studies on the transfer of the Abbasid caliphate from Baghdad to Cairo ", ***Arabica***, 7(1960), pp.41-59; Holt, P., "Some observations on the Abbasid Caliphate of Cairo", ***Bulletin of the school of oriental and African studies***, 47 (1984), pp.510- 507.

[٩] المقريزي، السلوك، ج١، ص٤٥١؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق: رضوان جامع رضوان، القاهرة ٢٠٠٤، ص٥١١ وما بعدها.

الخليفة العباسي فأشار عليه بضرورة الرجوع إلى بغداد واستعادة عرشه هناك، وسرعان ما تم تجهيز الخليفة بعدد من الفرسان للرحيل إلى بغداد، وفى الطريق هاجمه التتار وقتلوه عام ٦٦٠هـ/١٢٦٢م [١٠]. وبعدها بحث بيبرس عن أمير آخر من البيت العباسي لينصبه خليفه، ووجد ضالته في أمير يدعى (أبو العباس أحمد)، فأرسل فى طلبه وبايعه بالخلافة عام ٦٦١هـ/١٢٦٣م، ولقب بالحاكم بأمر الله[١١]. ثم تعاقب بعد ذلك توارث الخلافة بين أفراد البيت العباسي في مصر خلال العصر المملوكي حتى نهايته، حيث انتهت بعد أن سيطر العثمانيون على الخليفة العباسي الأخير المتوكل على الله (٩١٤-٩٢٣هـ/١٥٠٨-١٥١٧م)، وقيام السلطان سليم الأول بنقله للقسطنطينية عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م[١٢].

أما عن التاريخ السياسي لسلاطين دلهي فينقسم إلى خمسة سلالات هى: المماليك (٦٠٢ – ٦٨٦هـ/ ١٢٠٦-١٢٨٧م)، الخلجيون (٦٨٩-٧٢٠هـ/ ١٢٩٠-١٣٢٠م)، آل تغلق (٧٢١ – ٨١٦ هـ/١٣٢١ – ١٤١٤م)، السادات (٨١٧-٨٥٥هـ/ ١٤١٤-١٤٥١م)، اللوديون[١٣] (٨٥٥-٩٣٢هـ/١٤٥١-

---

[١٠] العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٣، تحقيق: محمد عبد القادر خريسات، حسن محمد النابورة، العين ٢٠٠٤، ص٢٨١.

[١١] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ج٧، القاهرة ١٩٦٣، ص١١٨-١١٩؛ السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج٢، القاهرة ١٣٨٧هـ، ص٦١.

[١٢] عن ظروف نهاية الخلافة العباسية انظر: ابن اياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج٣، القاهرة ١٣١٢هـ، ص٢٢ وما بعدها؛ إبراهيم طرخان، مصر في عصر المماليك الجراكسة، القاهرة ١٩٥٩، ص٧٠-٧١؛ أحمد حطيط، في الشرعيتين الروحية والزمنية، ص٨٦؛ جاسم محمد جاسم، جهود الأمراء المماليك في إحياء الخلافة العباسية، ص٢٤٠.

[١٣] ينسب السادات إلى أسرة خضر خان التي قيل إنها تنحدر من سلالة النبي ﷺ، وينسب اللوديون إلى بهلول اللودي الذي انتزع حكم السلطنة بعد وفاة آخر حكام السادات، ولمزيد انظر: سرهندي، سرهندي، تاريخ مباركشاهي، به سعي وتصحيح هدايت حسن، تهران، ٢٠٠٣، ص١٩٣-٢٤٤؛ جاكسون، سلطنة دلهي، ص٥٦٠-٥٦٦؛

Richards, J., "The economic history of the Lodi period: 1451-1526", ***Journal of the Economic and Social History of the Orient*** 8 (1965), pp. 47-67; ‘Abdul Halim, M., *History of the Lodi Sultans of Delhi and Agra*, (Delhi, 1974); Mahajan, V., *History of medieval India*, Part I, (Delhi, 1991), pp. 237-244.

١٥٢٦م). وسنكتفى هنا بالحديث عن السلالات الثلاث الأولى؛ نظراً لطول الفترة التي تغطي عصر سلاطين دلهي من ناحية، وكذلك لأن السلالات الثلاث الأولى تعبر عن الفترة الذهبية للسلطنة في أوج قوتها على العكس من السلالتين الأخيرتين اللتين كانتا ظلاً للقوة السابقة للسلطنة بعد تمزقها وظهور سلطنات إسلامية أخرى منافسة لها. بجانب أن الفترة الأولى تمثل إلى حد بعيد نموذجاً واضحاً للفكر السياسي الذي اتبعه هؤلاء السلاطين في علاقتهم مع الخلافة العباسية من ناحية أخرى، بجانب أن المادة التاريخية المتوفرة لدينا تغطي هذه المرحلة بشي من التفصيل، في حين نفتقر لمادة تاريخية وافية تغطي هذه العلاقة خلال المرحلة الأخيرة من عصر سلاطين دلهي.

وكانت بداية المماليك الأتراك في الهند عام ٦٠٢هـ/١٢٠٦م بعد موت آخر سلاطين أسرة الغوريين [١٤] السلطان محمد الغوري دون وريث، فخلفه قائده قطب الدين أيبك (٦٠٢-٦٠٧هـ/١٢٠٦-١٢١٠م) الذي كان مملوكاً ثم أعتق وترقى حتى صار قائداً للجيش، ثم تولى حكم سلطنة دلهي واضعاً أسس حكم سلالة المماليك الهندية. ولم يستمر أيبك طويلاً في الحكم، فسرعان ما سقط صريعاً من فوق جواده ودق عنقه وهو يمارس هوايته الأثيرة مع كرة البولو[١٥]، ولم يترك السلطان أيبك وريثاً لعرشه سوى ابنه الوحيد آرام شاه، لكنه لم يستمر في

---

[١٤] قامت الدولة الغورية على أنقاض الدولة الغزنوية، وتنسب لمكان نشأة الغوريين وهي المناطق الجبلية المعروفة بغورستان. ولمزيد عنهم انظر: عصامي، فتوح السلاطين، تصحيح أوشا، جامعة مدراس ١٩٤٨، ص٦٨-٧١؛ بداوني: منتخب التواريخ، جلد أول، تصحيح: مولوي أحمد علي، تهران ١٣٨٦هـ، ص٦٦؛ فخر الدين مباركشاه، تاريخ مباركشاه في أحوال الهند، ت. ثريا محمد علي، القاهرة ١٩٩١؛ فرشته، تاريخ فرشته، جلد أول، تصحيح: محمد رضا نصيري، تهران ١٣٩٣ش، ص١٠-١٠٦؛ طارق فتحي سلطان، نشأة الإمارة الغورية، مجلة آفاق الثقافة والتراث، (الإمارات)، مج١٤، ع٥٤، ٢٠٠٦، ص١١٩-١٣١؛

Lane pool, S., *Medieval India under Mohammedan rule*, (London, 1903), pp.55-56; Habib, M. "Shahab-ud-Din of Ghor." ***Muslim University Journal*** 1 (1930), pp.10–55. Kieffer, C., Les Ghorides une grande dynastie nationale, ***Afghanstan***, 16(1961), pp.37-50; 17 (1962), pp.40-56.

[١٥] الجوزجاني، طبقات ناصري، كابل ١٣٩١هـ، ص٤١٥-٤١٧؛

Habibullah, A., *The foundation of Muslim rule in India*, p.89f.

الحكم سوى بضع شهور لعدم كفاءته فاتسم عهده بالاضطرابات والقلاقل مما دفع أحد القادة العسكريين وهو شمس الدين إلتُتْمش[١٦] (٦٠٨ – ٦٣٣هـ/١٢١٢ – ١٢٣٥م)، الذى كان هو الآخر مملوكاً لدى قطب الدين أيبك إلى انتزاع الحكم سنة ٦٠٨هـ/١٢١٢م[١٧]. وقد واجه إلتُتْمش صعوبات بالغة في تثبيت حكمه؛ تمثلت فى منافسة رفاقه من رجال أيبك، بجانب منافسة أمراء البنغال[١٨]. واستمر الحكم فى أسرته حتى عام ٦٦٤هـ/١٢٦٦م، فعقب وفاته سنه ٦٣٣هـ-١٢٣٥م اعتلت العرش ابنته رضية(٦٣٤-٦٣٧هـ/١٢٣٧-١٢٤٠م)[١٩]، واستمرت لثلاث سنوات بين مؤيد ومعارض لحكم النساء حتى قتلت وخلفها أخوها السلطان معز

---

[١٦] عن الصيغة الصحيحة لاسمه انظر: جاكسون، سلطنة دلهي، ص٧٠؛
Digby, S.,"Iletmish or Iltutmish? A reconsideration of the name of the Delhi Sultan", ***Iran***, 8 (1970), pp.57-64.

[١٧] عصامي، فتوح السلاطين، ص٨٥؛ الهروي: طبقات أكبري، ت. أحمد عبد القادر الشاذلي، ج١، القاهرة ١٩٩٥، ص٦٥-٦٦.

[١٨] عصامي، فتوح السلاطين، ص١١٤-١١٥؛ العوفي، لباب الألباب، بسعي واهتمام براون، جلد أول، ليدن ١٩٠٣، ص١١٥. ولمزيد من التفاصيل عن إلتُتْمش وعصره انظر: بداوني، منتخب التواريخ، جلد أول، ص٤١-٤٢؛ فرشته، تاريخ فرشته، جلد أول، ص١٤٢-١٤٦؛
Bartold, W., "Iltutmyš", ***ZDMG***, 61 (1907), p.192-193; Ahmed, A., "Sultan Shams-ud-Din Iltutmish", ***Indian Historical Quartarly***, 13 (1936), p.117f; Hambly, Gavin R. "Who Were the Chihilgani, the forty slaves of Sultan Shams al-Din Iltutmish of Delhi?" ***Iran*** 10 (1972): 57–62.

[١٩] الهروي: طبقات أكبري، ج١، ص٧٣؛ فخر الدين الحسيني: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بنزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج١، بيروت ١٩٩٩، ص٩٩؛ مختار العبادي، دولة سلاطين المماليك الأتراك في الهند وأوجه الشبة بينها وبين دولة المماليك الأولى في مصر، المجلة التاريخية المصرية، مجلد ١٢، ١٩٦٥، ص١٢٣. ولمزيد عن رضية انظر: سرهندي، تاريخ مباركشاهي، ص٢٣-٢٧؛ عصامي، فتوح السلاطين، ص١٣٧-١٤٠؛
Husain, S., *Riyazu-s-salatin; a history of Bengal*. Translated from the original Persian by: Salam, A., (Calcutta, 1902); Lane pool, S., *Medieval India from contemporary sources*, (Bombay, 1916), p.16; Iqbal, J., *Sultan Radiyya and her predecessors*, Ph.D. Calcutta University, 1975; Jackson, P., *Sultan Radiyya bint Iltutmish, in: Women in the medieval Islamic world*. Power, patronage and piety, (New York, 1998), pp.181-197

الدين بهرام شاه (٦٣٧-٦٣٩هـ/١٢٤٠-١٢٤٢م) [٢٠]، والذي سلك مسلكاً عنيفاً مع الأمراء والنبلاء فخلعوه وألقوا به في السجن، وجاء خلفا له السلطان علاء الدين مسعود شاه (٦٤٠-٦٤٤هـ/١٢٤٢-١٢٤٦م[٢١]، لكن ما لبث أن قتل، وجاء الى السلطنة أصغر أبناء إلتُتْمش وهو الأخ الأصغر للسلطانة رضية السلطان ناصر الدين محمود شاه (٦٤٤-٦٦٤هـ/١٢٤٦-١٢٦٦م)، وكان يتصف بالتعفف والأخلاق القويمة والزهد ، وعقب حكم طويل استمر ما يقرب من عشرين عاماً توفي سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٦م[٢٢].

تولى عرش السلطنة بعد ذلك الأمير غياث الدين بلبن (٦٦٤-٦٨٥هـ/١٢٦٦-١٢٨٧م)، وكان حاكماً قوياً شرساً ازداد في عهده نفوذ دلهي وقويت شوكة السلطنة [٢٣]، لكن وفاته عجلت بنهاية هذه السلالة بعد مقتل آخر سلاطينها عام ٦٨٩هـ/١٢٩٠م وانتقال الأمر للخلجيين[٢٤].

---

[٢٠] الجوزجاني، طبقات ناصري، ص٤٤٩.

[٢١] فرشته، تاريخ فرشته، جلد أول، ص١٥١-١٥٢.

[٢٢] برني، تاريخي فيروز شاهي، تصحيح: سيد أحمد خان، كلكتا ١٨٦٢، ص٣٠.

[٢٣] عصامي، فتوحات السلاطين، ص١٧٣. ولمزيد من التفاصيل عنه انظر:

Nizami, K., *Some Aspects of religion and politics in India during the 13th century*, (Aligarh, 1962), pp.140-143; Joshi, R., *The reign of the Sultan Balban*, (Delhi, 1982).

[٢٤] سرهندي، تاريخ مباركشاهي، ص٦٤. ولمزيد من الدراسات عن مماليك الهند انظر: نعمة علي مرسي، جيش الهند في العصر المملوكي من ٦٠٦-٦٨٩هـ / ١٢٠٦ -١٢٩٠م، مجلة الدراسات العربية (جامعة المنيا) -مصر، ع٥، ٢٠٠٠، ص١٥٢-٢١١؛

Jackson, P., "The "Mamlūk" institution in early Muslim India", ***Journal of the Royal Asiatic Society***, 2 (1990), pp.340-358; Kumar, S., "When slaves were nobles: The Shams! Bandagan in the early Delhi Sultanate", ***Studies in History***, 10 (1994), pp.23-52.

والخلجيون أصلهم من الترك الأفغانيين، وينتسبوا إلى موطنهم الأصلي في منطقة خلج بالقرب من غزنة، وكانت بداية ظهورهم في عصر الدولة الغورية، ثم زاد نفوذهم في عصر المماليك حتى استطاعوا اعتلاء عرش سلطنة دلهي. ولمزيد من التفاصيل عن هذه الأسرة وهذه الأحداث انظر: عصامي، فتوح السلاطين، ص٢٠١-٣٨٧؛ بداوني، منتخب التواريخ، جلد أول، ص٧٩-١٠٠؛ فرشته، تاريخ فرشته، جلد أول، ص ١٨٣-٢٣٢؛

Lane pool, *Medieval India*, pp.18-19; Prasad, I., "The rise and growth of Khilji imperialism", ***Journal of Indian History***, 1(1921-1922), pp.147-148; Day, U., "The North-West frontier under the Khalji Sultans of Delhi." ***Islamic Culture*** 39 (1963).

بـدأ حكـم الخلجيـين بـاعتلاء جـلال الـدين فيـروز شـاه (٦٨٩-٦٩٥هـ/١٢٩٠-١٢٩٦م) عرش السلطنة عام ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م، ولم يستمر حكم السلطان جلال الدين طويلاً؛ حيث انقلب عليه ابن أخيه الأمير علاء الدين الخلجي واغتاله سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م واعتلي العرش بدلاً منه، وخلال عهد علاء الدين وصلت السلطنة لأقصى اتساع لها في الهند [٢٥]. وخلفه ابنه قطب الدين مباركشاه (٧١٦-٧٢٠هـ/١٣١٦-١٣٢٠م) قبل أن يقتل الأخير على يد وزيره ويدعى خسرو شاه لينتهي حكم هذه الأسرة عام ٧٢٠/١٣٢١م [٢٦].

أما عن السلالة الثالثة من سلاطين دلهي؛ فكانت بداية حكم آل تغلق للهند عام ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م، حين ارتقى عرش دلهي غياث الدين تغلق (٧٢٠ – ٧٢٥هـ/ ١٣٢٠ – ١٣٢٥م). وكان غياث الدين جندياً بسيطاً لدى السلطان علاء الدين الخلجي واستطاع أن يرتقي لمرتبة القيادة [٢٧]. وكانت الأمور قد اضطربت فى نهاية عصر هذه الأسرة بعد مقتل مباركشاه على يد خسرو واعتلاء هذا

---

[٢٥] برني: تاريخي فيروز شاهي، ص٢٦١؛ عصامي، فتوح السلاطين، ص٦٠٤-٦٠٥. ولمزيد عن جلال الدين وعلاء الدين انظر: سرهندي، تاريخ مباركشاهي، ص ٦١-٨٢؛ جمال فوزي محمد، النشاط السياسي والحضاري للمسلمين في الهند في عهد السلطان علاء الدين الخلجي، المؤرخ العربي (القاهرة)، مج١، ع١٠، ٢٠٠٢، ص٤٩٥-٥٣٤؛

Abdur Rashid, Sh., *Jalal al-Din Firuz Khilji*, (Aligarh, (n.d); Kehrer, C., "The economic policies of 'Ala-ud-Din Khalji." ***Journal of the Punjab University Historical Society*** 16 (1963): 55–66; Siddiqi, I. H. "The nobility under Khalji Sultans." ***Islamic Culture*** 37 (1963), pp. 52–66; Habib, M., "The campaigns of 'Alauddin Khalji: Being the English translation of the Khazainul Futuh of Amir Khusrau." In collected works of Professor Muhammad Habib, politics and society during the early medieval priod. Edited by K. A. Nizami. Vol. 2 (New Delhi, 1981), pp. 149–270; Habib, I., "The price regulations of 'Ala'uddin Khalji: a defense of Ziya' Barani.", ***Indian Economic and Social History Research*** 21 (1984): 393–414.

[٢٦] أمير خسرو، تغلق نامه، تهذيب وتحشية سيد هاشمي، أورنجباد ١٩٣٣، ص٤٥؛ سرهندي، تاريخ مباركشاهي، ص٨٣. ولمزيد عن فترة حكم خسرو انظر:

Lal, S. "Sultan Nasir al-Din Khusrau Shah (1320 A.D.)." ***Journal of Indian History*** 23 (1944): 169–78

[٢٧] أمير خسرو، تغلق نامه، ص١٤١؛ عصامي، فتوح السلاطين، ص٣٨١.

الأخير لعرش السلطنة. وكان خسرو من أصل هندوكي فحاول إحياء التقاليد الهندوكية وأبدى استهتاره بالإسلام. وقد أثار ذلك مشاعر المسلمين فى السلطنة فاستنجدوا بغياث الدين الذي سرعان ما لبى ندائهم ونجح فى أن يلحق الهزيمة بخسرو واعتلى عرش سلطنة دلهي وبذلك بدأ حكم أسرة آل تغلق. وقد حكم غياث الدين قرابة خمس سنوات قبل أن يخلفه في الحكم ابنه محمد [٢٨].

وخلال عهد محمد بن تغلق (٧٢٥-٧٥٢هـ/١٣٢٥-١٣٥١م) وصلت سلطنة دلهي لأقصى اتساع لها، وامتد سلطانه ليشمل عدداً كبيراً من أقاليم الهند لم يتوافر أي سلطان قبله في تاريخ الهند [٢٩]. ثم توفى محمد تغلق أثناء إحدى حملاته العسكرية، ولم يكن له ولد فعهد بالملك من بعده إلى ابن عمه فيروز شاه[٣٠]. وكانت بعض أقاليم الهند قد استغلت وفاة محمد بن تغلق واستقلت عن حكم السلطنة، فحاول فيرو شاه (٧٥٢-٧٩٠هـ/١٣٥١-١٣٨٨م) استعادة هذه الأقاليم

---

[٢٨] لمزيد من التفاصيل عن فترة حكم غياث الدين تغلق انظر: أمير خسرو، تغلق نامه، ص ٧٢ وما بعدها؛ ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج٣، تحقيق: عبد الهادي التازي، الرباط ١٩٩٧، ص١٣٩-١٤٤؛ برني، تاريخي فيروز شاهي، ص٤٢٣-٤٥٤؛ سرهندي، تاريخ مباركشاهي، ص٩٢-٩٧؛

Banerji, S., "Ghiyasuddin Tughluq Shah as seen in his monuments and coins ", ***Journal of the United Provinces Historical Society***, 15 (1942), pp.45 – 54; Jauhri, R., "Ghyathu'd-din Tughluq – his original name and descent ", in: *Kumwar Muhammad Ashraf commemoration volume*, (Wiesbaden, 1966), pp.62-66.

[٢٩] العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ج٣، ص٣٨. ولمزيد من التفاصيل عن فترة حكم محمد بن تغلق انظر: ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص١٤٧ وما بعدها؛ برني، تاريخي فيروزشاهي، ص٤٥٥-٥٢٦؛

Wolseley, H., "Five questions in the history of the Tughluq dynasty of Delhi", ***Journal of the Royal Asiatic Society*** (1922), pp.319-372; Chaghati, M., "Muhamed bin Tughluq Shah ", ***Poona Orientalist*** 9, (1944), pp.58-61; Nizami, K., "Some documents of Sultan Muhammad bin Tuhghluq", ***Medieval India: a miscellany*** 1 (1969), pp.305-313; Husain, M., The rise and fall Muhammad bin Tughluq, (Delhi, 1972).

[٣٠] عن فترة حكمه انظر: مؤلف مجهول، سيرتي فيروز شاهي، دلهي ١٩٧٣؛ شمس سراج عفيف، تاريخ فيروزشاهي، تصحيح مولوي حسين، كلكتا ١٨٩٠؛ فيروزشاه، فتوحاتي فيروزشاهي، تصحيح عبد الرشيد، عليكرة ١٩٥٤؛

Riazul, I., "A review of the reign of Firoz Shah (1351–1388 A.D.)." ***Islamic Culture*** 23 (1949): 281–97.

لكنه لم يتمكن من استردادها كلها؛ نظراً لانصرافه عن الأعمال العسكرية واهتمامه بالمشروعات العمرانية في سلطنته. وفى سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م توفى فيروز شاه وكان قد عهد بالملك إلى حفيده ويدعى غياث الدين، لكن الأخير وكان صغيراً عديم الخبرة، فانصرف عن شئون الحكم إلى اللهو واللعب، وعامل الأمراء وكبراء السلطنة معاملة سيئة فثاروا عليه وقتلوه، ووقع بعد ذلك خلاف وصراع على الحكم بين محمد تغلق الثاني وابن عمه أبى بكر. وانتهى الصراع بجلوس محمد تغلق الثاني على العرش عام ٧٩٣هـ/١٣٩٠م، وبعد جلوسه بدأ يطارد ابن عمه أبى بكر والأمراء الآخرين الثائرين عليه. لكن محمد تغلق الثاني لم يعمر كثيرا فى الحكم إذ سرعان ما قضى نحبه عام ٧٩٥هـ/١٣٩٢م وارتقى العرش من بعده ابنه همايون شاه ولكنه توفى بعد أيام قليلة فخلفه أخوه ناصر الدين محمود تغلق .وخلال عهد الأخير تنافس أمراء ورجال الدولة فيما بينهم على السلطة ومظاهر النفوذ وأدى ذلك إلى استقلال الكثير من الإمارات والحصون عن السلطنة. ثم سرعان ما قدر لهذه الدولة أن تشهد نهايتها على يد المغول؛ حين زحف حفيد زعيمهم تيمورلنك على الهند وتمكن القضاء على سلطنة بنى تغلق عام ٨١٦هـ/١٤١٤م [٣١].

---

[٣١] لمزيد من التفاصيل عن أحداث تلك الفترة انظر: برني، تاريخي فيروز شاهي، ص٥٢٧ وما بعدها؛ سرهندي، تاريخ مباركشاهي، ص١٤١ وما بعدها؛ الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج١، القاهرة ١٩٥٧، ص١٦٩ –١٨٠؛

Banerjee, A., "A note on the succession of Firuz Shah ", ***Indian Culture*** 2, 1935-1936, 47-52; Basu, K., "Firuz Shah Tughluq as a ruler", ***Indian Historical Quarterly***, 17 (1941), 386-393.

وإذا ما انتقلنا من الأوضاع السياسية إلى الفكر السياسي، يمكننا أن نقر بأن الفكر السياسي لملوك الهند المسلمين فى العصور الوسطى بوجه عام كان يقوم بصورة أساسية على محاولة التوفيق بين الدين والدولة [٣٢]. وقد لاحظ البيروني [٣٣] هذا الأمر حينما تحدث عن وجود انسجام كامل بين الدين والدولة في المجتمع الهندي؛ ففى مجتمع تغلب عليه النزعة الدينية كان من أبجديات السلطة الحاكمة أن تقيم وزناً للدين في فكرها السياسي، وأن تربطه بشئون الحكم وسياسة الرعية، وفى مجتمع الهند الإسلامية لم يكن هناك أفضل من الخلافة – أعلى سلطة روحية في العالم الإسلامي حينها –لكي ترتبط بها النخبة الحاكمة فى ظل محاولتها للتوفيق بين الدين والدولة.

وقد عبر أحد الباحثين عن ذلك بقوله: "في الدولة الإسلامية، لم تكن دلهي عاصمة الإمبراطورية؛ بل كانت قوة الإسلام. والملك لم يكن حاكم الشعب؛ بل كان أمير المؤمنين، قاهر الكفار وحامى الإسلام. والجيش لم يكن جيشا ملكياً؛ بل كان عسكر الإسلام. قانون الدولة لم يكن قانون علماني أو انساني؛ بل كان شريعة الإسلام. الدولة لم تكن غاية في حد ذاتها، شأنها في ذلك شأن دولة الإغريق، بل وسيلة لخدمة مصالح الإسلام" [٣٤].

ولا أدل على قيمة الخلافة في فكر سلاطين دلهي مما أورده المؤرخ ورجل البلاط ضياء الدين برني(ت.٧٥٨هـ/١٣٥٧م)[٣٥] في كتابه (فتاوى جهانداري) عن الخلافة وفضلها، وما رسمه حولها من هالة مقدسة بوصفها النموذج الأسمى للحكم في التاريخ الإسلامي. ولا شك أن برني كان معبراً هنا –بوصفه رجل بلاط–عما يدور من فكر سياسي في وسط النخبة الحاكمة [٣٦].

---

(32) Aziz, *Trends in political thought*, p.121.

[٣٣] تحقيق ما للهند من مقولة، تحقيق ساخو، فرانكفورت ١٩٩٣، ص٢٣.

(34) Lal, S., *Early Muslims in India*, (New Delhi, 1984), p.90.

[٣٥] لمزيد من التفاصيل عن شخصية هذا المؤرخ انظر:

Habibuallah, M., "Re-evaluation of the literary sources of pre -Mughal history ", ***Islamic Culture***, 15 (1941), 207-206; Siddiqi, I., " Fresh light on Diyā᾽ al-Dīn Baranī: the doyen of the Indo-Persian historians of medieval India ", ***Islamic Culture***, 63 (1989), 69-84.

[٣٦] عن رؤية برني للخلافة في كتابه فتاوى جهانداري انظر:

Habib, *Ziauddin Barani's Fatawa-i Jahandari*, pp.33-34.

وفى ظل الظروف غير المستقرة لسلاطين دلهي فى بداية حكمهم، ومع أبجديات الفكر السياسى المترسخة فى أذهان حكام الهند المسلمين، وبرغم أن إلتتمش استخدم القوة العسكرية للحفاظ على سلطنته، فإنه كان فى حاجة لدعم معنوي لتقوية مركزه السياسى وسط رعيته المسلمة، ووسط النخبة الحاكمة الذين ينازعونه على عرش السلطنة. فى ظل ذلك لم يجد أفضل من الخلافة العباسية ليستعين بها على تحقيق أغراضه السياسية. فقد رأى أن الحصول على اعتراف رسمي من الخليفة العباسي بشرعية حكمه كفيل بأن يحقق ما يصبو إليه من ثقل سياسي.

ورغم أن المصادر المتاحة لدينا لم تقدم لنا ما يفيد قيام إلتتمش بالاتصال مباشرة بالخلافة العباسية في البداية لتحقيق هذا الأمر، إلا أن لدينا من القرائن ما يؤكد على هذا التوجه، فقد حرص إلتتمش على أن يحمل بعض الألقاب المرتبطة بالخلافة، وظهر ذلك على عملاته التي ضربها عامي ٦١٤هـ/١٢١٨م، و٦٢٢هـ/١٢٢٥م، حيث وصف نفسه فيهما بأنه: (برهان أمير المؤمنين)، و(يمين الخلافة)؛ كما حرص على ذكر اسم الخليفة العباسى المعاصر له وهو الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٨٠-١٢٢٥م) على عملاته التي ضربها، مع إضافة لقب (ناصر أمير المؤمنين) [٣٧]. كما نستشف من الجوزجاني [٣٨] في حديثه عن السفارة التي أرسلها الخليفة العباسي المستنصر بن الناصر (٦٢٣-٦٤٠هـ/١٢٢٦-١٢٤٢م) لدلهي عام ٦٢٥هـ/١٢٢٨م أن الخليفة العباسي الناصر أرسل سفارة للسلطان عام ٦١٧هـ/١٢٢٠-١٢٢١م برئاسة شيخ يدعى الحسن بن محمد الصغاني(ت.٦٥٠هـ/١٢٥٢-١٢٥٣م) [٣٩]، ربما للتفاوض حول الحصول

---

[٣٧] جاء على وجه العملة التي ضربها عام ٦٢٢هـ/١٢٢٥م: (لا إله إلا الله محمد رسول الله الناصر لدين الله أمير المؤمنين)، وعلى قفا العملة (السلطان الأعظم شمس الدنيا والدين أبو المظفر التتمش السلطان ناصر أمير المؤمنين)، عن عملاته التي أصدرها خلال عهد الخليفة الناصر انظر:

Garg, S., "Early Sultans of Delhi and the Caliph", ***Numismatic Digest*** 19 (1995), p.104.

[٣٨] طبقات ناصري، ص٤٣٩.

[٣٩] هو أبو الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر بن علي، كان فقيهاً حنفياً، هندي الأصل لكنه كان يعيش في بغداد. ولمزيد عنه انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، بيروت ٢٠٠١، ص٢٨٢-٢٨٤.

على البراءة السلطانية والتفويض بحكم الهند، لكن رسول الخليفة لم يعد إلى بغداد إلا عام ٦٢٤هـ/١٢٢٧م بعد وفاة الناصر. وهذه الإشارة توضح أن ذلك كان ردا بالتأكيد على سفارة سابقة من إلتتمش.

وبعد وفاة الناصر استمر الاتصال بين إلتتمش والخليفة الجديد المستنصر بن الناصر، وسرعان ما أثمرت هذه السياسة، حين أصبح إلتتمش أول سلطان هندي يحصل من الخلافة على البراءة السلطانية؛ حيث تلقى منشوراً بذلك من الخليفة العباسي المستنصر بالله عام ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م وذلك كتقليد شرعي بتنصيبه حاكماً على المناطق الخاضعة لنفوذه في الهند، بجانب الخلع والألوية السوداء شعار العباسيين [٤٠].

وحين وصل رسول الخليفة العباسي إلى دلهي، وكان هو نفسه الشيخ حسن الصغاني، تم استقباله استقبالاً حافلاً، حيث تزينت شوارع المدينة، وخرج سكانها عن بكرة أبيهم لاستقبال رسل الخليفة، وتسلم إلتتمش في سعادة البراءة السلطانية مع الألقاب التي خلعها عليه الخليفة مثل: (حامي الإيمان)، و(ناصر أمير المؤمنين) [٤١]. وتبع ذلك سك عملات احتفالاً بالوضع الجديد، ذكر عليها اسم الخليفة العباسي المستنصر، والألقاب الجديدة التي حصل عليها السلطان من الخليفة لتأكيد شرعية حكمه [٤٢].

---

[٤٠] أمير خسرو، إعجازي خسرو، لكنو ١٨٧٦، ص١٤؛ بداوني، منتخب التواريخ، جلد أول، ص ٤٥؛ فرشته، تاريخ فرشته، جلد أول، ص٢٣٦؛ جاكسون، سلطنة دلهي، ص٨٤-٨٥.

[٤١] الجوزجاني، طبقات ناصري، ص٤٣٩؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق: ريتر وآخرين، دمشق ١٩٣١، ص٢٤١؛ ابن الغوطي، الحوادث الجامعة، تحقيق: مصطفى جواد، بغداد ١٩٣٢، ص٢٦٢؛

Ahmed, R., *Foreign relations of Delhi Sultanate*, Ph.D. thesis, (Aligarh Muslim University), 1991, p.195.

[٤٢] جاء على وجه العملة (ضرب دهلي في عهد الإمام المستنصر)، وعلى قفا العملة (السلطان الأعظم شمس الدنيا والدين أبو المظفر إلتتمش ناصر أمير المؤمنين). وعن عملاته التي أصدرها خلال عهد الخليفة الناصر انظر:

Thomas, E., *Chronicles of the Pathan Kings of Delhi*, (London, 1871), pp.46, 52; Browne, M., *The coins of India*, (Calcutta, 1922), p.70; Lane pool, S., T*he coins of Sultans of Delhi in the British museum*, (London, 1884), p.13.

ورغم أن إلتتمش حرص على أن يذكر اسمه واسم الخليفة والألقاب باللغة العربية تقرباً من الخليفة العباسي، لكنه في الوقت نفسه ضرب عملات أخرى ذكر فيها اسم الخليفة العباسي المستنصر وهذه الألقاب باللغات الهندية [٤٣]، وقد فسر أحد الباحثين ذلك برغبة السلطان بأن يعرف الفقراء الهنود المسلمين من رعيته أن سلطانهم حصل على تفويض شرعي من الخليفة العباسي، وأن أرضهم أصبحت جزءاً من دار الإسلام، وأن حكام سلطنة دلهي هم الوحيدين المعترف بهم من الخليفة [٤٤].

وقد اغتنم إلتتمش فرصة اعتراف الخليفة بسلطته، فخرج يبغي القضاء على خصومه وتوسيع رقعة ملكه. وقد أثبتت تلك الحقيقة تأثير الخليفة على سلاطين دلهي، وأوضحت إدراكهم لأهمية السلطة الأخيرة للخليفة، ومع أن سلطة الخليفة على السلطان لم تكن أكثر من مجرد سلطة روحية فقط [٤٥].

والنقطة الجديرة بالاهتمام أن المنافس الرئيسي لإلتتمش، وهو غياث الدين عوض الخلجي حاكم البنغال روج لأخبار تفيد بأنه حصل هو الآخر على براءة سلطانية من الخليفة العباسي، وكان ذلك يعني اعترافاً من الخليفة بوجود سلطانين مسلمين في الهند في نفس الوقت، وربما يكون غياث الدين قد أرسل الهدايا والأموال للخليفة من أجل الحصول على هذا الاعتراف، لكن لا يوجد لدينا ما يؤيد صحة ما ادعاه حاكم البنغال [٤٦]، بجانب أن إلتتمش في النهاية هزم غياث الدين وأجبره على الاعتراف به كسلطان أعظم [٤٧].

---

[٤٣] انظر نموذج لهذه العملات في:

Garg, *Early Sultans of Delhi and the Caliph*, p.105.

[٤٤] انظر:

Qureshi, I., *The administration of the Sultanate of Delhi*, p.27.

(45) Tripath, P., *Some aspects of Muslim administration*, (Allahabad, 1936), p.26.

[٤٦] لمزيد من التفاصيل عن غياث الدين الخلجي وادعاءاته انظر:

Dani, A., "Did Ghiyāth-al-Dīn ‘Iwaḍ Khaljī of Bengal receive investiture from the Khalifah?", ***Journal of Pakistan Historical Studies*** 3 (1955), pp.105-117; Niyogi, R., "A unique coin from Bengal and a review of ‘Iwaḍ career", ***Journal of Numismatic Society of India*** 40 (1978-9), pp.42-52.

[٤٧] الجوزجاني، طبقات ناصري، ص ٤٤٠.

وقد سار خلفاء إلتتمش على نهجه في الارتباط بالخلافة، وضرب العملات مذكور عليها اسم الخليفة المستنصر ومن بعده الخليفة المستعصم، مع ذكر الألقاب المرتبطة بالخلافة، وحتى السلطانة رضية حرصت على ذلك فمنحت نفسها لقب (نصرة أمير المؤمنين) [٤٨].

واستمرت هذه العلاقة الروحية بين الجانبين، على الرغم من أن السلطان إلتتمش كان هو السلطان الهندي الوحيد الذي حصل على البراءة السلطانية من الخلافة، ولم يحصل عليها أي أحد من خلفائه من بعده رغم حرصهم على التقرب للخلافة، ثم جاءت صدمة سقوط الخلافة العباسية في بغداد ومصرع الخليفة المستعصم على يد التتار لتسبب أزمة لسلاطين دلهي. وعلى الرغم من انتهاء الخلافة العباسية بشكل مؤقت خلال هذه الفترة بعد مقتل آخر الخلفاء العباسيين في بغداد وعدم ظهور وريث له، فإن سلاطين دلهي حتى نهاية عصر المماليك استمروا في ذكر اسم المستعصم على عملاتهم مع تغيير بسيط وهو اختفاء الألقاب المرتبطة بالخلافة من هذه العملات[٤٩].

ولا شك أن الوضع الجديد كان مربكاً لسلاطين دلهي، ولم يجرؤ أحد منهم على حذف اسم الخليفة العباسي المستعصم رغم وفاته لسنوات طويلة. وقد رأى أحد الباحثين[٥٠] أن وجهة نظر سلاطين دلهي في تجاهل كارثة سقوط الخلافة العباسية في بغداد، واستمرار ذكر اسم المستعصم على عملاتهم أمر لا يمكن فهمه، خاصة أن أخبار سقوط الخلافة وصلت البلاط الهندي لأن الأمير محمد بن السلطان بلبن كان على علاقة بشعراء في البلاط العباسي[٥١]، وكانت هناك مراسلات بينهما، كما أن الجوزجاني وهو أحد موظفي البلاط قدم وصفاً كاملاً لما حدث في بغداد في كتابه [٥٢].

---

[٤٨] عن العملات التي ضربها خلفاء إلتتمش باسم المستنصر انظر:

Lane pool, *The coins of Sultans of Delhi*, pp.17-26; Rajgor, D., *Standard catalogue of Sultan coins of India, (Bombay*, 1991), p.67.

[٤٩] عن العملات التي ضربها خلفاء إلتتمش باسم المستنصر بدون ألقاب الخلافة انظر:

Garg, *Early Sultans of Delhi and the Caliphs*, pp.107-109.

[٥٠] انظر:

Qureshi, *The administration of the Sultanate of Delhi*, pp.27-28.

[٥١] برني، تاريخي فيروزشاهي، ص٦٨.

[٥٢] الجوزجاني، طبقات ناصري، ص١٥٠-١٥٤.

والواقع إن هذا السلوك من جانب سلاطين دلهي، والذين بدون شك لم تصلهم أخبار إحياء الخلافة العباسية من جديد في مصر حتى الآن، يمكن تفسيره في ضوء خشيتهم من تأثير اختفاء تأييد الخلافة لهم على موقفهم أمام رعيتهم من جهة، وأمام خصومهم ومنافسيهم من جهة أخرى. حقيقة أن إلتتمش كان السلطان الوحيد الذي حصل على الاعتراف بشرعية حكمه من الخليفة العباسي، وهو أمر لم يتسن لخلفائه طيلة أسرة المماليك أن يحصلوا عليه، لكنهم ربما اعتبروا أن هذا الاعتراف وما ارتبط به من ألقاب متوارث لخلفاء إلتتمش.

ومع مطلع عصر الأسرة الخلجية حافظ مؤسس الأسرة جلال الدين فيروز شاه الثاني على التقليد الذي سبقه إليه المماليك؛ فاستمر يذكر اسم الخليفة العباسى المستعصم على عملاته بنفس الطريقة التى تعبر عن الاحترام والتبجيل [٥٣]، برغم مقتل هذا الخليفة وظهور خلفاء عباسيون جدد فى مصر. ويبدو هنا أن جلال الدين سار على النمط التقليدي للفكر الذي اتبعه أسلافه في الالتصاق بالخلافة العباسية دون اتصال حقيقي بها؛ يدل على ذلك أنه ذكر على عملته اسم الخليفة العباسى الراحل دون أن يعنى بمعرفة وجود خلافة عباسية مستمرة في مصر.

ويبدو أن الشيوخ وكبار رجال السلطنة بدأوا يشعرون أن ذكر اسم الخليفة الميت في الخطبة وعلى العملات أمير غير مقبول، وربما طرحوا وجهة نظرهم على السلطان جلال الخلجي، لكن ورعه جعله يتخوف من إزالة اسم الخليفة المتوفى من عملاته فأبقى عليها كما رأينا، لكن خلفائه كانوا على استعداد لتغيير فكرهم؛ فمع اعتلاء ركن الدين إبراهيم شاه الأول العرش قام بحذف اسم الخليفة المستنصر من عملاته، لكنه حافظ على الصلة الروحية ولو بشكل نظري من خلال تلقب نفسه بلقب (ناصر أمير المؤمنين)، ونقش هذا اللقب على عملاته[٥٤].

---

[٥٣] جاء على وجه إحدى عملاته: (الإمام المستعصم أمير المؤمنين)، انظر:

Lane pool, *The coins of Sultans*, pp. 34-35; Garg, S., "Khalji Sultans and the Caliph", ***Numismatic Digest*** 29-30 (2005-2006), p.140-141.

[٥٤] جاء على وجه العملة (السلطان الأعظم جلال الدنيا والدين ناصر أمير المؤمنين)، انظر:

Qureshi, *The administration of the Sultanate of Delhi*, p.29; Garg, Khalji Sultans and the Caliph, p.142.

ومع اعتلاء علاء الدين الخلجي العرش بدأت ارهاصات التحول فى الفكر السياسي لسلاطين دلهي؛ فيبدو أن اتساع حجم السلطنة والفتوحات الكثيرة التى حققها هذا السلطان على جيرانه الهنادكة، بجانب كسره لشوكة المغول الذين هاجموا الهند خلال عهده [٥٥]. ويبدو أن كل ذلك قد أدخل قدر من الغرور فى نفس علاء الدين فتخيل نفسه فى مسوح الإسكندر المقدونى وتلقب بلقب الإسكندر الثاني، وتطلع لغزو العالم كله بل ذهب به الحال لأبعد من ذلك فأخذ يصرح فى مجالسه بأن قادته هم منه بمنزلة الخلفاء الراشدين من النبي ﷺ، وهو قادر بهم على تنظيم الدعوة لدين جديد يخرجون للتبشير به في العالم [٥٦].

وإذا كان افراد حاشيته لم يجرؤ أحدهم على مناقشة السلطان فى أفكاره الغريبة إلا أن عمه القاضى علاء الملك لم يقف ساكناً أمام شطط سلطانه موضحاً له أن النبوة لا تكون بوحي من البشر بل هي وحي إلهي، وأن مسألة فتح العالم فى هذا العصر أمراً مستحيلاً لاختلاف زمانه عن زمان الإسكندر اختلافاً تاماً [٥٧]. ويبدو أن كلمات القاضى علاء الدين قد وجدت آذاناً صاغية ولمست صوت العقل فى نفس السلطان، الذي سرعان ما نحى هذا التفكير جانباً وعاد ليسير على نهج أسلافه في الالتحاف بمسوح الخلافة العباسية، فاستخدم لقب ناصر أمير المؤمنين، بل وأضاف إليه لقب جديد وهو (يمين الخلافة) [٥٨].

والغريب أنه على الرغم من أن علاء الدين الخلجي لم يبد رغبة في تنصيب نفسه خليفة، فإن بعض رجال حاشيته مثل الشاعر أمير حسن سجزي

---

[٥٥] لمزيد من التفاصيل عن حملات علاء الدين الخلجي انظر: عصامي، فتوحات السلاطين، ص٢٤٩-٣٠٠؛ أمير خسرو، خزائن الفتوح، تصحيح وتحشية: سيد معين الحق، جامعة عليكرة الإسلامية، ١٩٢٧؛

Day, U., "The North-West frontier under the Khalji Sultans of Delhi", ***Islamic Culture*** 39 (1963), pp. 98-109; Habib, *Khazainul Futuh of Amir Khusrau*, pp. 149–270; Niazi, G., *The life and works of Sultan Alauddin Khalji*, (New Delhi, 1994), pp.151-170.

[٥٦] بداوني، منتخب التواريخ، جلد أول، ص١٣٧؛ فرشته، تاريخ فرشته، جلد أول، ص٣٥٣؛ الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، ص١٣٧.

[٥٧] برني، تاريخي فيروز شاهي، ص ٢٥٦؛ فرشته، تاريخ فرشته، جلد اول، ص٣٧٧-٣٨٠.

[٥٨] جاء على وجه إحدى عملاته: (إسكندر الثانى ناصر أمير المؤمنين يمين الخلافة) انظر:

Lane pool, *The coins of Sultans*, p.34; Garg, Khalji Sultans and the Caliph, p.143.

(ت.٧٣٨هـ/١٣٣٧م) [٥٩]، والشاعر المؤرخ أمير خسرو (ت.٧٢٥هـ/١٣٢٥م)[٦٠]، منحاه بكل بساطة لقب خليفة في بعض مؤلفاتهما [٦١]. وقد تساءل أحد الباحثين عن سر ذلك السلوك من رجال الحاشية، ولماذا قبل علاء الدين هذا الأمر في الوقت الذي لم يذكر ذلك في النقوش أو العملات الخاصة به [٦٢]. وقد رأى هذا الباحث أن تفسير ذلك مرجعه تملق رجال الحاشية، خاصة بعدما تنامت للبلاط أنباء عن أن الخلافة العباسية التي بعثت من جديد في مصر ليست سوى أطلال للخلافة السابقة، وأن الخلفاء العباسيين في كنف مماليك مصر لا حول لهم ولا قوة، في الوقت الذي تعاظمت فيه قوة سلطنة دلهي وصارت قبلة للفارين من الغزو المغولي للعالم الإسلامي [٦٣].

ونحن نتفق مع الباحث فيما ذهب إليه من دور الحاشية في منح لقب الخلافة للسلطان علاء الخلجي، ومداهنتهم له حتى أن حسن سجزي وصفه بأنه: (ظل الله على الأرض) [٦٤]. لكن نضيف إلى ذلك أن الأجواء العامة في البلاط كانت مهيئة لذلك بمباركة السلطان، الذي يبدو أنه كان يخطط لتلك الخطوة فعلياً

---

[٥٩] شاعر مشهور عاش في بلاط السلطان علاء الخلجي. ولمزيد عنه انظر:
Niazi, *The life and works of Sultan Alauddin*, pp.85-86.

[٦٠] هو شاعر وصوفي وعالم يعد من أشهر شعراء هذه الفترة، وكان ابناً لأحد غلمان السلطان إلتتمش العسكريين. ولمزيد عنه انظر:
Habib, M., *Hazrat Amir Khusrau*, (Calcutta, 1927); Mirza, W., *The life and works of Amir Khusrau*, (Calcutta, 1935); Askari, S., *Amir Khusrau as a historian*, 5 vols. (Patna, 1988); Sharma, S., *Amir Khusraw: the poet of Sufis and Sultans*, (Oxford, 2005).

[٦١] حسن سجزي، كلياتي حسن سجزي دهلوي، به اهتمام مسعود علي محوي، حيدر آباد ١٩٣٣، ص٤١٦-٤١٧؛ أمير خسرو، خزائن الفتوح، ص٦-٧.

[٦٢] لمزيد من التفاصيل عن النقوش الخاصة بعلاء الخلجي انظر على سبيل المثال:
Desai, Z., "The Chanderi inscription of ʿAlau'd-din Khalji", ***Epigraphia Indica. Arabic and Persian Supplement*** (1968), pp.4-10.

[٦٣] عن هذا الرأي انظر:
Qureshi, *The administration of Sultanate*, p.29-30.

[٦٤] حيث ذكر حسن سجزي في كلياته بأن العالم لا يستقيم حاله إلا في وجود سلطان، وأن السلطان هو ظل الله على الأرض:

جهان مضبوط تيغش طول با عرض هو السلطان ظل الله في الأرض

انظر: حسن سجزي، كليات حسن سجزي، ص٥٦٣.

لكنه تراجع عنها في النهاية بعد تدخل بعض العقلاء من حاشيته الذين خشوا عاقبة هذه الخطوة كما سبق ورأينا، يدل على ذلك أن الذي تراجع عنه علاء الخلجي أقدم ابنه على تحقيقه من بعده كما سنرى.

وعقب اعتلاء قطب الدين مباركشاه عرش السلطنة خلفاً لأبيه علاء الخلجي عام ٧١٥هـ/١٣١٦م؛ سار في البداية على نفس نهجه في حمل لقب يمين الخلافة في بداية حكمه، إلا أن ما لم يجرؤ على فعله الأب قام به الابن بكل ببساطة، فقد أقدم على خطوة غير مسبوقة باتخاذه لقب خليفة [٦٥]، حيث ذكر هذا اللقب على بعض عملاته [٦٦] وبعض النقوش الخاصة به [٦٧]، كما وصفت حاضرته دلهي بأنها (حضرة دار الخلافة) [٦٨].

وربما كان لقطب الدين دوافعه الخاصة بعيداً عن محاولة والده السابقة؛ فقد ورث إمبراطورية عظيمة بناها علاء الخلجي وكان حديث السن. وربما لم يهتم بإظهار الولاء لخليفة ميت، أو ربما فكر أنه طالما كان هناك خلافة في المدينة المنورة، ودمشق وبغداد، وقرطبة، ومؤخراً فى القاهرة؛ فلما لا يكون هناك خلافة أخرى في الهند، التي كان يرى أنها تتفوق على كل تلك البلاد.

ويبدو أن فكرة الخلافة كانت فكرة جسورة بالنسبة لمن جاؤوا بعد قطب الدين مباركشاه، ووجد السلاطين الآخرين أنها ربما تؤثر على وضعهم فى نظر

---

[٦٥] أمير خسرو، تغلق نامه، ص١٣٩.

[٦٦] جاء على وجه احدى عملاته التي ضربها عام ٧١٧هـ١٣١٧م: (الإمام الأعظم خليفة رب العالمين قطب الدنيا والدين أبو المظفر). انظر:

Lane pool, *The coins of Sultans*, p.44; Thomas, *Chronicles of the Pathan*, pp.179-83; Garg, Khalji Sultans and the Caliph, p.143.

[٦٧] جاء على إحدى النقوش الخاصة بهذا السلطان والتي عثر عليها في مدخل أحد المساجد براجستان النص التالي: ... ظل الله في الأرضين قطب الدنيا والدين غوث الإسلام والمسلمين وارث خلافة داود وسليمان أبي المظفر خليفة الله مباركشاه السلطان بن السلطان خلد الله خلافته ... انظر:

Yazdany, H., "Inscriptions of the Khalji Sultans of Delhi and their contemporaries in Bengal", ***Epigraphia Indo-Mmoslemica*** (1917-18), pp.41-42.

[٦٨] انظر:

Garg, *Khalji Sultans and the Caliph*, p.145.

رعيتهم من المسلمين [٦٩]، فاستبدلها ناصر الدين خسرو شاه سنة (٧٢٠هـ/١٣٢٠م) بلقب (ولى أمير المؤمنين)، فعاد بذلك مرة أخرى للاعتراف بالولاء للخليفة [٧٠]. ولكن هذه الخطوة لم تكن سوى مرحلة تمهيدية لانقلاب كبير كان يضمره خسرو حيث كان يضمر إحياء الهندوكية من جديد واسترجاع مجد الهنادكة القديم، فجمع حوله عصبة من مواطنيه عاهدوه على المضى فراحوا يحطون من قيم الإسلام فى استهتار وجرأة بالغة حتى اقتحموا المساجد واقاموا بها تماثيل للآلهة الهندية وجعلوا من المصاحف قاعدة لها [٧١]. ولا شك أن هذا التوجه كان يعنى تغير جديد فى الفكر السياسي لسلاطين دلهي، ونتج عنه بالطبع عدم الاهتمام بالخلافة سواء فى الناحية العملية أو حتى الرمزية.

ومع مطلع أسرة آل تغلق عادت الخلافة العباسية لتحتل مكانة مرموقة لدى سلاطين دلهي، ولا عجب فى ذلك فقد شهدت هذه الفترة ازدهاراً فى الفكر السياسي لاسيما فيما يتعلق بدور السلاطين نحو الإسلام، وظهر خلال تلك الفترة واحد من أشهر المنظرين للفكر السياسي فى تاريخ الهند الإسلامية وهو المؤرخ ضياء الدين برني من خلال كتابه (فتاوى جهانداري)، الذي يعادل في أهميته كتاب سياست نامه للوزير السلجوقى نظام الملك. وقد وضع في هذا الكتاب أهم القواعد السياسية التى يجب أن يسير عليها السلطان فى علاقته بالإسلام ورعيته المسلمة. ويبدو واضحاً تأثر سلاطين هذه الأسرة بما جاء فى هذا الكتاب، خاصة أن برني كان واحداً من أهم رجال البلاط فى عصر هذه الأسرة خاصة فى عهد محمد تغلق الذي كان يناظر برنى في محتوى هذا الكتاب [٧٢].

---

[٦٩] انظر:

Black, *The history of Islamic political thought*, p.160.

[٧٠] فقد جاء على إحدى عملاته: (خسرو شاه السلطان الواثق بنصر الرحمن ولى أمير المؤمنين). انظر:

Lane pool, *The coins of Sultans*, p.44; Garg, Khalji Sultans and the Caliph, p.148.

[٧١] فرشته، تاريخ فرشته، ص١٢٨؛ أمير خسرو، تغلق نامه، ص٢٤-٣٥.

[٧٢] انظر:

Hardy, P., "The "ortatio recta" of Barani "Ta'rikh-i- Firuz Shahi – fact or fiction ", ***Bulletin of the school of oriental and African Studies*** 20 (1957),p.317.

وفى البداية عاد مؤسس الأسرة غياث الدين تغلق لاستخدام لقب (ناصر أمير المؤمنين)[٧٣]، وكان هذا يعد أمراً طبيعياً مع سلطان ورع تقي مثله، لكن الغريب أن أحد الباحثين افترض أن هذا اللقب الذي اتخذه غياث الدين لم يكن يقصد به الخليفة العباسي؛ بل يقصد سيده والخليفة المزعوم (قطب الدين مباركشاه) [٧٤]. وهو افتراض غريب لم يقدم الباحث ما يؤكده، ويتناقض مع شخصية غياث الدين الذي لو أراد ذلك لنص عليه صراحة بذكره على عملته.

وخلال عهد ابنه محمد بن تغلق انتقل الفكر السياسى لسلاطين دلهى لمرحلة جديدة وهي الاتصال المباشر لأول مرة بالفرع الجديد للخلافة العباسية التى جرى إحيائها فى القاهرة، وهو الأمر الذي تجاهله أسلافه طيلة السنوات التي بعثت فيها الخلافة العباسية من جديد فى مصر. وكان هذا التوجه الجديد من جانب السلطان مرجعه إلى نصيحة معلمه (قطلغ خان) Qutlugh Khan، الذي أقنع تلميذه أن حكمه لن يكتسب الشرعية دون الحصول على تفويض من الخليفة العباسي، وأن المشكلات التي بدأت تتراكم أمام السلطان وفشل الكثير من مشاريعه تعود لذلك [٧٥]. وقد لقى هذا الكلام هوىً في نفس السلطان الذي كان يتوق إلى التخلص من المشكلات الكبيرة التي باتت تقض مضجعه.

وقد حرص السلطان على الاتصال بالخليفة العباسي المستكفي (٧٠١-٧٤٠هـ/١٣٠٢-١٣٤٠م) في القاهرة [٧٦]، ورغم هذه الصلات لم يحصل السلطان على البراءة السلطانية من الخليفة، لذلك بادر في عام ٧٤١هـ/١٣٤٠م بإرسال وفد من السلطنة لطلب هذا التفويض الشرعي رسمياً من الخليفة [٧٧]، وتبع ذلك

---

[٧٣] جاء على وجه إحدى عملاته: (تغلق شاه السلطان ناصر أمير المؤمنين)، انظر:
Lane pool, *The coins of Sultans*, p.50; Thomas, *Chronicles of the Pathan*, pp.189-190; Garg, S., "Tughluq Sultans and the Caliph", ***Numismatic Digest*** 32-33 (2008-2009), p.10.

[٧٤] عن هذا الافتراض انظر:
Day, U., *Some aspects of Medieval Indian history*, (Delhi, 1973), p.15.

[٧٥] برني، تاريخي فيروز شاهي، ص٤٩٢.

[٧٦] مجهول، رسالة في تاريخ السلاطين المماليك، نشر: زيترشتين، ليدن ١٩١٩، ص١٨٣.

[٧٧] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج٣، ص١٦٨.

بذكر اسم الخليفة المستكفي على العملات الهندية [٧٨]، ويبدو أن أخبار وفاة الخليفة لم تكن قد وصلت بلاط السلطنة بعد.

وبعد ثلاثة سنوات من سفارة محمد تغلق إلى القاهرة، استقبلت دلهي بحفاوة بالغة عام ٧٤٤هـ/١٣٤٣م مبعوث الخليفة العباسي ويدعى (الحاج سعيد الصرصري) ومعه التقليد الشرعي بحكم الهند مع الخلع والألقاب السلطانية. وكانت الخلافة في هذا الوقت قد انتقلت للخليفة الحاكم بأمر الله الثاني بن المستكفي (٧٤١-٧٥٣هـ/١٣٤١-١٣٥٢م). وكان استقبال مبعوث الخليفة ومرافقيه حافلاً، وكان يوماً مشهوداً في الحاضرة دلهي التي ارتدت ثوب الاحتفال وتزينت تكريماً لهذه الزيارة المرتقبة، وأصدر السلطان أوامره بنثر الذهب والفضة على الحشود التي جاءت للاحتفال بهذا التقليد [٧٩].

وتبع محمد تغلق هذه السفارة بسفارة جديدة للحصول على تفويض من الخليفة الحاكم بأمر الله برغم حصوله على تقليد سابق. وكان مبعوث السلطان يدعى (الحاج رجب البرقعي)، وقد مكث مبعوث السلطان في القاهرة عامان قبل أن يعود إلى الهند عام ٧٤٦هـ/١٣٤٣م يحمل التقليد الشرعي لسيده من الخليفة الحاكم بأمر الله، الذي حرص على أن يرسل معه أحد كبار رجاله وهو شيخ الشيوخ بديار مصر (ركن الدين الملطي) [٨٠].

ولا يبدو هنا أن السلطان اعتبر أن التقليد الأول كان من الخليفة المستكفي رغم أنه وصله بعد وفاة الأخير وأراد تقليداً جديداً؛ بقدر ما هو محاولة منه لتقوية مركزه الذي بدأ يتزعزع في الهند مع الثورات التي اندلعت في جميع أجزاء دولته. وفي هذا الموقف المتشابك سعى محمد بن تغلق للحصول على اعتراف

---

[٧٨] عن هذه العملات انظر:

Lane pool, *The coins of Sultans*, p.55-67; Garg, *Tughluq Sultans and the Caliph*, p.120.

[٧٩] عن هذه الزيارة ومظاهر الاحتفال انظر: ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج٣، ص ١٦٨ وما بعدها؛ برني، تاريخي فيروز شاهي، ص٤٩٢-٤٩٤؛ مجهول، سيرتي فيروز شاهي، ص٢٨٠-٢٨٢؛ بداوني، منتخب التواريخ، جلد أول، ص١٤١.

[٨٠] مجهول، سيرتي فيروز شاهي، ص٢٨٠-٢٨٢؛ الشجاعي، تاريخ السلطان الناصر محمد بن قلاوون وأولاده، تحقيق: برباره شيفر، فيسبادن (١٩٧٧-١٩٨٥)، ج١، ص٢٥٧-٢٥٨؛ المقريزي، السلوك لمعرفة الدول والملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة وآخرين، ج٣، القاهرة ١٩٣٤، ص٨٨٧.

من الخليفة العباسى فى مصر لتقوية سلطته، وقام محمد باستبدال اسمه باسم الخليفة على العملة والخطبة [٨١]، لكن مشروعه لم ينجح، فقد تصدع بقوة كبيرة وفاء وثقة شعبة بدرجة لم يكن من الممكن إصلاحها باعتراف الخليفة [٨٢].

وكانت تقواه الدينية إزاء الخليفة، وسلوكه الودي تجاه رسل الخليفة مثيرة للدهشة وأدت إلى تعجب برني، فقد ذكر أن إيمان السلطان العظيم بالخليفة جعله يقول: " لولا الخوف من خطر القراصنة واللصوص في الطريق لأرسلت كل خزائن دلهي إلى القاهرة[٨٣].

وكان هناك ابن للخليفة المستنصر العباسى يدعى (غياث الدين محمد) يقيم فى بلاد ما وراء النهر، فلما لمس من محمد بن تغلق تقديره للخلفاء العباسيين أرسل له برسولين، ولما تأكد السلطان من صحة نسبه عن طريق أحد كبار رجال الدين في سلطنته، وكان الأخير قد قابل غياث فى بغداد وتأكد من نسبه، رحب بهما وأجزل لهما العطاء كما أرسل الأموال والهدايا لغياث وطلب منه القدوم اليه. فلما قدم عليه قام باستقباله استقبالا لم يفعله مع شخص آخر بوصف ابن بطوطة، حيث خرج لاستقباله بنفسه على رأس كبار رجال دولته، وأصر على أن يأخذ بركاب غياث حتى أوصله لقصره، واعتذر له بأنه لا يمكنه مبايعته لأنه بايع الخليفة العباسي في القاهرة، فقبل منه ذلك وأكد له أنه على البيعة أيضا، كما خصه ببعض مظاهر للتكريم؛ حيث سمح له بالدخول عليه راكباً وهو ما لم يكن يسمح به لأحد، كما سمح له بالجلوس معه على بساط واحد، وأمر الناس بأن يخدمونه كما يخدمون السلطان. وبعد ذلك أغدق عليه الهدايا؛ حيث اقطعه مدينة سيرى، بجانب ١٠٠ قرية وحكم البلاد التى تقع شرق دهلي، بخلاف الهدايا الفخمة الأخرى من الأموال ونفائس مملكته (٤٠٠ ألف دينار، ٢٠٠٠ تنكة ذهبية، و٣٠٠ دينار يومى لنفقته، ٣٠ بغله بسروج ذهبية، والخدم والجواري) [٨٤].

---

[٨١] عن العملات التي ضربها باسم الحاكم بأمر الله ولم يذكر فيها اسمه انظر:
Lane pool, *The coins of Sultans*, p.71; Garg, *Tughluq Sultans and the Caliph*, p.120.

[82] Majumdar, M., *An advanced history of India*, (London, 1963), p.326.

[٨٣] برني، تاريخ فيروزشاهي، ص٤٩٣.

[٨٤] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج٣، ص ٢٨٦ – ٢٨٧.

وإذا كان كل ذلك منح لواحد من البيت الذي لم يعد له وجود، فكم كان مقدرا ما سيتم إرساله للخليفة فى مصر، ولا عجب أمام ما ابداه محمد تغلق من سخاء أنه استلم التقليد من الخليفة أكثر من مرة. ولم يكتف بهذه التكريم، فعندما غضب ابن الخليفة عندما استقبل محمد تغلق السلطان الغزنوي بهرام شاه (٥١١-٥٥١هـ/١١١٨-١١٥٧م)، وكان عل خلاف معه، وقرر ترك البلاد. أسرع السلطان لترضية الخليفة وحلف أن يدوس على عنقه وأصر رغم امتناع الخليفة[٨٥]. ورغم أن الكتبي[٨٦] يذكر أنه اتخذ لقب خليفة الله فى أرضه إلا أننا لم نجد ما يؤكد ذلك. والثابت أنه ذكر هذا اللقب على عملاته مقترناً باسم الخليفة العباسي المستكفي نفسه وليس هو [٨٧].

وقد سار خليفته فيروز شاه على نهجه بالتقرب للخلافة العباسية، فأرسل في مطلع عام ٧٥٤هـ/١٣٥٣م وفداً للقاهرة على رأسه شيخ الشيوخ المصري ركن الدين الملطي، مبعوث الخليفة السابق، والذي حظى بضيافة السلطان محمد تغلق حتى وفاته، وشيخ الإسلام الشيخ نصير الدين الأودهي[٨٨]. وقد رد عليه الخليفة العباسي المعتضد (٧٥٣-٧٦٣هـ/١٣٥٢-١٣٦٢م) في نفس العام بسفارة معها تفويض لفيروز شاه بحكم الهند، مع الخلع والهدايا والألقاب مثل (سيف الخلافة، وقسيم أمير المؤمنين) [٨٩]. وقد حرص فيروز شاه على ذكر هذه الألقاب على عملاته [٩٠].

---

[٨٥] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج٣، ص ٢٨٨.

[٨٦] الوافي بالوفيات، ج٣، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، بيروت ٢٠٠٠، ص١٤٣.

[٨٧] جاء على وجه العملة التي سكها عام ٧٤٢هـ/١٣٤٣م: (الإمام الأعظم خليفة الله في العالمين)، وعلى القفا (المستكفي بالله أمير المؤمنين). انظر:
Lane pool, *The coins of Sultans*, p.70.

[٨٨] بداوني، منتخب التواريخ، جلد أول، ص١٦٧. وشيخ الإسلام كان منصباً قضائياً رفيعاً في سلطنة دلهي. انظر: الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص١٢٣.

[٨٩] شمسي سراج عفيف، تاريخي فيروزشاهي، ص٢٧٤ – ٢٧٦.

[٩٠] فقد ذكر على وجه العملة: (في زمن الامام أمير المؤمنين أبو الفتح " المعتضد بالله" خلدت خلافته)، وعلى القفا: (السلطان الأعظم سيف أمير المؤمنين أبو المظفر فيروز شاه السلطاني خلدت خلافته). انظر:
Wright, N., *The coinage and metrology of the Sultans of Delhi*, (Delhi, 1936), p.172.

وعقب تولي المتوكل على الله الخلافة (٧٦٣-٧٨٥هـ/١٣٦٢-١٣٨٣م)، قام في العام التالي بإرسال بعثة للهند تحمل تفويضاً جديداً لفيروز شاه، وتمنحه لقب (سيد السلاطين) دون سائر حكام الهند الآخرين [٩١]. وفى كتابه فتوحاتي فيروز شاهي، اعترف فيروز شاه أن ذلك شرفاً عظيماً، وأن طاعته وولائه وخضوعه للخليفة، باعتباره خليفة للرسول، وأن سلطته تأكدت بواسطة مرسوم الخليفة الذي يؤكد سلطة الملوك، ولا يوجد ملك يأمن حتى يحصل على التقليد من الخليفة [٩٢]. وحتى نهاية عصر آل تغلق سار خلفاء فيروز على نفس سيرته فى تقديرهم للخلافة العباسية، واستمروا يذكرون اسم الخليفة المتوكل على عملاتهم[٩٣].

ويبدو هنا تساؤل هام للغاية لا بد أن نجيب عليه وهو، هل منْح الخلفاء العباسيين التقليد والخلع لسلاطين دلهى جعل من هؤلاء السلاطين تابعين للخلفاء سياسياً؟

فى الواقع يبدو من الصعوبة القول بذلك، ولا نميل لمشاركة وجهة النظر التى ترى أن استلام إلتتمش التقليد الرسمي من الخليفة العباسى جعل سلاطين دلهى أفضال مباشرين للخليفة [٩٤]. حقيقة أن كثير من هؤلاء حمل لقب نائب الخليفة؛ لكنه كان لقباً تشريفياً ليس أكثر فى ظل الفكر السياسي لهؤلاء السلاطين، لكن هذا اللقب لم يكن يترتب عليه أية تبعات سياسية أو عسكرية أو أية التزامات من جانب السلاطين نحو الخليفة باستثناء الأموال والهدايا التى ترسل فى بعض المناسبات.

---

[٩١] مجهول، سيرتي فيروزشاهي، ٢٨٣-٢٨٤؛ شمسي سراج عفيف، تاريخي فيروزشاهي، ص٢٧٦.

[٩٢] فيروز شاه، فتوحاتي فيرو شاهي، ص٢٥.

[٩٣] ومثال ذلك العملة التي ضربها تغلق شاه الثاني (٧٩٠-٧٩١هـ/١٣٨٨/١٣٩٨م)، عام ٧٩٠هـ/١٣٨٨م، حيث جاء على وجه العملة (في زمن أمير المؤمنين أبي عبد الله " المتوكل على الله" خلدت خلافته) انظر:

Wright, *The coinage and metrology of the Sultans of Delhi*, p.189-190; Garg, *Tughluq Sultans and the Caliph*, p.124.

[٩٤] عن هذا الرأي انظر:

Habibullah, A., *The Foundation of Muslim Rule in India*, p.233.

ولعل ما يدعم ذلك هو أن الخليفة العباسى نفسه لم تعد لدية أية سلطات سياسية على أى منطقة فى العالم الإسلامى بما فيها القاهرة نفسها، التي صارت مركزاً للخلافة العباسية ومسرحاً لفصل جديد من فصول الوجود الاسمي لهذه الخلافة.

وإذا ما انتقلنا إلى الأسباب التى جعلت السلاطين يحرصون على الالتحاف بمسوح الخلافة، والحصول على تقليد شرعى من الخليفة العباسي، فربما ناقشنا بعضها في سياق الأحداث السابقة، وبعضها سياسي يتعلق بالجذور الأولى لهؤلاء السلاطين، خاصة سلاطين المماليك الهنود الذين أرادوا الحصول على سند شرعي لحكمهم وإضفاء الصبغة الشرعية عليه، وهم بذلك كانوا أسبق من سلاطين المماليك فى مصر فى هذا التوجه. والآخر متعلق بارتباط الدين بشئون الحكم وسياسة الرعية فى مجتمع الهند الإسلامية.

ولا عجب أنه لا أحد من السلاطين الذين حكموا بين إلتتمش واللوديين رفض الخضوع الشرعى للخليفة العباسي باستثناء مباركشاه الخلجي، وكلهم ادعوا أنهم نواب للخليفة رأس العالم الإسلامى. وقد أعطى هذا الاعتراف للخليفة من قبل ملوك الهند المسلمين الهيبة والثروة. وأعطى السلاطين الهنود، وكان كثير منهم عبيد فى الأصل حالة شرفية فى العالم الاسلامى وصورة مرضية في الشريعة الإسلامية [٩٥].

والأكثر من ذلك أن تضمين اسم الخليفة فى الخطبة أدى لزيادة محبة السلطان لدى رعيته المسلمين. بجانب ذلك فإن الطريقة التى تم استقبال رسل وخلع الخليفة بها، تشير إلى أنها لم تكن فقط مجرد تبعية اسمية بل احترام وتقدير عميقين. وقد أمدت التبعية للخليفة قوة أخلاقية وشرعية للقوة السياسية للحكم الإسلامي في الهند [٩٦].

ومن الواضح أن هذه اللعبة السياسية لم تغب عن أذهان النخبة المسلمة الحاكمة خارج دلهي، فأقدموا على نفس الخطوات التى قام بها سلاطين دلهى من مخاطبة الخلفاء العباسيين والتلقب بالألقاب المتعلقة بالخلافة مثل نائب أمير المؤمنين أو ناصر أمير المؤمنين [٩٧]. وفى المقابل حصل بعضهم على اعتراف

---

(95) Tripath, *Some aspects of Muslim administration*, p.26.
(96) Lal, *The legacy of Muslim rule in India*, p.80.
(97) Thomas, *Chronicles*, pp.194, 197, 321-322l.

شرعي من الخليفة أيضاً. فقد حصل بعض سلاطين البنغال على تقليد من الخليفة العباسي بحكم الهند، فقد أرسل السلطان غياث الدين أعظم شاه عام ٨١٤هـ/١٤١٢م يطلب التقليد من الخليفة المستعين بالله (٨٠٨ – ٨١٦هـ /١٤٠٦–١٤١٤م) وأرسل إليه مالاً [٩٨]، لكن لا نعرف مصير هذه السفارة.

كما أرسل جلال الدين أبو المظفر محمد شاه إلى الخليفة العباسى المعتضد بالله أبى الفتح داود (٨١٦ – ٨٤٥هـ /١٤١٤–١٤٤١م) يطلب تقليداً بسلطنة الهند، فبعث إليه الخليفة الخلعة والتشريف مع بعض الأشراف [٩٩]. وقام جلال الدين بالتلقب بلقب (ناصر أمير المؤمنين وغوث الإسلام والمسلمين) (جلال الدنيا والدين أبو المظفر محمد شاه) [١٠٠].

وفيما يتعلق بموقف الخلفاء العباسيين من هذا التوجه فى فكر سلاطين دلهي، بدا لنا بوضوح أن الخلافة العباسية، التى كانت على وشك الاحتضار فى بغداد، لم يكن يعنيها وهي تقاسى ويلات الضعف لمن يذهب التقليد الخلافى بقدر ما كان يعنيها اهتمام سلاطين الهند بالحصول على الاعتراف الشرعي، وما يتبع ذلك من هدايا وأموال كانت فى أمس الحاجة إليها.

فالخلافة العباسية حتى بعد إحياء الخلافة فى مصر ظلت على وضعها الشكلى فى أغلب الأحيان، بل أحيانا ما لقت الكثير من الهوان على يد المماليك أنفسهم، وفى ظل هذه الأوضاع لم نكن نتوقع من الخليفة العباسى طموح أكثر من شعوره بقيمته الروحية على الأقل، والهدايا والأموال التي تنعش أحواله فى كثير من الأحيان. لذلك لم يكن الخليفة يتورع عن منح التلقيد الخلافى لأكثر من سلطان فى نفس الوقت برغم تنافسهما في الحكم، بل إن بعض الثوار من سلاطين دلهى استلموا التقليد والخلع الخلافية أيضاً.

---

[٩٨] السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٥٤٤.

[٩٩] ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص١٩٣.

[100] Goron, *The coins of the Indian sultanates*, p.113.

الجيش وتنظيماته في الهند في عصر بنى تغلق
(٧٢٠-٨١٥ هـ/١٣٢٠-١٤١٢م)

الجيش وتنظيماته في الهند في عصر بنى تغلق
(٧٢٠-٨١٥ هـ/١٣٢٠-١٤١٢م) [١]

تعتبر سلطنة بنى تغلق واحدة من أهم القوى الإسلامية التي ظهرت في الهند، وقد استطاعت تلك السلطنة أن تفرض سيطرتها على معظم أجزاء الهند[٢]، ولعبت دوراً هاماً في تاريخها جعلها تحظى بالعديد من الدراسات من قبل الباحثين[٣]، لكن أغلب هذه الدراسات اهتمت بالشقين السياسي والحضاري على حساب الدور العسكري لتلك السلطنة، وإن كانت هناك بعض الإشارات المقتضبة عن الجيش في هذه الفترة في بعض الدراسات التي تناولت عصر سلاطين دلهي (٦٠٢-٩٣٢هـ/١٢١٠-١٥٢٦م) [٤]، لكنها لم تكن كافية لترسم لنا صورة واضحة عن الجيش وأنظمته خلال عصر هذه الأسرة. وقد دفعني ذلك للاتجاه

---

[١] نشر النص الأصلي لهذا المقال في مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش – جامعة عين شمس، العدد ٣٣، ٢٠١٦.

[٢] راجع الخريطة الخاصة بحدود هذه السلطنة الملحقة بالبحث.

[٣] من هذه الدراسات على سبيل المثال: محمود عرفة، النظم السياسية والاجتماعية بالهند في عهد بنى تغلق (٧٢١-٨١٦ هـ/١٣٢١-١٤١٤م) حوليات كلية الآداب جامعة الكويت، الحولية (١٨)، ١٩٩٨؛ محمد نصر عبد الرحمن، الحياة الاقتصادية في الهند في عهد بني تغلق (٧٢١-٨١٦ هـ/١٣٢١-١٤١٤م)، حوليات إسلامية-المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، العدد ٤٢، ٢٠٠٨، ص١-٢٤؛ قمر شعبان الندوي، دلهي في عصر السلطان محمد تغلق شاه كما يراها ابن بطوطة، مجلة ثقافة الهند، م٦٦، ع٣، ٢٠١٥، ص١١٣-١٢٨؛

Haig, W., " Five questions in the history of the Tughluq dynasty of Delhi ", ***Journal of Royal Asiatic Society***, (1922), 365-372; Basu, K., "The house of Tughlaq (From the Tarikhi- Mubarakshahi) ", ***Journal of Asiatic Society of Bengal*** 26, (1930), 1-33; Mahdi, H., *Tughluq dynasty*, (Calcutta, 1963); Raza, J., Tughlaq administration in the light of epigraphic evidence, ***Indian Historical Conference: Proceedings***, *69th Session*, 2008, 230-239.

[٤] بيتر جاكسون، سلطنة دلهي: تاريخ سياسي وعسكري، ت. فاضل جكتر، الرياض ٢٠٠٣؛

Qurishi, I., *Administration of the Sultanate of Delhi*, (Karachi, 1958), 136-156; Day. U., Administrative system of Delhi Sultanate (1206-14130), (Allahabad, 1965), 115-133; Kumar, S.," Service, status, and military slavery in Delhi Sultanate: The Thirteenth and Fourteenth Century ", in: Chatterji and Eaton, eds. *Slavery in South Asian History*, (Indiana university press, 2006), 83-114.

لدراسة الجيش وتنظيماته خلال عصر بنى تغلق (٧٢٠-٨١٥ هـ/١٣٢٠-١٤١٢م)، في محاولة لإلقاء مزيد من الضوء على هذه الناحية نظراً لأهميتها في تاريخ هذه الأسرة بوجه خاص، وتاريخ الهند الإسلامية بوجه عام.

ومن حسن الحظ توافر بعض المصادر العربية والفارسية المعاصرة لحكم هذه الأسرة، والتي نقلت لنا صورة مقربة عن مظاهر الحياة فيها في نواحٍ متعددة، ومن أهم المصادر العربية كتاب رحلة ابن بطوطة للرحالة المغربي ابن بطوطة (ت.٧٧٩هـ/١٣٧٧م) [٥]، الذي زار الهند خلال عهد السلطان محمد تغلق(٧٢٥-٧٥٢هـ/١٣٢٥-١٣٥١م)، ومكث بها ثمانية سنوات وغادرها عام ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م، وضمن كتابه وصفاً هاماً لأهم مظاهر الحياة في الهند خلال تلك الفترة. وكتاب مسالك الأبصار للعمري (ت.٧٤٩هـ/١٣٤٨م) [٦]، الذي أفرد فصلاً فيه للحديث عن الهند خلال عهد محمد تغلق استناداً على بعض شهود العيان الذين عاصروا تلك الفترة. وكتاب صبح الأعشى للقلقشندي (ت.٨٢٠هـ/ ١٤١٨م) [٧]، والذي أفرد جزء من موسوعته للحديث عن الأوضاع في الهند خلال عهد محمد تغلق أيضاً اعتماداً على ما ذكره العمري وبعض المصادر الأخرى.

وهناك بعض المصادر الفارسية ومنها كتاب تغلق نامه [٨] لأمير خسرو (ت.٧٢٦هـ /١٣٢٥م) [٩]، وهو أديب وشاعر عمل ببلاط أول سلاطين هذه الأسرة غياث الدين تغلق (٧٢٠-٧٢٥هـ/١٣٢٠-١٣٢٥م)، وخصص الكتاب للحديث عن عهده. يضاف لذلك كتاب تاريخ فيروز شاهي [١٠] لضياء الدين برني (ت.٧٥٨هـ/١٣٥٧م)، وهو مؤرخ ومفكر عاصر فترة كل من محمد بن تغلق وخليفته فيروز شاه (٧٥٢-٧٩٠هـ /١٣٥١-١٣٨٨م)، ووضع عن تلك الفترة

---

[٥] ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج٣، تحقيق: عبد الهادي التازي، الرباط ١٩٩٧، ص٦٦-٢٤٩.

[٦] مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٣، تحقيق: كامل سالم الجبوري، بيروت ٢٠١٠، ص٣١-٨٠.

[٧] صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٥، القاهرة ١٩١٥، ص٦١-٩٤.

[٨] أمير خسرو دهلوي، تغلق نامه، تهذيب وتحشية سيد هاشمي فريد آبادي، أورنجباد ١٩٣٣.

[٩] هو شاعر وصوفي هندي عاش في بلاط الخلجيين وآل تغلق. ولمزيد عنه انظر:
Mirzam W., *The life and works of Amir Khusru*, (Calcutta, 1935); Sharma, S., *Amir Khusraw: Poets of Sultans and Sufis*, (oxford, 2005).

[١٠] ضياء الدين برني، تاريخ فيروز شاهي، تصحيح: سيد أحمد خان، كلكتا ١٨٦٢.

كتابه تاريخ فيروز شاهي، وهو يغطى فترة هذه الأسرة حتى الست سنوات الأولى من حكم فيروز شاه[١١]. وتأتي أهمية هذا الكتاب في أن برني كان واحداً من أهم رجال البلاط في عصر هذه الأسرة خاصة في عهد محمد تغلق، حيث كان نديماً للسلطان، وخدم في بلاطه طيلة سبعة عشر عاما [١٢].

وهناك أيضاً كتاب تاريخ فيروز شاهي لشمس سراج عفيف [١٣]، الذي يؤرخ لفترة حكم فيروز شاه، وهو العمل الوحيد الذي وصلنا لهذا المؤلف، ويبدو أنه كان جزءاً من عمل كبير يؤرخ لأسرة تغلق كلها [١٤]. وتأتى أهميته في أن عفيف كان ينتمي لأسرة خدمت البلاط التغلقي، وهو نفسه كان موظفاً في البلاط في عهد فيروز شاه مما جعله مطلعاً على الكثير من أحداث هذه الفترة [١٥].

وسوف نحاول في ضوء هذا الواقع أن ندرس تنظيمات الجيش خلال عصر هذه الأسرة، حيث سنتناول نظام الجيش وترتيبه، ورتب العسكر ورواتبهم، وعناصر الجيش وتعداده، وأسلحة الجيش وتعداده، والتخطيطات الحربية، والتحصينات العسكرية، ونشاط الجيش، ثم الأسطول ونشاطه.

---

[١١] لمزيد من التفاصيل عن شخصية هذا المؤرخ انظر:

Habibuallah, M., "Re-evaluation of the literary sources of pre - Mughal history ", ***Islamic Culture*** 15 (1941), 207-206; Siddiqi, I., " Fresh light on Diyā' al-Dīn Baranī: the doyen of the Indo-Persian historians of medieval India ", ***Islamic Culture*** 63 (1989), 69-84.

[١٢] برني، تاريخ فيروز شاهي، ص٥٠٤.

[١٣] شمس سراج عفيف، تاريخ فيروز شاهي، تصحيح: ولايت حسين، كلكتا ١٨٩٠.

[14] Kumar, R., *Essays on medieval India*, (Delhi, 2003), 88.

[١٥] عفيف، تاريخ فيروز شاهي، ص٤٨٧ –٤٨٨.

ولعل من المفيد في البداية أن نعطى لمحة مختصرة عن التاريخ السياسي لأسرة بنى تغلق حتى تكون الصورة واضحة المعالم. وكانت بداية حكم آل تغلق للهند عام٧٢٠هـ/١٣٢٠م حين ارتقى عرش دلهي السلطان غياث الدين تغلق (٧٢٠ – ٧٢٥هـ/ ١٣٢٠ – ١٣٢٥م)، وكان غياث الدين في بدايته جندياً في جيش أسرة الخلجيين[١٦] التي كانت تحكم الهند قبل آل تغلق، ويبدو أن غياث الدين استطاع أن يكسب ثقة السلطان علاء الدين الخلجي (٦٩٥-٧١٦هـ/١٢٩٥ -١٣١٦م) [١٧] فأصبح قائداً لجيشه بعد جهوده في قتال المغول على حدود الهند الغربية وما حققه من انتصارات في هذا الميدان[١٨]. ثم ساعدته الظروف في الوصول لعرش الهند بعد مقتل آخر سلاطين الخلجيين قطب الدين مبارك شاه (٧١٦-٧٢٠هـ/١٣١٦-١٣٢٠م) على يد قائده نصير الدين خسرو عام ٧٢٠هـ/١٣٢١م، واعتلاء هذا الأخير لعرش السلطنة، وكان خسرو من أصل

---

[١٦] الخلجيون أصلهم من الترك الأفغانيين، وينتسبوا إلى موطنهم الأصلي في منطقة خلج بالقرب من غزنة، وكانت بداية ظهورهم في عصر الدولة الغورية، ثم زاد نفوذهم في عصر المماليك حتى استطاعوا اعتلاء عرش سلطنة دلهي. ولمزيد من التفاصيل عن هذه الأسرة وهذه الأحداث انظر: عصامي، فتوح السلاطين، تصحيح أوشا، جامعة مدراس ١٩٤٨، ص٢٠١-٣٨٧؛ بداوني، منتخب التواريخ، جلد أول، تصحيح: مولوي أحمد علي، تهران ١٣٨٦هـ، ص٧٩-١٠٠؛ فرشته، تاريخ فرشته، جلد أول، تصحيح: محمد رضا نصيري، تهران ١٣٩٣ش، ص ١٨٣-٢٣٢؛ الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج١، القاهرة ١٩٥٧، ص ١٣٢-١٤٨؛

Lane pool, Medieval India, pp.18-19; Prasad, I., "The rise and growth of Khilji imperialism", ***Journal of Indian History***, 1(1921-1922), 147-148; Day, U., "The North-West frontier under the Khalji Sultans of Delhi." ***Islamic Culture*** 39 (1963).

[١٧] هو أشهر سلاطين الدولة الخلجية ولمزيد عنه انظر: عصامي، فتوحات السلاطين، ص٢٤٩-٣٠٠؛ أمير خسرو، خزائن الفتوح، تصحيح وتحشية: سيد معين الحق، جامعة عليكرة الإسلامية، ١٩٢٧؛

Habib, M., "The campaigns of 'Alauddin Khalji: Being the English translation of the Khazainul Futuh of Amir Khusrau." In collected works of Professor Muhammad Habib, politics and society during the early medieval period. Edited by K. A. Nizami. Vol. 2 (New Delhi, 1981), 149–270; Niazi, G., *The life and works of Sultan Alauddin Khalji*, (New Delhi, 1994).

[١٨] أمير خسرو، تغلق نامه، ص١٤١؛ عصامي، فتوح السلاطين، ص٣٨١.

هندوكي فحاول إحياء التقاليد الهندوكية، وقد أثار ذلك مشاعر المسلمين في السلطنة فاستنجدوا بغياث الدين الذي سرعان ما لبى ندائهم وتحرك صوب العاصمة دلهي بعد أن انضم إليه بعض الأمراء المسلمين ونجح في أن يلحق الهزيمة بخسرو وتولى عرش السلطنة، وبذلك بدأ حكم أسرة آل تغلق [١٩]. وقد حكم غياث الدين قرابة خمس سنوات قبل أن يخلفه في الحكم ابنه محمد [٢٠].

وخلال عهد محمد بن تغلق (٧٢٥-٧٥٢هـ/١٣٢٥-١٣٥١م) وصلت سلطنة دلهى لأقصى اتساع لها، وامتد سلطانه ليشمل عدداً كبيراً من أقاليم الهند لم يتوافر أى سلطان قبله في تاريخ الهند. ثم توفى محمد تغلق أثناء إحدى حملاته على بلاد السند ولم يكن له ولد فعهد بالملك من بعده إلى ابن عمه فيروز شاه تغلق(٧٥٢-٧٩٠هـ/١٣٥١-١٣٨٨م) [٢١]. وكانت بعض أقاليم الهند قد استغلت وفاة محمد بن تغلق واستقلت عن حكم السلطنة فحاول فيروز شاه استعادة هذه

---

[١٩] سرهندي، تاريخ مباركشاهي، به سعي وتصحيح هدايت حسن، تهران، ٢٠٠٣، ص٨٣. ولمزيد عن فترة حكم خسرو انظر:

Lal, S. "Sultan Nasir al-Din Khusrau Shah (1320 A.D.)." ***Journal of Indian History*** 23 (1944): 169–78

[٢٠] لمزيد من التفاصيل عن فترة حكم غياث الدين تغلق انظر: أمير خسرو، تغلق نامه، ص ٧٢ وما بعدها؛ ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص١٣٩-١٤٤؛ برني، تاريخ فيروز شاهي، ص٤٢٣-٤٥٤؛ سرهندي، تاريخ مباركشاهي، ص٩٢-٩٧؛

Banerji, S., "Ghiyasuddin Tughluq Shah as seen in his monuments and coins ", ***Journal of the United Provinces Historical Society***, 15 (1942), 45 – 54; Jauhri, R., "Ghyathu'd-din Tughluq – his original name and descent ", in: *Kumwar Muhammad Ashraf commemoration volume*, (Wiesbaden, 1966), 62-66.

[٢١] لمزيد من التفاصيل عن فترة حكم محمد بن تغلق انظر: ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص١٤٧ وما بعدها؛ برني، تاريخ فيروز شاهي، ص٤٥٥-٥٢٦؛ عصامي، فتوح السلاطين، ص٤٢٣-٤٦٥؛ سرهندي، تاريخ مباركشاهي، ص٩٧-١١٧؛

Wolseley, H., "Five questions in the history of the Tughluq dynasty of Delhi", ***Journal of the Royal Asiatic Society*** (1922), 319-372; Lane pool, S., *Medieval India*, p.22-24; Husain, *Tughluq dynasty*, 91-110; Chaghati, M., "Muhamed bin Tughluq Shah ", ***Poona Orientalist*** 9, (1944), 58-61; Nizami, K., "Some documents of Sultan Muhammad bin Tuhghluq", ***Medieval India: a miscellany*** 1 (1969), 305-313; Husain, M., *The rise and fall Muhammad bin Tughluq*, (Delhi, 1972).

الأقاليم لكنه لم يتمكن من استردادها كلها نظراً لانصرافه عن الأعمال العسكرية واهتمامه بالمشروعات العمرانية في سلطنته. وفى سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م توفى فيروز شاه [٢٢]. وكان قد عهد بالملك إلى حفيده ويدعى غياث الدين، لكن الأخير وكان صغيراً عديم الخبرة فانصرف عن شئون الحكم إلى اللهو واللعب، وعامل الأمراء وكبراء السلطنة معاملة سيئة فثاروا عليه وقتلوه، ووقع بعد ذلك خلاف وصراع على الحكم بين محمد تغلق الثاني وابن عمه أبى بكر. وانتهى الصراع بجلوس محمد تغلق الثاني على العرش عام ٧٩٣هـ /١٣٩٠م، وبعد جلوسه بدأ يطارد ابن عمه أبى بكر والأمراء الثائرين عليه.

لكن محمد تغلق الثاني لم يعمر كثيرا في الحكم إذ سرعان ما قضى نحبه عام ٧٩٥هـ/١٣٩٢م وارتقى العرش من بعده ابنه همايون شاه ولكنه توفى بعد أيام قليلة فخلفه أخوه ناصر الدين محمود تغلق .وخلال عهد الأخير تنافس أمراء ورجال الدولة فيما بينهم على السلطة ومظاهر النفوذ وأدى ذلك إلى استقلال الكثير من الإمارات والحصون عن الدولة. ثم سرعان ما قدر لهذه الدولة أن تشهد نهايتها على يد المغول حين زحف حفيد زعيم المغول تيمورلنك على الهند وتمكن القضاء على سلطنة بنى تغلق عام ٨١٦هـ/١٤١٤م [٢٣].

الجانب العسكري في سلطنة آل تغلق:

كان عصر بنى تغلق والذي امتد قرابة قرن من الزمان عبارة عن معارك متواصلة ضد الممالك الهندية المجاورة لهم، وضد حركات التمرد التي اندلعت

---

[٢٢] عن فترة حكمه انظر: مؤلف مجهول، سيرتي فيروز شاهي، دلهي ١٩٧٣؛ شمس سراج عفيف، تاريخ فيروز شاهي؛ فيروز شاه، فتوحاتي فيروز شاهي، تصحيح عبد الرشيد، عليكرة ١٩٥٤؛

Riazul, I., “A review of the reign of Firoz Shah (1351–1388 A.D.).” ***Islamic Culture*** 23 (1949): 281–97.; Qadir, K., "Firoz Shah Tughlaq: a personality study". ***Journal of Central Asiatic*** 9 (1986), n.2, 17-39; Lane pool, *Medieval India*, 28-29; Husain, *Tughluq dynasty*, 385-443.

[٣٢] لمزيد من التفاصيل عن أحداث تلك الفترة انظر: برني، تاريخ فيروزشاهي، ص٥٢٧ وما بعدها؛ سرهندي، تاريخ مباركشاهي، ص١١٩ وما بعدها؛

Banerjee, A., "A note on the succession of Firuz Shah ", ***Indian Culture*** 2, 1935-1936, 47-52; Basu, K., "Firuz Shah Tughluq as a ruler ", ***Indian Historical Quarterly***, 17 (1941), 386-393.

ضدهم، بجانب مشروعاتهم التوسعية العسكرية، لذلك اتصف حكم هذه الأسرة خاصة خلال النصف الأول من عمرها بالطابع العسكري. وقد اكتسب الجيش أهمية بالغة في فكر سلاطين بنى تغلق، ولا أدل على ذلك مما عبر عنه أحد مؤرخي البلاط بقوله: أن الملك يرتكز على دعامتين، الأولى الإدارة الحازمة والنزيهة والثانية الجيش القوي [٢٤]. في حين رأى أحد وزراء هذه السلطنة أنه ينبغي للدولة أن يكون لها غايتين، أولهما ازدهار المملكة وحماية الشعب، وثانيهما القضاء على الوثنيين وتوسيع المملكة [٢٥]. وتعبر تلك الرؤية عن الفكر العام الذي كان يسود سلطنة بنى تغلق فيما يخص الجيش ومدى الاهتمام به.

وضاعف من تلك الأهمية أن سلطنة بنى تغلق التي امتدت عبر أرجاء الهند كانت أشبه بجزيرة منعزلة وسط محيط معادى، فقد كانت السلطنة قوة إسلامية وسط ممالك الهندوس الوثنية المعادية لها، لذلك كان جهد سلاطين بنى تغلق الأساسي بل الكلى منصرفاً نحو تعزيز وجودهم هناك، وشن الحرب باستمرار في الجغرافية التي يسيطرون عليها، وضد حركات التمرد والعصيان، وفى الجغرافية المحيطة التي يطمع بالتوسع فيها أو التي يعاديه حكامها. وهذه الغايات لم يكن لتحدث دون وجود جيش قوى يحققها.

وهناك مرحلتين تاريخيتين متمايزتين من عمر سلطنة آل تغلق في جانبها العسكري: الأولى امتدت من تأسيس السلطنة على يد غياث الدين تغلق حتى نهاية عصر خليفته وابنه محمد بن تغلق، وتميزت بتكوين جيش ضخم قوى وتحقيق انتصارات عديدة تمكنت من تثبيت ركائز الحكم لآل تغلق. وقد ساعد على ذلك أن مؤسس هذه الأسرة كان رجلاً عسكرياً ترقى من جندي صغير إلى أحد قادة الجيش في عصر الخلجيين، وحين واتته الظروف وانفرد بعرش الهند، سار على دربهم في الاهتمام بالجيش وتقويته.

أما عهد السلطان محمد بن تغلق فشهد اهتماماً غير مسبوق بالجيش، حيث اهتم بتكوين جيش قوى كان الأضخم عدداً في تاريخ الهند الإسلامية، وكان دافعه في ذلك أمرين: الأول هو رغبته في بسط سيطرته على الهند والقضاء على ما يترتب على ذلك من حركات تمرد داخلية. وقد نجح في ذلك حيث بسط نفوذه

---

[٢٤] برني، تاريخ فيروز شاهي، ص٣١٧.

[٢٥] عفيف، تاريخ فيروز شاهي، ص٢١.

على العديد من المناطق لم تتوافر لأي سلطان من قبله في تاريخ الهند [٢٦]، كما نجح في التصدي للكثير من حركات التمرد التي اندلعت ضده [٢٧].

والأمر الثاني كانت مشروعاته العسكرية الكبيرة لغزو كل من خراسان والعراق والصين، فقد كان السلطان محمد يخطط لغزو خراسان بتشجيع من الأمراء والحاشية الخراسانيين [٢٨]، والذين كانوا يملؤون بلاطه وشكلوا جزءاً هام من جيشه، حيث جذبهم سخاؤه وحسن تعامله معهم [٢٩]. وعلى الرغم من أن هذا المشروع لم يتحقق فإنه كان من ضمن مخططات محمد بن تغلق، لكن يبدو أن عقبات مالية نتيجة الظروف الاقتصادية التي مرت بها السلطة قد أجهضت هذا المشروع.

كما كان يخطط لغزو الصين [٣٠]، ربما لمناطحة المغول الذين سبق وهددوا سلطنته، لكن يبدو أنه سرعان ما عدل عن هذا المشروع بعد أن أدرك عدم جدواه، وفضل الطرق الدبلوماسية في التعامل معه وظهر ذلك في السفارة التي أرسل فيها ابن بطوطة لملك الصين [٣١]. يضاف لذلك أنه خطط لغزو العراق[٣٢]، ربما متأثراً بعلاقته بالبيت العباسي سواء الخليفة العباسي الموجود بمصر[٣٣] والذي وصلت أخباره إلى بلاط السلطان وسارع بالاتصال به.أو الأمير

---

[٢٦] برني، تاريخ فيروز شاهي، ص٤٦٨.

[٢٧] انظر نماذج لتلك الحركات لدى: ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ص١٩٩ وما بعدها.

[٢٨] برني، تاريخ فيروز شاهي، ص٤٧٦.

[٢٩] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص٢١٣.

[٣٠] تاريخ فرشته، ج١، ص٢٤٠.

[٣١] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ص٢٤٩ وما بعدها.

[٣٢] برني، تاريخ فيروز شاهي، ص٤٧٦.

[٣٣] كانت علاقة السلطان طيبة بالخلافة العباسية التي قامت في مصر بعد سقوطها في بغداد عن علاقة محمد بن تغلق بالخليفة العباسي في مصر انظر، برني، تاريخ فيروز شاهي، ص٤٩٨؛ عفيف، تاريخ فيروز شاهي، ص٢٧٤ – ٢٧٦. وعن تفاصيل علاقته بالخلافة العباسية في مصر انظر: مجهول، سيرتي فيروز شاهي، ص٢٨٠-٢٨٢؛ الشجاعي، تاريخ السلطان الناصر محمد بن قلاوون وأولاده، تحقيق: برباره شيفر، فيسبادن (١٩٧٧-١٩٨٥)، ج١، ص٢٥٧-٢٥٨؛ المقريزي، السلوك لمعرفة الدول والملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة وآخرين، ج٣، القاهرة ١٩٣٤، ص٨٨٧.

العباسي الذي استضافه في مملكته [٣٤]، وهذا المشروع هو الآخر لم يقدر له أن يكتمل [٣٥].

أما المرحلة الثانية فقد بدأت بعد وفاة محمد بن تغلق وتولي ابن عمه فيروز شاه (٧٥٢-٧٩٠هـ/١٣٥١-١٣٨٨م) الحكم ، واستمرت حتى سقوط آل تغلق على يد المغول ، وخلال تلك الفترة قل الاهتمام تدريجياً بالجيش بنفس القدر الذى كان في بداية الأسرة [٣٦]، فقد انصرف السلطان فيروز شاه عن المشروعات العسكرية إلى المشروعات العمرانية والحضارية مما أثر على حجم الجيش ومهامه ، ثم تطورت الأوضاع في عهد أسلافه الذين انصرفوا لحياة اللهو ودخلوا في صراع على العرش صرفهم عن العناية الكاملة بالجيش مما أدى في النهاية لسقوط هذه الأسرة على يد المغول كما سبق وأن ذكرنا.

نظام الجيش وترتيبه:

كان للجيش التغلقي نظام دقيق قائم على تقسيم قواته إلى فرق عسكرية متعددة وفق أسلحتها وأدائها القتالي، بجانب وضع سلم هرمي لرتبه العسكرية لتسهيل تنظيم إدارته وتوزيع مهامه، والإشراف على أدائه ونشاطه العسكري. وكان هذا النظام يدار من خلال ديوان خاص بالجيش يقوم بتنظيم هذه الأمور وترتيبها.

أ- ديوان الجيش:

مع الأهمية الفائقة التي حازها الجيش في دولة بنى تغلق، كان من الطبيعي أن يكون هناك ديوان خاص به في الدولة لإدارة شئونه، وقد أشارت بعض المصادر العربية لوجود هذا الديوان لكنها لم تشر إلى اسمه صراحة [٣٧].

---

[٣٤] كان هناك ابن للخليفة المستنصر العباسي يدعى (غياث الدين محمد) يقيم في بلاد ما وراء النهر فلما لمس من محمد تقديره للخلفاء العباسيين أرسل له، ولما تأكد السلطان من صحة نسبه عن طريق أحد كبار رجال الدين في سلطنته، رحب به وأجزل له العطاء كما أرسل الأموال والهدايا لغياث وطلب منه القدوم اليه. فلما قدم عليه قام باستقباله استقبالا لم يقم به مع أي شخص آخر حسب وصف ابن بطوطة. انظر: رحلة بن بطوطة، ص١٧٣.

[٣٥] للمزيد من التفاصيل عن سياسية محمد بن تغلق الخارجية ومشروعاته التوسعية انظر:
Siddiqi, I., "Sultan Muhammad bin Tughluq's foreign policy: a reappraisal ", ***Islamic Culture***, 62(1988), 1-22.

[٣٦] عفيف، تاريخ فيروز شاهي، ص٢٩٩-٣٠٠.

[٣٧] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٥١.

في حين أشارت بعض المصادر الفارسية إلى أن اسمه هو (ديوان عرض) [٣٨]، ومعناه ديوان العسكر أو الجيش [٣٩]. وكان يرأس هذا الديوان أحد كبار القادة العسكريين من رتبة الملوك، وقد أطلقت المصادر العربية عليه اسم (إمريت)[٤٠]، أو(عرض المماليك) [٤١]، في حين أشارت له بعض المصادر الفارسية باسم (عرض الممالك) [٤٢]، أو(عارض الممالك) [٤٣]. وكان صاحب هذا الديوان في عهد السلطان غياث الدين أحد الملوك ويدعى (بهاء الدين) [٤٤]. وقد ذكر لنا برني [٤٥] في كتابه (فتاوى جهانداري) الشروط التي جيب أن تتوافر فيمن يتولى رئاسة هذا الديوان، حيث ذكر أنه كان يحمل لقب وزير الحرب، ومن الشروط الواجب توافره فيه: أن يكون مقرباً من السلطان، ومن أهل الثقة لديه، وأن يكون ولاؤه للسلطان بلا حدود، ولديه المقدرة على إدارة أمور الجيش، وأخيراً أن يكون على المذهب السني. وكان رئيس هذا الديوان في عهد السلطان محمد بن تغلق ملك يدعى (عماد الملك سرتيز) [٤٦]، وفى عهد فيروز شاه كان متوليه ملك يدعى (ملك رضى) [٤٧]، ثم تولاه بعده ملك يدعى (بشير) [٤٨].

وكانت مهمة صاحب هذا الديوان الإشراف على كل ما يتعلق بأمور الجيش [٤٩]، بداية من اختيار الجنود للالتحاق بالجيش [٥٠]، وقد ترك لنا ابن

---

[٣٨] برني، تاريخ فيروز شاهي، ص٦٠؛ عفيف، تاريخ فيروز شاهي، ص٢٩٩.

[٣٩] عرض أو عارض: جيش أو جزء من الجيش. انظر: دهخدا، لغتنامه، زير نظر: محمد معين، سيد شهيدي، تهران ١٣٧٧هـ، جلد١٠، ص١٥٦٥٧.

[٤٠] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٥٥؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٩٢.

[٤١] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص٧١.

[٤٢] برني، تاريخ فيروز شاهي، ص٢٤٠.

[٤٣] عفيف، تاريخ فيروز شاهي، ص٢٩٩.

[٤٤] برني، تاريخ فيروز شاهي، ص٤٢٣.

[45] Habib, M., *The Political Theory of the Delhi Sultanate, including a translation of Ziauddin Barani's Fatawa-i Jahandari*, (Delhi, 1961), 23.

[٤٦] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص٧١.

[٤٧] عفيف، تاريخ فيروز شاهي، ص٢٩٩.

[٤٨] برني، تاريخ فيروز شاهي، ص٥٨١؛ سرهندي، تاريخ مباركشاه، ص١١٩.

[٤٩] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٥١؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٩١.

[٥٠] برني، تاريخ فيروز شاهي، ص١٠٢.

بطوطة وصفاً دقيقاً لعملية اختيار الجنود والتحاقهم بالجيش والتي شهدها بنفسه ، حيث يذكر أن عرض المماليك كان يجلس في مكان مرتفع ، ثم يتقدم من يريد الالتحاق بالجيش فيتم اختباره حسب نوع الفرقة التي يرغب في الانضمام إليها؛ فإذا أراد الرجل أن ينضم للفرسان عليه أن يمتطى فرسه وهو حاملاً رمحه فيقوم بالجري بفرسه ثم تصويب الرمح صوب طبلة منصوبة ، ثم ينطلق بفرسه ويلتقط برمحه خاتماً معلق على حائط صغير. أما إذا أراد أن يكون من رماة السهام المشاة فيعطى بعض القسي ليختبروا قدرته على استخدامها، وإذا أراد أن يكون من رماة السهام الفرسان توضع له كرة في الأرض ويجرى بفرسه ويحاول أن يصيبها بسهامه [٥١].

وكان من مهام صاحب هذا الديوان أيضاً توفير ما يحتاجه الجيش من مؤن وعتاد عسكري [٥٢]، والوقوف على استعداد الجيش للمعارك من خلال تفقد الجيش مرة واحدة كل عام على الأقل، والتجهيزات الخاصة بكل فرقة من فرقه وتوفير ما تحتاجه [٥٣]، وكذلك تحديد رواتب الجند ومستحقاتهم، ومستحقات كبار رجال الجيش من الاقطاعات وغيرها [٥٤]. وكان يساعد صاحب الديوان في عمله عدد من الكتبة والنواب سواء في الديوان المركزي أو في ولايات الدولة [٥٥].

ب- فرق الجيش: كان الجيش الهندي كعادة الجيوش النظامية القديمة يتكون من عدة فرق تشكل قوته الأساسية وهذه الفرق هي:

الفرسان:

وهم أهم فرق الجيش والسلاح الفعال فيه [٥٦]، وفى الجيش التغلقي كانت فرق الفرسان تشكل ميمنته وميسرته، وكان لها دور فعال في كثير من الحروب

---

[٥١] رحلة بن بطوطة، ج٣، ص٩٠.

[٥٢] عفيف، تاريخ فيروز شاهي، ص٢٩٩.

[٥٣] برني، تاريخ فيروز شاهي، ص٦٠.

[٥٤] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٥٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٩٤.

[٥٥] برني، تاريخ فيروز شاهي، ص٣٢٦.

[٥٦] ابن هذيل، حلية الفرسان وشعار الشجعان، تحقيق: محمد عبد الغنى حسن، القاهرة ١٩٤٩، ص٢٥.

التي خاضها بنو تغلق [٥٧]، لذا حظيت باهتمام سلاطين هذه الأسرة حتى في فترة التي قل فيها الاهتمام بالجيش في عهد فيروز شاه [٥٨]. وكان يتم اختيار أفراد هذه الفرقة بعناية بالغة، حيث يتم اختبار مهارتهم قدرتهم على ركوب الخيل والقتال بها قبل أن يتم انخراطهم في هذه الفرقة [٥٩]. وقد رأى بعض المؤرخين [٦٠] أن عدد هذه الفرقة في الجيش التغلقي كان اقل من الفرق الأخرى مثل المشاة بسبب ندرة الخيول في الهند وعدم قابليتها للعيش في البيئة الهندية، إلا أن هذا الرأي ربما تكون فيه بعض المبالغة لأن سلاطين بنى تغلق تغلبوا على نقص الخيول في الهند بجلب أعداد كثيرة منها من المناطق المجاورة مثل الجزيرة العربية وغيرها.

وليس لدينا تقدير حقيقي لعدد هذه الفرقة في الجيش خلال الفترة الأولى، وقد ذكرت لنا بعض المصادر [٦١] أن محمد بن تغلق كان لديه قرابة ٨٠ خاناً وأن كل واحد منهم كان يرأس ١٠٠٠٠ فارس، ووفقاً لهذا الحساب فإن عدد الفرسان يقارب ٨٠٠٠٠٠، وهو رقم مبالغ فيه بالطبع، لأن هناك شك في دقة هذا العدد كما سنرى بعد ذلك عند الحديث عن الرتب العسكرية. وفى حديث ابن بطوطة [٦٢] عن إحدى المعارك في عهد هذا السلطان ذكر أنه شارك بها ١٠٠٠٠٠ فارس، لكنها كانت معركة فرعية يقودها أحد قادة الجيش وليس السلطان نفسه مما لا يعطينا صورة عن العدد الفعلى للفرسان في الجيش. أما في عهد فيروز شاه فقد كان عدد الفرسان كما ذكر عفيف [٦٣] ٨٠٠٠٠ فارس، وهو عدد مقبول في ظل السياسة التي اتبعها هذا السلطان في تقليص حجم الجيش ونفقاته.

---

[٥٧] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٧٣.

[٥٨] عفيف، تاريخ فيروز شاهي، ص٣٣٩-٣٤٠.

[٥٩] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص٩٠.

[٦٠] انظر، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٣، نشر: ديدرنغ، شتوتجارت ١٩٧٤، ص١٧٣.

[٦١] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٥١؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٩٢.

[٦٢] رحلة بن بطوطة، ج٣، ص٢٠٤.

[٦٣] تاريخ فيروز شاهي، ص٢٩٨؛

Digby, S., *War Horse and Elephant in the Delhi Sultanate: A Study of Military Supplies*, (Oxford, 1971), 24-25.

المشاة:

تمثل هذه الفرقة ثاني الأقسام الرئيسية للجيش التغلقي [٦٤]، وكانوا يسمون البِيادة أو الرَجالة [٦٥] أو البايك Paik [٦٦]، وتحتل عادة مقدمة الجيش، وكان أغلب أفرادها من العبيد أو المماليك الأتراك [٦٧]، كما كان يتخذ من أفرادها الحرس الشخصي للسلطان [٦٨]. وتتميز هذه الفرقة بأن أفرادها كانوا يستخدمون أسلحة متنوعة كالسيوف والدروع وغيرها.

وبالمثل ليس لدينا أيضاً تقدير دقيق لعدد هذه الفرقة في الجيش خلال الفترة الأولى، وقد ذكرت بعض المصادر [٦٩] أن محمد بن تغلق كان لديه ٢٠٠٠٠٠ من المشاة العبيد، و٢٠٠٠٠ من المماليك الأتراك المشاة أيضاً، وكان هؤلاء يرابطون في عاصمة السلطنة ولا يقاتلون إلا في وجود السلطان. كما ذكر ابن بطوطة [٧٠] أن عدد المشاة في إحدى المعارك التي لم يكن يقودها السلطان قد جاوز ١٠٠٠٠٠، ومن خلال هذا الروايات نستنبط أن عدد المشاة قد تجاوز ٣٢٠٠٠٠ على أقل تقدير خلال عهد هذا السلطان. أما عدد المشاة خلال عهد فيروز شاه فقد بلغ كما ذكر عفيف [٧١] ١٨٠٠٠٠.

الفيلة:

وهي من الفرق التي ميزت الجيوش الهندية بوجه عام والجيش التغلقي بوجه خاص، وتعد من أهم فرق الجيش وأكثرها تأثيراً في المعارك، وكان أفرادها يمتطون الفيلة، حيث كانت تصنع أبراج توضع بأعلى الفيلة ويشحن بها الجنود، ويكون بالبرج فتحات ليقوم المقاتلة الموجودين فيه برمي السهام وقوارير النفط منها على الأعداء [٧٢]. وقد اختلفت المصادر في ذكر عدد المقاتلة الذين يوجدون في

---

[٦٤] ابن هذيل، حلية الفرسان، ص١١٨.

[٦٥] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص١٣٩.

[٦٦] برني، تاريخ فيروز شاهي، ص٨٦.

[٦٧] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٩٢.

[٦٨] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٥٢.

[٦٩] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٩٢؛ العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٥٢.

[٧٠] رحلة بن بطوطة، ج٣، ص٢٠٤.

[٧١] تاريخ فيروز شاهي، ص٢٩٨.

[٧٢] صبح الأعشى، ج٥، ص٩٧.

كل برج، إذ يذكر العمري [٧٣] أن عدد المقاتلة يتراوح بين ٦-١٠ رجال، بينما يذكر ابن بطوطة [٧٤] أن عددهم ٢٠ مقاتلاً يزيدون أو ينقصون عن ذلك حسب حجم الفيل نفسه. وكان يتم تقسيم الفيلة المشاركة في الجيش لقسمين: فيلة ميمنة وكان قائدها يسمى شحنك پيل ميمنة (قائد فيلة الميمنة)، وفيلة ميسرة ويسمى قائدها شحنك پيل ميسرة (قائد فيلة الميسرة) [٧٥].

ومن الصعب تحديد عدد أفراد هذه الفرقة، لأن المصادر لم تمدنا بالعدد الدقيق الذي يرتبط بكل فيل بل جعلته وفقاً لحجم كل فيل، في الوقت الذي ذكرت فيه أعداد الفيلة دون تحديد طبيعة حجمها، فخلال عهد السلطان محمد تغلق تراوحت أعداد الفيلة في الجيش ما بين ١٧٠٠-٣٠٠٠ فيل [٧٦]، بينما قل عددها للغاية في عهد السلطان فيروز شاه تغلق الذي أصطحب معه في إحدى حملاته الكبرى ٤٧٠ فيلاً فقط [٧٧]. فإذا أخذنا العدد الأدنى الذي ذكره العمري وهو ٦ أفراد، يمكن القول إن عدد أفراد هذه الفرقة خلال عهد محمد بن تغلق لم يكن يقل عن ١٨٠٠٠ مقاتل، و٢٨٢٠ مقاتل خلال عهد فيروز شاه.

الحواشي:

كان الجيش يضم إلى جانب الجند حواشي متعددة مثل العيون والجواسيس الذين ينقلون الأخبار للسلطان من كل أنحاء السلطنة أو يتجسسون على بعض رجاله حتى يكون السلطان على علم بكل ما يحدث في سلطنته. وقد ذكر ابن بطوطة[٧٨] أن السلطان محمد بن تغلق كانت له عيون في أنحاء الهند عرفوا باسم (المخبرين) ينقلون له أخبار تلك المناطق، كما كان له بعض الجواسيس على رجاله من القادة والملوك، وقام أحدهم بإبلاغ السلطان على عزم أحد الملوك الخروج على طاعة السلطان مما جعله يستعد ويجهز جيشاً لمواجهته.

---

[٧٣] مسالك الأبصار، ج٣، ص٥٢.

[٧٤] رحلة بن بطوطة، ج٣، ص١٥٥.

[٧٥] برني، تاريخ فيروز شاهي، ص٢٤.

[٧٦] حيث ذكر الصفدي أن عددها ١٧٠٠ فيل، بينما ذكر العمري أن عددها ٣٠٠٠ فيل. انظر: الصفدي، الوافى بالوفيات، ج٣، ص١٧٣؛ العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٥١.

[٧٧] عفيف، تاريخ فيروز شاهي، ص١٤٤.

[٧٨] رحلة بن بطوطة، ج٣، ص٧٢، ٢١٢.

ولكي تصل الأخبار للسلطان سريعاً، أنشأ محمد بن تغلق نظاماً دقيقا للبريد تميز بالسرعة والتنظيم الفائق، وكان منه نوعان: بريد يستخدم فيه الخيل كوسيلة لتوصيل الرسائل، وكانت تقام فيه محطة للبريد في كل أربعة أميال؛ وبريد يستخدم الرَجَالة في توصيل الرسائل، وفيه كانت تقام محطة للبريد في كل ثلث ميل يتجهز فيها الرجال لحمل الرسائل من الرسل القادمين من المحطات السابقة. وكان النوع الثاني أسرع من الأول حتى أن الرسالة كانت تصل بواسطته من السند في شمال الهند إلى مدينة دلهي في خمسة أيام فقط [٧٩].

ج- رتب العسكر ورواتبهم:

١ – الرتب:

أ– الرتب العسكرية وامتيازاتها: وهى التي تنظم العمل داخل الجيش بشكل هرمي من القائد إلى الجندي، وكانت تتحدد في العادة بشكل تقليدى مكتسب من التنظيمات العسكرية السابقة في سلطنة دلهي، وكان هذا النظام يقوم على هذا الترتيب:

قيادة الجيش:

كانت قيادة الجيش في العادة تكون للسلطان نظراً لأهميتها البالغة، فكان السلطان يخرج بنفسه على رأس الجيش خاصة في المعارك الكبرى أو التمردات الخطيرة كما حدث في خروج السلطان محمد بن تغلق للقضاء على ثورة كُشلوخان[٨٠]، أو في خروج فيروز شاه على رأس جيشه لمواجهة مملكة البنغال [٨١]. لكنه في بعض الأحيان كان يكلف بعض كبار القادة بتولى قيادة الجيش في بعض المعارك [٨٢].

---

[٧٩] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص٧٢.

[٨٠] ثورة كُشلوخان: كان كُشلو خان أميراً على السند، وصديقاً مقرباً للسلطان محمد بن تغلق بعد أن ساعده أثناء توليه عرش السلطنة، لكنه خالف أوامر السلطان وخشى عقابه فانقلب عليه. للمزيد عنه وعن هذه الثورة وتصدى محمد بن تغلق لها انظر: ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص٢٠٢؛ برني، تاريخ فيروز شاهي، ص٤٧٨–٤٧٩.

[٨١] عفيف، تاريخ فيروز شاهي، ص١٤٤.

[٨٢] انظر على سبيل المثال: ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص١٩٩–٢٠٢؛ عصامي، فتوح السلاطين، تصحيح: أوشا، مدراس ١٩٤٨، ص٤٦٩–٤٧١؛ برني، تاريخ فيروز شاهي، ص٤٧٨.

الخانات [٨٣]:

ويأتون على قمة الرتب العسكرية، وهم أقرب الأفراد إلى السلطان، لذلك كان يتم اختيارهم غالباً من إخوة وأبناء السلطان، أو من كبار الشخصيات العسكرية في السلطنة وكان كل خان يشرف على ١٠٠٠٠ فارس [٨٤]، ويسمح له أن يصحب معه في الحرب ٩ أعلام، و١٠ جوائب (الخيول المُعَدة للركوب) [٨٥].

وقد اختلف عدد الخانات خلال عهد سلاطين هذه الأسرة، فخلال عهد غياث الدين كان عدد الخانات (٦) هم أبناء السلطان نفسه [٨٦]، أما في عهد محمد محمد بن تغلق فقد ذكر كلا من العمري والقلقشندي [٨٧] أن عدد الخانات كان (٨٠) خاناً، وهو فيما يبدو عدد غير دقيق ويحمل مبالغة كبيرة، والأدق أن عددهم كان (٨) خانات فقط، فقد ذكر لنا برني [٨٨] أسماء ٨ خانات منهم إخوة السلطان الخمسة، وأضيف إليهم ثلاثة من الخانات من خارج الأسرة. وخلال عهد فيروز شاه كان هناك (٧) خانات، منهم أبناء السلطان الأربعة، وثلاثة خانات من خارج أسرة آل تغلق [٨٩].

الملوك:

ويأتون في المرتبة الثانية في سلم الرتب العسكرية، ويسمح لكبارهم بالجلوس في حضرة السلطان مع الخانات [٩٠]، وكان عددهم كبيراً ويتولى بعضهم

---

[٨٣] الخان: لقب تركي معناه الرئيس، وقد دخل هذا اللقب العالم الإسلامي عن طريق خانات التركستان. انظر: حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة ١٩٨٩، ص٢٧٤.

[٨٤] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٩٢.

[٨٥] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٦٢. ويذكر القلقشندي أنها سبعة أعلام فقط ولكن يبدو أنه خطأ من النساخ، انظر: صبح الأعشى، ج٥، ص٩٨.

[٨٦] برني، تاريخ فيروز شاهي، ص٤٢٣.

[٨٧] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص ٥٠؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٩٢.

[٨٨] تاريخ فيروز شاهي، ص٤٥٤. وقد ذكر ابن بطوطة أسماء اثنين منهم لكنه أخطأ حين ذكر أن أحدهم وهو بهرام خان هو ابن أخي السلطان في حين أنه كان أخوه. انظر: رحلة بن بطوطة، ج٣، ص١٥٨.

[٨٩] برني، تاريخ فيروز شاهي، ص٥٢٧.

[٩٠] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص١٥٨.

حكم المقاطعات الكبيرة بالسلطنة، وكان كل ملك يشرف على ١٠٠٠ فارس [٩١]، ويسمح له أن يصحب معه في الحرب مابين ٤-٨ أعلام، وما بين ٣-٩ جوائب[٩٢]. وكان عددهم خلال عهد غياث الدين (٣٢) ملكاً [٩٣]، ثم زاد عددهم في عهد محمد بن تغلق ليصبح (٣٧) ملكاً [٩٤]، ثم قل العدد خلال عهد فيروز شاه ليصبح (٢٨) ملكاً [٩٥].

الأمراء:

ويأتون في المرتبة الثالثة في سلم الرتب العسكرية، وكان هناك فئتان في الجيش منهم: أمير هزاره (أمير ألف)، وهو كما يوحي به اسمه يشرف على ألف من الجند [٩٦]، وأمير صده (أمير مائة)، ويشرف على مائة جندي من الجيش [٩٧]. وكان كل أمير يشرف على ١٠٠ فارس، ويسمح له أن يصحب معه في الحرب ثلاثة أعلام، وجنيبان [٩٨]. ولا نعرف عددهم في الجيش على وجه التقريب، فلم تذكر لنا المصادر سوى أسماء (٤) منهم فقط، اثنان خلال عهد محمد بن تغلق [٩٩]، واثنان خلال عهد فيروز شاه [١٠٠].

---

[٩١] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٩٢.

[٩٢] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٦٢.

[٩٣] برني، تاريخ فيروز شاهي، ص٤٢٤.

[٩٤] برني، تاريخ فيروز شاهي، ص٤٥٤-٤٥٥، وقد ذكر ابن بطوطة أسماء سبعة منهم، انظر: رحلة بن بطوطة، ج٣، ص١٥٨-١٥٩.

[٩٥] برني، تاريخ فيروز شاهي، ص٥٢٧-٥٢٨.

[٩٦] عصامي، فتوحات السلاطين، ص٥١٢؛ عفيف، تاريخ فيروز شاهي، ص٥١. وهو يشبه أمير ألف أو مقدم ألف في جيش مماليك مصر. قارن: محمد البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، القاهرة ١٩٨٣، ص٤٢.

[٩٧] سرهندي، تاريخ مباركشاهي، ص١١١. وهو يشبه أمير مائة في جيش مماليك مصر. قارن: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٤؛ البقلي، التعريف، ص٤٢.

[٩٨] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٦٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٩٢.

[٩٩] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص٢٠٦.

[١٠٠] برني، تاريخ فيروز شاهي، ص٥٢٧.

الإصفهسلارية [١٠١]:

وهي أقل الرتب العسكرية في سلم القيادة، ولا يسمح لهم بالجلوس في حضرة السلطان أو حمل أعلام أو اصطحاب الجوانب في الحرب، وكان بعضهم يتولى حكم بعض الولايات الصغيرة [١٠٢]، وكان كل واحد منهم يشرف على عدد من الفرسان دون المائة [١٠٣]. وليس لدينا أي إحصاء عن عددهم بالجيش، ولم نجد ذكر لمن حمل هذه الرتبة باستثناء ما ذكره عفيف [١٠٤] عن أحد الإصفهسلارية في عهد فيروز شاه.

القرابگ: لم تحدد لنا المصادر طبيعة عمله في الجيش التغلقي، وإن كانت قد ذكرت انه كان هناك بالجيش قرابگ ميمنة وقرابگ ميسرة في كل قسم رئيسي من الجيش [١٠٥]، لكن يبدو أنها كانت من الرتب الهامة في الجيش لأن بعض من يحملها كان يقوم أحيانا بقيادة بعض حملات الجيش في الفترة التي سبقت آل تغلق [١٠٦].

الجنود:

وهي الرتبة الأقل في الجيش، وتضم كل المشاركين في الجيش دون القادة، وكان عددهم ضخماً وموزعون على فرق الجيش المختلفة.

---

[١٠١] وتكتب بصور مختلفة (سپهسلار، اسفهسلار، اسفهسالار)، وهو مصطلح يجمع بين الفارسية والتركية، وهو مكون من مقطعين: إسفه وهي كلمة فارسية تعنى مُقدِم، وسلار وهي كلمة تركية تعنى العسكر، والمعنى العام للمصطلح: مقدم العسكر أو أمير الجيوش. انظر: حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص١٥٦-١٥٧؛ حسن أنوري، اصطلاحات ديواني دوره غزنوي وسلجوقي، تهران٢٥٣٥ش، ص١٣٢. ولكن يبدو هنا أن اللقب فقد معناه أو قيمته وأصبح مجرد لقب عسكري عادى ويبدو هذا من تذيله لسلم الرتب العسكرية في الرواتب والامتيازات.

[١٠٢] العمري، مصالح الأبصار، ج٣، ص٥٢.

[١٠٣] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٩٢.

[١٠٤] تاريخ فيروز شاهي، ص٣٦.

[١٠٥] سرهندي، تاريخ مباركشاهي، ص٦٢.

[١٠٦] عصامي، فتوح السلاطين، ص٢٨٦.

وبجانب هذه القيادات العسكرية، كان يتم في بعض الأحيان وقت الحرب اسناد بعض المهام العسكرية لبعض كبار الموظفين المدنيين مثل: (أمير أخور)[١٠٧]، و(أمير شكار) [١٠٨]. فقد شارك أمير أخور في بعض المعارك ضمن قيادات الجيش [١٠٩]، كما شارك أمير شكار في عهد فيروز شاه في إحدى المعارك وكان تحت قيادته ٣٠٠٠ جندي [١١٠].

جدول يوضح الامتيازات الخاصة بكل رتبة عسكرية في الجيش التغلقي

الرتبة العسكرية	الامتيازات الخاصة بها		
	الفرسان التابعين له	الأعلام المسموح بها	الجنائب المسموح بها
الخان	١٠٠٠٠ فارس	٩ أعلام	١٠ جنائب
الملك	١٠٠٠ فارس	٤ – ٨ أعلام	٣ – ٩جنائب
الأمير	١٠٠ فارس	٣ أعلام	جنيبان
الإصفهسلار	أقل من ١٠٠ فارس	–	–

ب– نظام الترقية:

لم تكن الرتب العسكرية جامدة، بل كان هناك نظام للترقية داخل الجيش يسمح لمن يثبت مهارته وقوته مهما كانت رتبته أن يترقى من رتبته الأقل للرتب الأعلى، باستثناء رتبة الخان التي كانت قاصرة على أفراد الأسرة الحاكمة وعدد قليل من القادة المقربين من السلطان كما سبق أن ذكرنا. فكان يمكن للجندي في هذه الفرقة أن يترقى لمرتبة الأمير أو الملك لو أثبت جدارته كما حدث مع مؤسس

---

[١٠٧] وتعني هذه الوظيفة مشرف الاسطبلات الملكية. انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٨.

[١٠٨] وهو المشرف على رحلات الصيد الملكية. انظر: السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، بيروت ١٩٨٦، ص٣٦.

[١٠٩] برني، تاريخ فيروزشاهي، ص٢٤؛ سرهندي، تاريخ مباركشاهي، ص٦٢.

[١١٠] عفيف، تاريخ فيروزشاهي، ص١١٥.

هذه الأسرة غياث الدين تغلق، الذي كان جندياً عادياً ثم تمكن من الترقي بفضل شخصيته ومهارته إلى رتبة الملك [١١١]. وكان يمكن حتى للعبيد والمماليك أن يترقوا إلى الرتب الأعلى كما حدث مع كل من عماد الملك سرتيز والملك بشير، اللذان كانا من المماليك الأتراك ثم ارتقيا حتى أصبح كل واحد منهما ملكاً، بل وتوليا رئاسة ديوان الجيش [١١٢].

٢- الرواتب :

كان نظام الرواتب في بداية عصر آل تغلق مرتبطاً بالإقطاع العسكري، حيث كان السلطان غياث الدين تغلق يمنح كبار رجال الجيش إقطاعات من الأرض، ويقوم هؤلاء بالإنفاق من ريعها على الجنود التابعين لهم [١١٣]. وكان هذا النمط من الإقطاع العسكري هو النظام السائد في معظم مناطق العالم الإسلامي خاصة في دولة المماليك في مصر والشام والحجاز [١١٤]. إلا أن نظام الإقطاع العسكري في الهند في عصر خلفائه كان يختلف عن هذا النظام، فقد أصبح هناك بعض الاختلافات الأساسية بين النظامين، والتي أشار إليها كلا من العمري والقلقشندي [١١٥] صراحة حين ذكرا هذا النظام أن في عهد محمد بن تغلق كان مختلفاً في الهند عنه في مصر والشام، هذا الاختلاف فيما يخص تابعي السيد الإقطاعي، حيث أصبح تابعي السيد الإقطاعي من الجند لا يحصلون من السيد الإقطاعي على أي مقابل، بل كانوا يحصلون في مقابل ولائهم لسيدهم على رواتب من ديوان الجيش مباشرة.

ولم تكن رواتب الجند تعطى بنمط واحد في الجيش الهندي، بل كان هناك نمطان لذلك، الأول في صورة إقطاعات من الأرض وكان يخصص لكبار قادة

---

[١١١] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص١٨٩.

[١١٢] فرشته، تاريخ فرشته، ج١، ص٥٥٢؛ سر هندي، تاريخ مباركشاهي، ص١١٩.

[١١٣] برني، تاريخ فيروز شاهي، ص٤٣١.

[١١٤] عن نظام الإقطاع العسكري المملوكي انظر: إبراهيم على طرخان النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، القاهرة ١٩٦٨، ص ٥٩ وما بعدها؛ آشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ت. عبد الهادي عبلة، دمشق ١٩٨٥، ص٣٦٩-٤٢٥.

[١١٥] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٥٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٩٢.

الجيش، حيث كان كل قائد يحصل على إقطاع من الأرض ويكون راتبه هو الريع الذي يدره هذا الإقطاع كما هو موضح في الجدول التالي:

جدول يوضح ريع الاقطاع العسكري

الرتبة	الراتب مقدراً بالتنكة [١١٦]
خان	٢٠٠٠٠٠
ملك	٥٠٠٠٠ – ٦٠٠٠٠
أمير	٣٠٠٠٠ – ٤٠٠٠٠
الاصفهسلار	٢٠٠٠٠

أما النمط الثاني وهو المخصصات النقدية فكانت تمنح للجنود والمماليك الأتراك والعبيد المشاركين في الجيش [١١٧] كما هو موضح في الجدول التالي:

جدول يوضح المخصصات النقدية للجنود [١١٨]

الرتبة	الراتب مقدراً بالتنكة
جندي	١٠٠٠ – ١٠٠٠٠
مملوك تركي	١– ٥٠٠٠
العبيد	١٠

وكان الجندي يحصل على راتبه عن طريق صك يصرف له من ديوان الجيش يسمى (إطلاق)، يحصل بموجبه على راتبه من الخزانة السلطانية [١١٩]، وكانت قيمة المرتب تتحدد وفق قوة ومهارة كل جندي [١٢٠]، حيث كان يجرى اختبار لهؤلاء الجند عند اختيارهم للانخراط في الجيش، وكان يتم فيه تحديد راتب كل جندي وفق ما يبديه من قوة ومهارة في استخدام الأسلحة وغيرها [١٢١]. وكانت

---

[١١٦] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٥٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٩٤.

[١١٧] برني، تاريخ فيروز شاهي، ص٤٤٣.

[١١٨] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٥٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٩٤.

[١١٩] عفيف، تاريخ فيروز شاهي، ص٢٩٦.

[١٢٠] برني، تاريخ فيروز شاهي، ص١٠٢.

[١٢١] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص٩٠.

الرواتب أحياناً ما تخضع لأهواء السلطان وعلاقاته بالقادة، فقد غضب السلطان محمد بن تغلق ذات مرة من أحد الأمراء فأمر بأن ينزل راتبه من ٤٠ ألف إلى ألف تنكة [١٢٢].

وبجانب هذه الرواتب من الإقطاعات والمخصصات النقدية، كان قادة الجيش وجنوده يحصلون على بعض المخصصات العينية من ديوان الجيش مثل الخلع والتشاريف لكبار قادة الجيش، والكسوة للجنود، بجانب الطعام للجنود والعلف للخيول [١٢٣]. وقد تساءل بعض الباحثين [١٢٤] عن طبيعة هذه المخصصات وهل كان يتم الحصول عليها وقت المعارك فقط أم طول العام؟ ومن خلال ما ورد بالمصادر يمكن أن نجيب على هذا التساؤل، فقد ذكر كلا من العمري والقلقشندي [١٢٥] أن الطعام كان يقدم للجنود يومياً أما الكساوي والملابس فكانت تقدم مرتين سنوياً، مرة في الربيع وأخرى في الخريف، في حين أن يذكر ابن بطوطة أن الكساوي كانت توزع في الصيف والشتاء [١٢٦].

ومع جيش ضخم العدد مثل الجيش الهندي بما يتطلبه من أموال باهظة لتمويل الرواتب والتسليح وغير ذلك من المخصصات، كان لا بد من توافر موارد لتغطية هذه النفقات. وكما سبق أن ذكرنا كان نظام الإقطاع العسكري هو أحد الموارد التي خصصت لتغطية رواتب كبار قادة الجيش، أما المخصصات الأخرى المالية والنقدية فكان يتم تمويلها من موارد الدولة وضرائبها [١٢٧]. وفي عهد السلطان فيروز شاه كانت توجه أموال الجزية والخراج لدفع رواتب بعض الجند، ففي بعض المراسلات بين فيروز شاه وحاكم السند عين الملك بن ماهرو، نجد

---

[١٢٢] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص ٢١٧.

[١٢٣] العمري، مسالك الأبصار، ص٥٤؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ص٩٤.

[١٢٤] انظر:

Qurishi, *Administration of the Sultanate of Delhi*, 154; Ahmed, F., " The Delhi Sultanate: a slave society or a society with slaves?", ***Pakistan Journal of History and Culture***, 30 (2009), 15.

[١٢٥] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٥٤؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٩٤.

[١٢٦] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص٢٢٠.

[١٢٧] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص١٥٨.

إشارة منه إلى قيامه بسداد رواتب الجنود الموجودين بالسند من الأموال التي جمعها من الجزية وخراج الأراضي [١٢٨].

وأحياناً ما كانت موارد الدولة تعجز عن الوفاء بمتطلبات الجيش خاصة في أوقات الجفاف بجانب النفقات الباهظة للسلطان، لذلك كان يتم فرض مزيد من الضرائب على السكان لتغطية هذا العجز[١٢٩]، كما فعل السلطان محمد بن تغلق، الذي فرض مزيد من الضرائب على اقليم (دواب) [١٣٠]. ورغم أن هذا الاقليم كان يتميز بخصوبته الشديدة وبالتالي كان عائده مرتفع، بجانب أن هذه الزيادة لم تصل لنصف الضرائب التي فرضها بعض السلاطين السابقين مثل السلطان علاء الدين الخلجي [١٣١]، برغم ذلك فقد تركت أثراً كبيراً على سكان المنطقة ولم تحقق ما هدف إليه السلطان [١٣٢]. كما كان السلاطين يلجؤون أحياناً لبعض التغييرات في النظام النقدي من أجل سد هذا العجز، مثلما قام به السلطان محمد تغلق من سك عملة نحاسية بدلاً من العملات الذهبية، ولكن هذه الخطوة كانت غير موفقة وأضرت باقتصاد السلطنة مما جعله يتراجع عنها في النهاية [١٣٣].

عناصر الجيش وتعداده:

١- عناصر الجيش:

كان الجيش التغلقي خلال الفترة الأولى من تاريخ هذه الأسرة خاصة عهد محمد بن تغلق يضم مزيج من عناصر مختلفة متعددة الأعراق، فقد كان يضم عناصر هندية وفارسية وتركية وعربية وصينية، وهذا التنوع ربما كان مرتبطاً بعدة

---

[١٢٨] عين الملك ماهرو، إنشائي ماهرو، تصحيح عبد الرشيد، لاهور ١٩٦٥، ص٦٢-٦٣.

[129] Majumdar, *An advanced history of India*, (London, 1963), 319; Haig, *Five questions*, 370.

[١٣٠] دواب: كلمة فارسية تتكون من مقطعين: دو بمعى اثنان، وآب بمعنى نهر، والمعنى العام للكلمة نهران. وهي منطقة تقع الآن شرق مدينة دلهي بين نهري جمنا والجانج. انظر: عبد المنعم النمر، تاريخ الاسلام في الهند، القاهرة ١٩٥٩، ص١٢٩.

[١٣١] عن ضرائب علاء انظر: برني، تاريخ فيروز شاهي، ص٢٩١.

[١٣٢] برني، تاريخ فيروز شاهي، ص٤٧٣.

[١٣٣] للمزيد من التفاصيل عن سك هذه العملة والنتائج التي ترتبت عليها انظر: برني، تاريخ فيروز شاهي، ص٤٨٥-٤٨٦؛

Lane Pool, S., *Mediaeval India under Mohammedan rule (712-1764 A.D.)*, (London, 1952), 134-135.

عوامل: الأول هو عدم ثقة محمد بن تغلق في الهنود خاصة غير المسلمين منهم وتفضيله للغرباء عنهم، وهو الأمر الذي أثار انتباه ابن بطوطة أثناء وجوده في بلاط هذا السلطان [١٣٤]. والعامل الثاني ارتبط بطموحه العسكري ومشروعاته التوسعية التي سبق وأشرنا إليها، وأغلب هذه العناصر ارتبط بهذه المشروعات. أما العامل الثالث فهو أن هذا التعدد كان جرياً على سُنة حكام سلاطين دلهي الذين دأبوا على استخدام عناصر مختلفة في جيشهم منذ عهد المماليك (٦٠٢ – ٦٨٦هـ/ ١٢٠٦–١٢٨٧م) [١٣٥]. وكانت عناصر الجيش كالتالي:

الفرس:

كان الفرس وخاصة الخراسانيون يمثلون عنصراً هاماً من الجيش التغلقي خاصة خلال عهد محمد بن تغلق، إذ يذكر برني [١٣٦] أن هذا السلطان كون فرقة في الجيش تتألف من الخراسانيين ويتراوح قوامها ما بين ٣٧٠–٤٧٠ ألف مقاتل، وأن الغرض من تكوين هذه الفرقة من العنصر الخراساني كان مساعدته في غزو خراسان كما كان السلطان يخطط لذلك، لكن الظروف الاقتصادية التي مرت بالسلطنة أجبرت السلطان على تسريح معظم هذه العناصر لعدم قدرة الخزانة على تحمل أعباء رواتبهم ونفقاتهم، خاصة بعد توقف مشروع غزو خراسان. وقد ساهمت هذه العناصر في التصدي بنجاح لبعض حركات التمرد التي اندلعت ضده [١٣٧].

الأتراك:

كان المماليك الأتراك يمثلون جزءاً صغيراً من الجيش التغلقي إذ كان عددهم ما بين ١٠٠٠٠–٢٠٠٠٠ مقاتل [١٣٨]، وكانوا في الغالب جزءاً من

---

[١٣٤] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص٧٥.

[١٣٥] الفخر المدبر، تاريخ مبارك شاه في أحوال الهند، ت. ثريا محمد علي، القاهرة ١٩٩١، ص٦٥.

[١٣٦] برني، تاريخ فيروز شاهي، ص٤٧٧.

[١٣٧] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص٢١٣.

[١٣٨] يذكر العمري أن عددهم كان ٢٠٠٠٠، بينما يذكر القلقشندي أن عددهم كان ١٠٠٠٠، والأقرب للصحة ما ذكره العمري لأن القلقشندي يعود بعد ذلك فيتفق مع العمري حين يذكر أن السلطان حين خروجه يصطحب معه حوالي ١٢٠٠٠ مملوك. انظر: مسالك الأبصار، ج٣، ص٥٢، ٦٢؛ صبح الأعشى، ج٥، ص٩٢، ٩٦.

الحرس الشخصى للسلطان أو من القوة المركزية للجيش التي ترابط في العاصمة ولا تتحرك للقتال إلا مع السلطان. والاعتماد على الأتراك تقليد قديم في الجيش في الهند منذ عهد المماليك (٦٠٢ – ٦٨٦هـ/ ١٢٠٦–١٢٨٧م) الذين حكموها وكانوا ذوي أصول تركية [١٣٩]، ومؤسس أسرة آل تغلق نفسه كان تركي الأصل[١٤٠]. وقد رفض بعض الباحثينمصطلح (المماليك الأتراك) [١٤١] الذي أطلقه الجوزجاني على النخبة العسكرية من العبيد ضمن الطبقة الحادية والعشرين من كتابه والتي تتناول السلاطين الشمسية في الهند [١٤٢]، لأن هؤلاء كانوا من أصول عرقية مختلفة ولم يكونوا كلهم من الجنس التركي.

الهنود:

وهم من العناصر الهامة في الجيش بوصفهم أهل البلاد الأصليين ، وكان معظم قادة الجيش منهم [١٤٣]، وكذلك معظم جنود الفرق العسكرية خاصة المشاة ، ورغم ذلك لم يلقوا أحياناً معاملة مساوية لبعض العناصر الأخرى مثلما

---

[١٣٩] بعد موت آخر سلاطين أسرة الغوريين السلطان محمد الغوري دون وريث، خلفه قائده قطب الدين أيبك(٦٠٢–٦٠٧هـ/١٢٠٦–١٢١٠م) الذي كان مملوكاً تركياً ثم أعتق وترقى حتى صار قائداً للجيش، ثم تولى حكم سلطنة دلهي واضعاً أسس حكم سلالة المماليك الهندية، ولم يدم حكمه كثيراً وبعد موته خلفه القائد شمس إلتتمش عام (٦٠٧ – ٦٣٣هـ / ١٢١٠ – ١٢٣٥م) الذي كان هو الآخر مملوكاً لدى قطب الدين أيبك قبل أن يعتقه. انظر: الجوزجاني، طبقات ناصري، ج١، ت. عفاف زيدان، القاهرة ٢٠١٣، ص٥٩٠ وما بعدها؛ عصامي، فتوح السلاطين، ص٨٥؛ الهروي: طبقات أكبري، ت. أحمد عبد القادر الشاذلي، ج١، القاهرة ١٩٩٥، ص٦٥–٦٦.

وعن بداية دخول العنصر التركي للجيش الهندي ودوره فيه انظر: جاكسون، سلطنة دلهي، ص١٢٥ وما بعدها؛

Kumar, *Service, status, and military slavery in Delhi Sultanate*, 86f; Jackson, p., "The Mamluk institution in early Muslim India", ***Journal of Royal Asiatic Society*** (1990), 340-358.

[١٤٠] فرشته، تاريخ فرشته، ج١، ص١٣٠.

[١٤١] فقد كان أحدهم وهو (مهتاري ساري) هندي الأصل، و(عز الدين كبير خان) من الصقالبة، و(سيف الدين ايكيت خان) صيني الأصل من الخطائيين، و(قمر الدين قيران تمر خان) من القبجاق. انظر: جاكسون، سلطنة دلهي، ص١٢٥–١٢٨.

[١٤٢] الجوزجاني، طبقات ناصري، ج٢، ت. ملكة التركي، القاهرة ٢٠١٢، ص٩–١٠٧.

[١٤٣] برني، تاريخ فيروز شاهي، ص٤٥٤–٤٥٥، ٥٢٧–٥٢٨.

فعل معهم محمد بن تغلق ، وهو الأمر الذى أدى لوجود نوع من الحنق لديهم ضد العناصر الأخرى وهو الأمر الذى لاحظه ابن بطوطة الذى ذكر حين تحدث عن تمرد أحد القادة الهنود على محمد بن تغلق أن عناصر الجيش غير الهندية كانوا قلقين من هذا المتمرد لكونه هندي ولأن الهنود متبرمون من الامتيازات التي يحصل عليها هؤلاء مقارنة بهم [١٤٤].

الخِطا:

وهم أحد العناصر الهامة في الجيش التغلقي [١٤٥]، وسموا بالخطا نسبةً الى بلادهم التي كانت تجاور الصين [١٤٦]، وهم ذوي أصول تركية قديمة [١٤٧]، نزحوا من بلادهم التي تسمى الخطا [١٤٨] وأسسوا لهم مملكة في شمال الصين. وأغلب الظن أن استعانة محمد بن تغلق بهم كان لخبرتهم بالأراضى الصينية والتعامل مع الصينيين، وذلك في إطار مشروعه لغزو الصين.

٢-تعداد الجيش:

امتلك آل تغلق جيشاً اتسعت نشاطاته لتشمل حواضر المملكة كلها ، إلى جانب مهمته الرئيسية في تأمين حدود السلطنة ومواجهة الخارجين عليها ، ومظاهر ذلك ما خاضه من معارك متعددة سواء مع المتمردين أو الممالك الهندية المعادية مثل البنغال [١٤٩]، جعلت المصادر تجمع على وصفه بالجيش العظيم الذي يصعب إحصاؤه ، على غرار عبارات "عساكرها لا تعد" [١٥٠]، و"عسكره

---

[١٤٤] رحلة بن بطوطة، ج٣، ص٢١٢.

[١٤٥] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٥١؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٩١.

[١٤٦] النظامي العروضي السمرقندي، جهار مقالة، ت. عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب، القاهرة ١٩٤٩م، ص١٠٧-ص ١٠٨؛ بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ت. أحمد سعيد سليمان، م. إبراهيم صبري القاهرة ١٩٩٦، ص٩٦ – ص٩٧

[١٤٧] الفخر المدبر، تاريخ مبارك شاه، ص٧٥.

[١٤٨] بكسر الخاء المعجم وطاء مهملة، اسم أعطي لشمال الصين أو شمال غربها، حيث كون أهلها مملكة مستقلة أطلق عليه الصينيون اسم لياوو من عام ٢٩٤هـ / ٩٠٧م إلى عام ٥١٦هـ / ١١٢٢م. انظر: ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٤، ص٥٥.

[١٤٩] عفيف، تاريخ فيروز شاهي، ص١٤٤.

[١٥٠] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٣٢.

كثير" [١٥١]، وقد تباين تعداد الجيش باختلاف فترات عصر هذه الأسرة ، فخلال المرحلة الأولى منها وتحديداً خلال عهد السلطان محمد بن تغلق وصل تعداد الجيش وفق ما ذكره العمري [١٥٢] إلى ٩٠٠ ألف مقاتل ، كان بعضهم في مركز السلطنة بجوار السلطان ، والباقى متفرقين مع الخانات والملوك والأمراء في أنحاء السلطنة ، لكن الصفدي [١٥٣] يشكك في هذا الرقم ويقول أنه يقارب ٦٠٠ ألف مقاتل فقط. ويمكن التوفيق بين الرأيين في ضوء ما حدث من قيام السلطان محمد بن تغلق بتسريح جزء من الجيش كما سبق وأن ذكرنا بعد الظروف الاقتصادية التي أثرت على موارد السلطنة.

وخلال عهد فيروز شاه، ومع تناقص اهتمامه بالجيش مقارنة بسلفه، تناقص تعداد الجيش بشكل كبير، إذ يذكر عفيف [١٥٤] أن جيش فيروز شاه كان يتكون من ثمانين ألف فارس ومائة وثمانين ألف من المشاة، أي أن مجموع الجيش لم يتعد مائتان وستون ألف مقاتل، وهو بالطبع عدد أقل بكثير من عدد الجيش في عهد سلفه.

أسلحة الجيش وتجهيزاته:

لا ترتبط قوة أي جيش بعدده فقط، بل ترتبط بأمور أخرى لعل أهمها عدته وعتاده من الأسلحة بأنواعها والتجهيزات العسكرية الأخرى التي تمنحه القوة والتفوق على الجيوش الأخرى. وفى ظل اهتمام سلاطين هذه الأسرة بالجيش بوجه عام كان من الطبيعي أن ينعكس ذلك على أسلحة الجيش وتجهيزاته، وقد صاحب ذلك وجود بعض الصناعات الحربية التي تقوم على تجهيز هذه الأسلحة والتجهيزات مثل صناعة السيوف والرماح والسهام والدروع [١٥٥]، وكذلك الصناعات المكملة مثل صناعة السروج التي تستخدم في تجهيز الخيول للمعارك[١٥٦]، حيث كان يستخدم الجلد المنمق في صنعها، لكونه أكثر متانة تبعاً

---

[١٥١] الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٣، ص١٧٣.

[١٥٢] مسالك الأبصار، ج٣، ص٥١.

[١٥٣] الوافي بالوفيات، ج٣، ص١٧٣.

[١٥٤] (هشتاد هزار سوار ويک صد وهشتاد هزار پياده نظام)، تاريخ فيروز شاهي، ص٢٩٨.

[١٥٥] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٤٧.

[١٥٦] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٨٢.

لحركة الفارس على ظهر فرسه أثناء العمليات القتالية [١٥٧]. وقد ساعد على قيام هذه الصناعات توافر المواد الخام اللازمة لها مثل الحديد والأخشاب [١٥٨]، وكذلك الجلود حيث انتشرت حرفة دباغة الجلود؛ فكانت تدبغ أعداد كبيرة من جلود الماعز والجاموس والثيران والخراتيت وغيرها من الحيوانات [١٥٩].

(أ) الأسلحة:

تنوعت أسلحة الجيش التغلقي وتعددت تجهيزاته ويمكن رصدها على النحو التالي:

الأسلحة الفردية: وهي ما اقتصرت على استخدام الجندي الواحد كالسيف والرمح والقوس. وقد كانت السيوف واحدة من أهم الأسلحة في الجيش التغلقي وأشهرها، فقد كانت الهند تصدر السيوف الهندية، التي اكتسبت شهرة فائقة في العالم وقتها [١٦٠]. لكن ذلك لم يكن يعني أن الجيش لم يستخدم سيوفاً أخري غير هندية، فقد استخدم الجيش قرابة عشرة أنواع من السيوف التي على ما يبدو كان يتم جلبها من خارج الهند من أقطار مختلفة كما يبدو من أسماء هذه السيوف [١٦١]. وكانت أغلب فرق الجيش تستخدم السيوف [١٦٢]، وفى بعض الأحيان كانت السيوف هى السلاح الوحيد الذي يستخدم في المعركة كما حدث مع السلطان محمد بن تغلق[١٦٣]. وبجانب السيوف كانت هناك الرماح التي تستخدم للكر والإغارة

---

[١٥٧] ابن هذيل، حلية الفرسان، ص٨١.

[١٥٨] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٧٣.

[١٥٩] ماركو بولو، رحلات ماركو بولو، ت. عبد العزيز جاويد، القاهرة ٢٠٠٤، ص٦٨.

[١٦٠] القضاعي، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، ج٢، القاهرة ١٩٨٥، ص٢٥٢. وبلغ من شهرتها أنها ذُكرت في الأشعار العربية، ومنها على سبيل المثال قول الشاعر:

أعدوا آل حمير إذا دعيتم سيوف الهند والأسل النهال

انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، تحقيق: محمد أبو الفضل، القاهرة ١٩٧٧، ص ٢٣٧.

[١٦١] ذكر فخر مدبر بعض أسمائها ومنها: چيني (صيني) يماني، بيلماني، كشميري، روسي، فرنگي، خزري، رومي، شاهي. انظر: فخر مدبر، آداب الحرب والشجاعة، تصحيح واهتمام: أحمد خوانساري، باكستان ١٣٤٦، ص٢٥٨.

[١٦٢] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٤٧.

[١٦٣] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص٢١٣.

والرمي عن بعد[١٦٤]، وكانت هناك أنواع متعددة منها يستخدمها الجيش التغلقي[١٦٥]. كما كانت هناك القِسي التي يستخدمها الرماة [١٦٦]، وكان يصحبها التركاش [١٦٧]، والنشاب (السهام) [١٦٨].

الأسلحة الجماعية: وهي ما يستخدم من خلال تعاون أكثر من جندي كالمنجنيق [١٦٩] الذي يحتاج إلى الكثير من الجنود لتحريكه وتشغيله بحسب ضخامته، وقد تعددت أنواع هذه المناجيق [١٧٠]، وقد ذكر ابن بطوطة استخدام الجيش التغلقي لهذا السلاح خلال حصار بعض المدن التي تحصن بها المتمردون ضد محمد بن تغلق [١٧١].

الأسلحة الدفاعية: وهي الدروع التي يستخدمها الجنود للوقاية من أسلحة العدو، وقد استخدم الجيش التغلقي أنواع متعددة منها مثل: الدرق [١٧٢]، والترس [١٧٣]،

---

[١٦٤] ابن هذيل، حلية الفرسان، ص١٢٩.

[١٦٥] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٤٧. وكان الجيش الهندي يستخدم عادة ثلاثة أنواع من الحراب الطويلة والقصيرة. انظر: فخر مدبر، آداب الحرب، ص٢٧٠.

[١٦٦] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص١٥٢.

[١٦٧] هي الكنانة أو جعبة السهام. انظر: ابن سلام، كتاب السلاح، تحقيق: حاتم صالح، بيروت ١٩٨٥، ص٣١.

[١٦٨] فخر مدبر، آداب الحرب، ص٢٤٢؛ العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٥٩.

[١٦٩] المنجنيق، بفتح الميم وكسرها: القذاف التي ترمى بها الحجارة، دخيل أعجمي معرب وأصلها بالفارسية من جي نيك، أي ما أجودني ; انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة مجنق، القاهرة ١٨٨٩؛ الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق: أحمد شاكر، القاهرة ١٩٦٩، ص٣٥٤.

[١٧٠] عن هذه الأنواع انظر: فخر مدبر، آداب الحرب، ص٤٢٣.

[١٧١] رحلة بن بطوطة، ج٣، ص٨٢.

[١٧٢] رحلة بن بطوطة، ج٣، ص١٥٢. والدرق: أطلق عليها العرب أسماء عديدة، منها الترس، والمجن، والجحفة، وهي آلة دفاعية صدرية أو رأسية، أو تثبت في الذراع بواسطة مقبض خاص يقي بها الجندي نفسه من سهام العدو ورماحه، تصنع من الجلد أو الخشب أو القماش أو المعادن، لتأخذ أنواع عديدة منها المصفح، المستطيل، المنحني. انظر: ابن هذيل، حلية الفرسان، ص١٤٧؛ ابن سلام، كتاب السلاح، ص٣٠.

[١٧٣] رحلة بن بطوطة، ج٣، ص١٥٥. والترس: آلة يتقي بها الجندي الضرب والرمي وتسمى مُجنة بضم الميم ويمكن أن تكون من خشب أو حديد. انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص١٥٢.

والزرد [١٧٤]. وكان السلطان فيروز شاه يستخدم في حروبه درعاً مكون من ٤٤ قطعة لحمايته [١٧٥].

الأسلحة غير التقليدية: وهي الأسلحة التي كان يستخدم في صناعتها المواد الكيميائية مثل النفط الذي عُرف بالنار الإغريقية، والتي كانت تتألف من مواد سريعة الالتهاب مثل الكبريت والنفط وبعض الراتنجات والأدهان في هيئة سائل يطلق من أسطوانة نحاسية مستطيلة وعلى هيئة كرات مشتعلة أو قطع من الكتان المشبع بالنفط [١٧٦]. وكان يستخدمها المشاة والمقاتلون على ظهور الفيلة في الجيش التغلقي، حيث كانوا يقذفون القوارير المحملة بالنفط على جنود الجيش المعادي لهم [١٧٧].

(ب) التجهيزات: وهي الأدوات التي يستخدمها الجيش في القتال بجانب الأسلحة ومنها:

الخيل:

وهي وسيلة حربية عريقة في القدم، تتميز بالخفة وسرعة الحركة، وتعد القوة الضاربة والسلاح الفعال في أي معركة، لذا كان يتم الاعتناء بها والتشريف لها، والتعويل عليها في الحروب [١٧٨]. ولما كانت الخيل هي الأساس الذي تقوم عليه فرقة الفرسان، كان من الطبيعي أن يتم الاهتمام بها في الجيش وتوفير أعداد كبيرة منها لهذا الغرض. لكن كانت توجد مشكلة في توفير هذا العدد من الخيل الهندية، حيث أن البيئة الهندية عموماً لم تكن ملائمة لتربية الخيل إذ يذكر العمري أن "الخيل إن طالت الإقامة بها بالهند انحلت وأكثرها مما لا يحمد

---

[١٧٤] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٤٨. والزرد حلوق من الحديد تنسج لتصنع قميص يرتديه المقاتل ليحميه من السيوف والسهام وغيرها. انظر: الطرسوسي، تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء، تحقيق: كلود كاهن، نشرة الدراسات الشرقية، بيروت ١٩٤٨، ص١٤.

[١٧٥] عفيف، تاريخ فيروز شاهي، ص١٥٠.

[١٧٦] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص١٤٥؛ أحمد عبد الرازق، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة ١٩٩٩، ص١٩٧.

[١٧٧] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٧٣.

[١٧٨] ابن هذيل، حلية الفرسان، ص٢٥.

فعله"[١٧٩]، ويذكر القلقشندي أن " متى طال مكث الخيل بها انحلت " [١٨٠]. ولا شك أن هذا الأمر كان يمثل مشكلة نظراً لحاجة الجيش المستمرة للخيل، وعدم بقاء الخيل بها لفترات طويلة، بجانب ما عرف عن بعض السلاطين من عادتهم بإهداء الخيل لحاشيتهم، فقد كان محمد بن تغلق في كل سنة يقوم بتوزيع عشرة آلاف فرس عربي وعدد ضخم من الخيل الأخرى على حاشيته [١٨١].

وفى ظل هذه الظروف كان من الطبيعى أن تنتعش تجارة الخيل، فكانت الخيل تجلب عادة من الجزيرة العربية [١٨٢]، من البحرين [١٨٣]، واليمن والعراق[١٨٤]. كما كانت تجلب من التركستان [١٨٥] وبلاد الروس [١٨٦]. وكان سعر الفرس الذي يستخدم في الجيش يتراوح ما بين ١٠٠-٥٠٠ تنكة [١٨٧]. وقد حظيت خيل الجيش بعناية فائقة من السلاطين [١٨٨]، فكان ديوان الجيش يقوم بالإنفاق على عنايتها وإطعامها [١٨٩].

الفيلة:

تعتبر من أهم وسائل القتال التي استخدمها الجيش الهندي عبر العصور بشكل عام، وفى عصر بنى تغلق بوجه خاص [١٩٠]. وكان تواجد الفيلة في

---

[١٧٩] مسالك الأبصار، ج٣، ص٤٨.

[١٨٠] صبح الأعشى، ج٥، ص٨١.

[١٨١] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٥٥.

[١٨٢] ابن خرداذبة، المسالك والممالك، نشر: دي غويه، ليدن ١٨٨٩، ص٦٧؛ السيرافي، رحلة السيرافي، بغداد ١٩٥٦، ص١٤٧.

[١٨٣] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٥٥.

[١٨٤] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص٢٥٩.

[١٨٥] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٤٨.

[186] Qurishi, *Administration of the Sultanate of Delhi*, 141.

[١٨٧] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص٣٢٨؛

Digby, *War Horse*, 37-38

[١٨٨] عفيف، تاريخ فيروز شاهي، ص٣٣٩-٣٤٠.

[١٨٩] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٥٣.

[١٩٠] عن الفيل واستخدامه في المجال الحربي في الهند انظر: ياسر عبد الجواد المشهداني، الفيل واستخداماته في الحياة الهندية في العصور الوسطى، مجلة التربية والعلم، م١٤، ع١، العراق ٢٠٠٧، ص٧٩-٨٣.

الجيش أمر طبيعي لأنها بجانب قوتها وفاعليتها تعتبر من الحيوانات التي تشتهر بها الهند [١٩١]. وقد اختلفت المصادر في تحديد عدد الفيلة التي كانت تخدم في الجيش، فخلال عهد محمد تغلق تراوحت أعدادها ما بين ١٧٠٠ – ٣٠٠٠ فيل[١٩٢]، بينما قل عددها للغاية في عهد فيروز شاه فصارت ٤٧٠ فيلاً فقط[١٩٣].

أما عن إعداد الفيلة للحرب فكان يتم تغطيتها بالبركصطوانات [١٩٤] الحديدية [١٩٥]، وتكسى أنيابها بالحديد، ويوضع على ظهورها أبراج كبيرة في أركان كل واحد منها أربعة أعلام[١٩٦]، ويكون بالبرج فتحات ليقوم المقاتلة فيه برمي السهام وقوارير النفط منها على الأعداء[١٩٧].

ولم يكن استخدام الأفيال في المعارك قاصر على دورها القتالي فقط، بل كانت أحياناً تستخدم لحمل العتاد والتجهيزات العسكرية الضخمة التي تعجز وسائل النقل الأخرى عن حملها[١٩٨]، كما كانت تستخدم في مهمات أخرى؛ فخلال إحدى المعارك كان على الجنود عبور أحد الأنهار وكان التيار شديداً ، فتم استخدام الفيلة في مساعدة الجنود على العبور عن طريق حبال كانت تربط في الفيلة التي عبرت النهر ثم ساعدت الجنود على العبور [١٩٩].

ونظراً لأهمية الفيلة في الجيوش وعددها الكبير، كان من الطبيعي أن تحظي بعناية خاصة، فكان هناك عدد كبير من القائمين على رعايتها من

---

[١٩١] بزرك بن شهريار، عجائب الهند بره وبحره، ليدن ١٨٨٦، ص ١٤١؛ الثعالبي، لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم الابياري، حسن كامل الصيرفي، القاهرة ١٩٦٠، ص ٢١٤ – ٢١٥

[١٩٢] حيث ذكر الصفدي أن عددها ١٧٠٠ فيل، بينما ذكر العمري أن عددها ٣٠٠٠ فيل. انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٣، ص١٧٣؛ العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٥١.

[١٩٣] عفيف، تاريخ فيروز شاهي، ص١٤٤.

[١٩٤] هي دروع واقية كانت تتخذ من الحديد والفولاذ المبطن باللبود. انظر: أحمد عبد الرازق، الحضارة الإسلامية، ص٢٠٠.

[١٩٥] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٩٧.

[١٩٦] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص١٥٥.

[١٩٧] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٩٧.

[١٩٨] عفيف، تاريخ فيروز شاهي، ص٣٩٦.

[١٩٩] عفيف، تاريخ فيروز شاهي، ص١١٤.

السواس والرعاة وغيرهم، مهمتهم توفير الطعام والرعايا لهذه الفيلة، حيث كانت الفيلة تحتاج لكيات ضخمة من الطعام، فكان طعام الفيل اليومي لا يقل عن ٤٠ رطل من الأرز، و٦٠ رطل من الشعير، و٢٠ رطل من السمن، بجانب الأعشاب والحشائش [٢٠٠]. وقد خصص لهؤلاء رئيس أو شِحنة عرف باسم شحنة الفيلة[٢٠١] أو شحنه پيل [٢٠٢]، وكان يتم اختياره من كبار رجال الدولة [٢٠٣]، وأحياناً ما كان يتم تعيين شخصين في هذا المنصب، ويبدو أنه نظراً لكثرة عدد الفيلة ومسئوليتها الضخمة، كان يتم تقسيم الفيلة المشاركة في الجيش لقسمين: فيلة ميمنة وكان شحنتها يسمى (شحنك پيل ميمنة)، وفيلة ميسرة ويسمى شحنتها (شحنك پيل ميسرة) [٢٠٤].

الطبول والأبواق والرايات:

وتعد جزءاً هاماً من تجهيزات الجيش بسبب دورها في إذكاء حماسة الجنود والتأهب النفسي للقتال، وقد شبهت المصادر الطبول والأبواق التي كان يستخدمها محمد بن تغلق بتلك التي كان يستخدمها الإسكندر الأكبر، وهي: مائتان من النقارات (الطبول)، وأربعين من الكوسات [٢٠٥] الضخمة، وعشرة صنوج [٢٠٦]، وعشرين بوقاً [٢٠٧]. كما كان فيروز شاه يستخدم طبولاً ضخمة، لذا كان يتم حملها على الأفيال عند نقلها [٢٠٨].

أما عن الرايات فكان هناك نوعان منها: الأول وهي الرايات العامة الخاصة بالسلطان والجيش بوجه عام، والثاني هي الرايات الخاصة التي يحملها

---

[٢٠٠] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٧٢.

[٢٠١] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٧٣.

[٢٠٢] برني، تاريخ فيروز شاهي، ص٤٢٤.

[٢٠٣] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٧٣.

[٢٠٤] برني، تاريخ فيروز شاهي، ص٢٤.

[٢٠٥] هي صنوجات من النحاس، تشبه الترس الصغير، يدق بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص. انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٩.

[٢٠٦] هي آلات نحاسية يضرب بعضها على بعض. انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٣.

[٢٠٧] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٦٠؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٩٧.

[٢٠٨] عفيف، تاريخ فيروز شاهي، ص٣٧٠.

الخانات والملوك والأمراء. وقد سار السلطان غياث الدين على نهج من سبقه من سلاطين دلهي فيما يخص ألوان راياته[٢٠٩]، فجعلها باللونين الأسود والأحمر ولكن ولكن مع وضع صورة سمكة في وسط الراية [٢١٠]. وسار ابنه السلطان محمد بن تغلق على نهجه؛ فكانت راياته سوداء اللون يتوسطها تنين عظيم من الذهب، وكانت رايات الميمنة سوداء، والميسرة حمراء. وكان يسمح للخانات والملوك والأمراء بحمل رايات خاصة بهم يتراوح عددها ما بين ٣-٩ رايات لكل واحد منهم حسب رتبته كما سبق أن ذكرنا، على أن تكون بلون غير اللون الأسود الذي تفرد به السلطان [٢١١]. وقد احتفظ فيروز شاه بنفس التقليد فيما يخص ألوان وشعار راياته وإن أكثر منها، فقد بلغ عدد راياته في إحدى المعارك خمسمائة راية [٢١٢]، وكانت راياته كبيرة وضخمة حتى أنها كانت تحمل على الأفيال حين نقلها [٢١٣].

وظهرت أهمية الرايات كرمز للصمود وعدم الهزيمة خلال المعركة الفاصلة التي دارت بين غياث الدين تغلق والسلطان خسرو شاه، فأثناء المعركة قام جنود خسروا بتمزيق بعض رايات تغلق وطرحها أرضاً في محاولة للتأثير النفسي على جيش تغلق، ونجحوا في ذلك بالفعل، فقد ظن جنود تغلق أن الجيش انهزم وشرعوا في الانسحاب، لذلك سارع تغلق لمخاطبة حملة الرايات وحثهم على رفعها مرة أخرى واعداً إياهم بمكافآت ضخمة في حال تحقيق النصر، ولما رأى جنوده ارتفاع الرايات عادوا مرة أخرى وانتصر غياث الدين تغلق في المعركة على خصمه [٢١٤].

---

[٢٠٩] كانت رايات سلاطين دلهي قبل آل تغلق تحمل اللون الأسود لميمنة الجيش والأحمر للميسرة. انظر: الجوزجاني، طبقات ناصري، ج١، ص٦٥٧،٦٢٧؛ أمير خسرو، خزائن الفتوح، ص٧٧.

[٢١٠] أمير خسرو، تغلق نامة، ص١٣٣.

[٢١١] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٥٩ – ٦٠؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٩٦، ٩٨.

[٢١٢] عفيف، تاريخ فيروز شاهي، ص١١٥.

[٢١٣] عفيف، تاريخ فيروز شاهي، ص٣٦٩-٣٧٠.

[٢١٤] أمير خسرو، تغلق نامة، ص ١٢٩-١٣٠ .

التكتيكات الحربية:

كان يتم في العادة قبل اية معركة حربية عقد مجلس حرب يضم السلطان وكبار رجال الجيش من الخانات والملوك لبحث خطط الجيش في المعركة، وقد وصف لنا أمير خسرو أحد هذه المجالس للسلطان غياث الدين تغلق مواجهة عدوه اللدود خسرو شاه، حيث ذكر أن السلطان تغلق في هذا المجلس طالب قادة الجيش بإثبات ولائهم له بعد أن لمس منهم بعض التخاذل في مواجهة عدوه، وأخبرهم أنهم حتى لو تخلو عنه فإنه سوف يقاتل وحده معتمداً على شجاعته وإيمانه بالله [٢١٥].

وقد تنوعت التكتيكات الحربية التي استخدمها جيش آل تغلق خلال تلك الفترة، وذلك وفقاً لطبيعة ومكان المعارك. وقد حافظ تشكيل الجيش إلى حد ما على الطابع التقليدى والشكل الخماسي، الذي يتكون من قلب، وميمنة وميسرة من الفرسان، بجانب مقدمة ومؤخرة من المشاة والرماة [٢١٦]. فقد كان السلطان يقف في قلب الجيش ومعه الأئمة والعلماء، يحيط بهم الرماة من الأمام والخلف، وتتكون الميمنة والميسرة من الفرسان، وأمامهم الفيلة التي تحمل الابراج المحملة بالمقاتلين، وأمامهم المشاة [٢١٧].

أما الجانب التقليدى في التخطيط فكان يعتمد على التأثير النفسي على جنوده، والخداع للأعداء. فقد كان السلطان يحرص على اصطحاب الشيوخ والعلماء[٢١٨]، ربما من أجل التبرك بهم من ناحية، ورفع الروح المعنوية للجنود من ناحية أخرى. كما كان يتم استخدام الموسيقى العسكرية من الطبول والأبواق لبث الحماسة في نفوس الجنود، ولإرهاب الأعداء في نفس الوقت. أما الخداع فكان يتمثل في القيام ببعض الحيل لتضليل أعدائه، ومن ذلك ما قام به السلطان محمد تغلق أثناء تمرد أحد أهم رجاله وهو (عين الملك)، وعدم وجود عدد كاف وقتها للقضاء على هذا التمرد خاصة في ظل مكانة عين الملك وخضوع جزء كبير من الجيش له، لذلك كتب السلطان للأمراء القريبين منه أن يرسلوا له المدد، وكان

---

[٢١٥] تغلق نامة، ص٨٤-٨٦ .

[٢١٦] ابن هذيل، حلية الفرسان، ص٢٥.

[٢١٧] القلقشندي، صبح الأعشى، ص٩٧.

[٢١٨] أمير خورد، سير الأولياء، لاهور ١٩٧٨، ص٢٤٥-٢٤٦.

كلما قدم مدد صغير من أحد الأمراء أرسل عدد كبير من الجنود من معسكره لاستقبالهم، فيدخلون معه المعسكر كأنهم جميعهم مدداً له [٢١٩].

ومن التكتيكات الخداعية الأخرى تكتيك الانسحاب الخادع؛ حيث كان يتهم إيهام جيش العدو بالانسحاب والتراجع من المعركة مما يغري الجيش الآخر باستغلال الفرصة ومهاجمة المنسحبين، ويكون في استقبالهم هنا الرماة بسهامهم. كما يتم وضع ما يعرف باسم الخسك لعرقلتهم [٢٢٠]. وقد استخدم هذا التكتيك السلطان فيروز تغلق في هجومه على إقليم البنغال، فحين تحصن حاكمها في قلعته تظاهر فيروز بالانسحاب مع جيشه ولما رأى البنغاليون ذلك نزلوا من القلعة لمهاجمة جيش فيروز لكنهم فوجئوا بجيش فيروز يحيط بهم وانهزموا أمامه [٢٢١].

كما كانت هناك كلمة سر توزع على الجنود منعاً لتسلل أي غرباء لمعسكر الجيش، فخلال إحدى المعارك أمر السلطان محمد تغلق أن تكون كلمة السر (دهلي وغزنة)، فإذا لقى أي جندي زميله قال له: دهلي، فإن أجابه بغزنة تأكد أنه زميله وإلا قاتله [٢٢٢]. ومن طرق الخداع في المعارك أيضاً ما قام به محمد بن تغلق أثناء المعركة ضد كشلوخان، فقد وضع السلطان في مكان رجلاً يشبهه، ثم أخذ جانباً بعيداً مع أربعة آلاف من فرسانه، فهجم جنود كشلوخان على السلطان الوهمي وقتلوه فظنوا انهم كسبوا المعركة فانفضوا من حول كشلوخان طمعا في الغنائم وتركوه وحيداً وهنا تقدم محمد بن تغلق مع فرسانه وهاجم كشلوخان وتمكن من قتله [٢٢٣].

ويضاف للتأثير النفسي على الأعداء أو المتمردين العقوبة التي كان ينزلها السلطان بالأسرى من المتمردين، فقد حرص على أن تكون عقوبة غاية في القسوة حتى تكون رادعاً لكل من يفكر في الخروج على طاعة السلطان أو يفكر

---

[٢١٩] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص٢١٢.

[٢٢٠] وهي كرة تصنع من الخشب أو الحديد وتلقى على الأرض فتجرح حوافر الجياد أو أقدام الفيلة. انظر: فخر المدبر: آداب الحرب، ص٣٣١.

[٢٢١] عفيف، تاريخ فيروز شاهي، ص١١١-١١٤.

[٢٢٢] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص٢١٣.

[٢٢٣] برني، تاريخ فيروز شاهي، ص٤٧٨-٤٧٩.

في مواجهته عسكرياً. وقد كانت هناك عقوبتان قاسيتان لمن يقع في أسر الجيش التغلقي من المتمردين، الأولى كانت بسلخ جلودهم ثم طرحهم على وجوههم حتى يموتوا [٢٢٤]، والثانية كان يتم فيها إلقاء الأسرى للفيلة المدربة التي سُلحت أنيابها بالحدائد فتقوم بالتلاعب بالأسرى وقذهم في الهواء حتى تقطعهم إرباً [٢٢٥].

أما عن تكتيك الجيش خلال المعارك، فكان المشاة يتقدمون بسيوفهم لفتح الطريق للفيلة ويقطعون عراقيب خيول الأعداء، ثم يهاجم الفرسان في الميمنة ميسرة الأعداء، والعكس بالنسبة لفرسان الميسرة، وتخترق الفيلة بمقاتليها صفوف الجيش المعادي، ويقوم الرماة برمي السهام وقوارير النفط على الأعداء [٢٢٦].

التحصينات الحربية:

تمثل التحصينات جانباً هاماً من النواحي العسكرية الدفاعية، وفى ظل بيئة محاطة بالأعداء من كل جانب كالتي عاش فيها سلاطين بني تغلق كان التحصين على جانب كبير من الأهمية. وقد تمثلت هذه التحصينات في الأسوار والقلاع والحصون التي بنيت حول المدن لحمايتها من غارات المعتدين.

الأسوار: كانت الأسوار من المعايير الحضارية التي ميزت المدن، واعتبرها الفقهاء المسلمين في عداد " البناء الواجب " لاستخدامها في الدفاع عن حرمات المسلمين [٢٢٧]. وقد حرص آل تغلق على إحاطة مدنهم الرئيسية بأسوار ضخمة لحمايتها، ومن ذلك سور دلهي الذي كان يحيط بها وكان له ثمانية وعشرون باباً، وكان أسفله مبنى من الحجارة وأعلاه من الآجر، وبه أبراج للمراقبة[٢٢٨].

وكان الهدف من بناء السور ليس فقط الدفاع السلبي عن المدينة ولكن كان له دور في الهجوم على العدو، لذلك كان يصمم على أن يكون أعلاه على هيئة ممر أو ممشى يمكن للجند التحرك عليه، ويسمح لهم برؤية أفضل ومرمى أبعد وأوسع [٢٢٩]. وهذا ما ذكره ابن بطوطة في وصفه لسور مدينة دلهي، حيث

---

[٢٢٤] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص ٢٠٤

[٢٢٥] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص٢١٥.

[٢٢٦] العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٧٣.

[٢٢٧] محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، القاهرة ١٩٩٩، ص١٣٥.

[٢٢٨] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص١٠٥.

[٢٢٩] محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، ص١٣٨.

ذكر أن عرض حائط السور كان إحدى عشرة ذراعاً، وكان الجند يمشون عليه من أول المدينة إلى آخرها. وكان محمد تغلق يخطط لعمل سور كبير يحيط بمدينة دهلى والمدن المجاورة لها، وبالفعل شرع في بنائه لكنه سرعان ما انصرف عنه نتيجة التكلفة الضخمة التي كان يحتاجها [٢٣٠].

القلاع والحصون: بجانب الأسوار أقام سلاطين آل تغلق بعض القلاع والحصون لحماية مدنهم وتحصينها، ولعل من أهمها قلعة الدواكير [٢٣١] التي بناها محمد بن تغلق، ووصفها ابن بطوطة بأنها " من أمنع قلاع الدنيا " [٢٣٢]. كما بنى حصن " عدل آباد " في مدينة تغلق آباد التي أنشأها والده، وبنى قلعة أيضاً في المدينة الجديدة التي أنشأها وسماها دولت آباد [٢٣٣]. وقد وُصِف فيروز شاه بأنه من أكثر أكثر السلاطين بناءً للقلاع والحصون، حيث قام ببناء قلعة في مدينته الجديدة التي حملت اسمه " فيروز آباد ". كما قام ببناء عدة حصون في المدن الجديدة الأخرى التي أنشأها مثل حصار فيروزه، وفتح آباد[٢٣٤].

نشاط الجيش:

تمثل المعارك التي خاضها الجيش التغلقى ضد الممالك الهندية من جهة، والخارجين على سلطان آل تغلق من جهة ثانية، وضد المغول الطامحين في السيطرة على الهند من جهة ثالثة نشاطاً تطبيقاً يبرز قوة الجيش التغلقي وفاعليته. وسوف نستعرض نموذجاً لكل حالة من هذه الحالات لنرى أهمية الجيش التغلقى وما حققه من نتائج:

مواجهة الخارجين: تعددت حالات التمرد والخروج على طاعة سلاطين آل تغلق، وكان الجيش يقوم بدوره هنا في قمع هذه التمردات وإعادة الأمور لنصابها، ومن هذه الحالات ثورة كُشلوخان الذي كان أميراً على السند، وصديقاً مقرباً للسلطان محمد بن تغلق بعد أن ساعده أثناء توليه عرش السلطنة، لكنه خالف أوامر السلطان

---

[٢٣٠] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص١٠٥.

[٢٣١] الدواكير: بفتح الدال والواو، وهي مدينة قديمة أعاد محمد تغلق بنائها وسماها قبة الإسلام. عنها انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٧٠.

[٢٣٢] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص٢٢١.

[233] Welch, A., Crane, H., " The Tughluqs: Master builders of the Delhi Sultanate ", ***Muqarnas***, Vol. 1 (1983), 125.

[٢٣٤] عفيف، تاريخ فيروز شاهي، ص١٣٤؛

Welch and Crane, The Tughluqs, 128-129.

وخشى عقابه فإنقلب عليه. وقد خرج محمد بن تغلق بنفسه على رأس الجيش للقضاء على هذا التمرد نظراً لقوة جيش كشلوخان [٢٣٥].

مواجهة الممالك الهندية: نجح آل تغلق في مد نفوذهم إلى بعض الممالك الهندية المجاورة مثل مملكة البنغال، وقد استغل حكامها ميل فيروز شاه للسلم فأعلنوا انفصالهم عن آل تغلق، وقد قام فيروز شاه بحملتين عليهم عام ٧٦٠هـ/١٣٥٩م، وحدث قتال عنيف بين الجيش التغلقى وجيش البنغاليين، ورغم انتصار الجيش التغلقي إلا أن فيروز شاه وافق على طلب الصلح من البنغاليين ولم يحاول ضم مملكة البنغال مرة أخرى [٢٣٦].

مواجهة المغول: كان مغول فارس يطمعون في الاستيلاء على الهند، وقام زعيمهم ترمشيرين خان بحملة على شمال الهند وتمكن من الاستيلاء على بعض المناطق بها عام ٧٢٧هـ/١٣٢٧م، وقام محمد بن تغلق بالخروج على رأس جيشه لمواجهة هذا الخطر الداهم، ونجح بالفعل في التصدى لجيش المغول وإجباره على التراجع إلى الشمال واسترد منه المناطق التي سبق واستولى عليها في شمال الهند[٢٣٧].

الأسطول:

على الرغم من أن مملكة آل تغلق كانت تضم مسطحات بحرية واسعة، إلا أن الإشارات لوجود أسطول بحري لهم تكاد تكون نادرة، والإشارة الوحيدة لدينا لوجود سفن بحرية هي التي ذكرها العمري [٢٣٨] في حديثه عن جهاد محمد تغلق حين ذكر أن للسلطان سفن في البحر من نوع الغربان [٢٣٩]، لكنه لم يعطنا أية تفاصيل أخرى. وربما يرجع ذلك لعدم وجود معارك بحرية خاضها سلاطين آل

---

[٢٣٥] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٣، ص٢٠٢؛ برني، تاريخ فيروز شاهي، ص٤٧٨-٤٧٩.

[٢٣٦] عفيف، تاريخ فيروز شاهي، ص١٤٤.

[٢٣٧] عصامي، فتوح السلاطين، ص٤٦٣؛ سرهندي، تاريخ مباركشاهي، ص١٠١.

[٢٣٨] مسالك الأبصار، ج٣، ص٧٠.

[٢٣٩] الغربان أو الأغربة: جمع غراب، وهي مراكب طوال تمتاز بالسرعة، عرفت بهذا الاسم بسبب مقدمة هيكلها التي تشبه رأس الغراب ولأنها تطلى باللون الأسود. انظر: درويش النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المعجم، الإسكندرية ١٩٧٤، ص١٠٤-١١٢؛ أحمد عبد الرازق، الحضارة الإسلامية، ص٢١٥.

تغلق سواء للهجوم أو الدفاع، إذ كان أغلب الهجمات الخارجية على السلطنة تأتى عن طريق البر.

على الجانب الآخر، هناك ثمة إشارات عن وجود أسطول نهري داخلي كان يستخدم لنقل الجنود والعتاد العسكري عبر أنهار السلطنة الكبرى مثل نهري السند والگنج، إذ يذكر ابن بطوطة [٢٤٠] أن أحد كبار رجال محمد تغلق كان يستخدم السفن في الانتقال عبر السند مع جنوده وعتاده العسكري، كما ذكر عفيف [٢٤١] أن فيروز شاه استخدم السفن في عبور نهر الگنج أثناء إحدى حملاته. وكما يبدو هنا أن السفن كانت لمجرد نقل الجنود والعتاد ولم تتم بها أية معارك، لذا لم تمدنا المصادر بأية معلومات عن أسلحة بحرية استخدمت في هذه السفن، ولم تذكر المصادر سوى أنواع بعض السفن المستخدمة في الأسطول النهري، حيث يذكر ابن بطوطة [٢٤٢] بعض أنواعها مثل الأهورة[٢٤٣].

---

[٢٤٠] رحلة بن بطوطة، ج٣، ص٨٢.

[٢٤١] تاريخ فيروز شاهي، ص١٤٤.

[٢٤٢] رحلة بن بطوطة، ج٣، ص٨٢.

[٢٤٣] بفتح الهمزة والهاء وسكون الواو وفتح الراء، نوع من السفن الهندية تستخدم للنزهات البحرية في العادة. انظر: درويش النخيلي، السفن الإسلامية، ص٧.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية

* إبراهيم على طرخان، النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، القاهرة ١٩٦٨.
* أحمد عبد الرازق، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة ١٩٩٩.
* آشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعى للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ت. عبد الهادي عبلة، دمشق ١٩٨٥.
* بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ت. أحمد سعيد سليمان، م. إبراهيم صبري، القاهرة ١٩٩٦.
* بزرك بن شهريار، عجائب الهند، عجائب الهند بره وبحره، ليدن ١٨٨٦
* بيتر جاكسون، سلطنة دلهي: تاريخ سياسي وعسكري، ت. فاضل جكتر، الرياض ٢٠٠٣.
* ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج٣، تحقيق: عبد الهادي التازي، الرباط ١٩٩٧.
* الثعالبي، لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم الابيارى، حسن كامل الصيرفي، القاهرة ١٩٦٠.
* الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق: أحمد شاكر، القاهرة ١٩٦٩.
* الجوزجاني، طبقات ناصري، ج١، ت. عفاف زيدان، القاهرة ٢٠١٣.
* الجوزجاني، طبقات ناصري، ج٢، ت. ملكة علي التركي، القاهرة ٢٠١٢.
* حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة ١٩٨٩.
* ابن خرداذبة، المسالك والممالك، نشر: دي غويه، ليدن ١٨٨٩.
* درويش النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المعجم، الإسكندرية ١٩٧٤.
* الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج١، القاهرة ١٩٥٧.
* ابن سلام، كتاب السلاح، تحقيق: حاتم صالح، بيروت ١٩٨٥.
* السيرافي، رحلة السيرافي، بغداد ١٩٥٦.

* الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٣، نشر: ديدرنغ، شتوتجارت ١٩٧٤.
* الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، تحقيق: محمد أبو الفضل، القاهرة ١٩٧٧.
* الطرسوسي، تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء، تحقيق: كلود كاهن، نشرة الدراسات الشرقية، بيروت ١٩٤٨.
* عبد المنعم النمر، تاريخ الاسلام في الهند، القاهرة ١٩٥٩.
* العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٣، تحقيق: كامل سالم الجبوري، بيروت ٢٠١٠.
*فخر مدبر، تاريخ مبارك شاه في أحوال الهند، ت. ثريا محمد علي، القاهرة ١٩٩١.
* القضاعي، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، ج٢، القاهرة ١٩٨٥.
* القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٥، القاهرة ١٩١٥.
* قمر شعبان الندوي، دلهي في عصر السلطان محمد تغلق شاه كما يراها ابن بطوطة، مجلة ثقافة الهند، م٦٦، ع٣، ٢٠١٥، ص١١٣-١٢٨.
* ماركو بولو، رحلات ماركو بولو، ت. عبد العزيز جاويد، القاهرة ٢٠٠٤.
* محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، القاهرة ١٩٩٩.
* محمد نصر عبد الرحمن، الحياة الاقتصادية في الهند في عهد بني تغلق (٧٢١-٨١٦ هـ/١٣٢١-١٤١٤م)، حوليات إسلامية-المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، العدد ٤٢، ٢٠٠٨.
* محمود عرفة، النظم السياسية والاجتماعية بالهند في عهد بنى تغلق (٧٢١-٨١٦ هـ/١٣٢١-١٤١٤م) حوليات كلية الآداب جامعة الكويت، الحولية (١٨)، ١٩٩٨.
* ابن مماتي، قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سوريال عطية، القاهرة ١٩٤٣.
* ابن منظور، لسان العرب، مادة مجنق، القاهرة ١٨٨٩.
* النظامي العروضي السمرقندي، جهار مقالة، ت. عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب، القاهرة ١٩٤٩.
* ابن هذيل، حلية الفرسان وشعار الشجعان، تحقيق: محمد عبد الغنى حسن، القاهرة ١٩٤٩.

ثانياً: المصادر والمراجع الفارسية

* أمير خسرو، خزائن الفتوح، تصحيح وتحشية: سيد معين الحق، جامعة عليكرة الإسلامية، ١٩٢٧.

* أمير خسرو دهلوي، تغلق نامه، تهذيب وتحشية سيد هاشمي فريد آبادي، أورنجباد ١٩٣٣.

* أمير خورد، سير الأولياء، لاهور ١٩٧٨.

* بداوني، منتخب التواريخ، جلد أول، تصحيح: مولوي أحمد علي، تهران ١٣٨٦هـ.

* حسن أنوري، اصطلاحات ديواني دوره غزنوي وسلجوقي، تهران٢٥٣٥ش.

*سرهندي، تاريخ مباركشاهي، تصحيح: هدايت حسين، كلكتا ١٩٣١.

* شمس سراج عفيف، تاريخ فيروز شاهي، تصحيح: ولايت حسين، كلكتا ١٨٩٠.

* ضياء الدين برني، تاريخ فيروز شاهي، تصحيح: سيد أحمد خان، كلكتا ١٨٦٢.

* عصامي، فتوح السلاطين، تصحيح: أوشا، مدراس ١٩٤٨.

* عين الملك بن ماهرو، إنشائي ماهرو، تصحيح عبد الرشيد، لاهور ١٩٦٥.

* فخر مدبر، آداب الحرب والشجاعة، تصحيح واهتمام: أحمد خوانساري، باكستان ١٣٤٦هـ.

* فرشتة، تاريخ فرشته، جلد أول، تصحيح: محمد رضا نصيري، تهران ١٣٩٣ش.

ثالثاً: المراجع الأوربية

* Ahmed, F., " The Delhi Sultanate: a slave society or a society with slaves? ", ***Pakistan Journal of History and Culture***, 30 (2009).

* Banerjee, A., "A note on the succession of Firuz Shah ", ***Indian Culture*** 2, 1935-1936, 47-52.

* Banerji, A., "Ghiyasuddin Tughluq shah as seen in his monuments and coins ", ***Journal of the United Provinces Historical Society***, 15 (1942), 45 – 54.

* Banerjee, A., *History of Fairuz shah Tughluq*, (Delhi, 1967).

* Basu, K., "The house of Tughlaq (From the Tarikhi- Mubarakshahi.) ", ***Journal of Asiatic Society of Bengal*** 26, (1930), 1-33.

* Basu, K., "Firuz Shah Tughluq as a ruler ", ***Indian Historical Quarterly***, 17 (1941), 386-393.

* Chaghati, M., "Muhamed bin Tughluq shah ", ***Poona Orientalist*** 9, (1944), 58-61.
* Day, U., "The North-West frontier under the Khalji Sultans of Delhi", ***Islamic Culture*** 39 (1963), 98-109.
* Day. U., *Administrative system of Delhi Sultanate (1206-14130)*, (Allahabad, 1965).
* Digby, S., *War Horse and Elephant in the Delhi Sultanate: A Study of Military Supplies*, (Oxford, 1971).
* Habibuallah, M., "Re-evaluation of the literary sources of pre -Mughal history", ***Islamic Culture***, 15 (1941), 207-206.
* Habibuallah, M., "The campaigns of 'Alauddin Khalji: Being the English translation of the Khazainul Futuh of Amir Khusrau." In collected works of Professor Muhammad Habib, politics and society during the early medieval priod. Edited by K. A. Nizami. Vol. 2 (New Delhi, 1981), pp. 149–270;
* Haig, W., "Five questions in the history of the Tughluq dynasty of Delhi ", ***Journal of Royal Asiatic Society***, (1922), 365-372.
* Jauhri, R., "Ghyathu'd-din Tughluq – his original name and descent ", in: *Kumwar Muhammad Ashraf commemoration volume*, (Wiesbaden, 1966), 62-66.
* Kumar, S.," Service, status, and military slavery in Delhi Sultanate: The Thirteenth and Fourteenth Century ", in Chatterji and Eaton, eds. *Slavery in South Asian History*, (Indiana university press, 2006), 83-114.
* Kumar, R., *Essays on medieval India*, (Delhi, 2003).
* Lal, S., *History of the Khaljis, A.D. 1290-1320*, (Allahabad, 1950).
* LanePool, S., *Mediaeval India under Mohammedan rule (712-1764 A.D.)*, (London, 1952).
* Mahdi, H., *Tughluq dynasty*, (Calcutta, 1963).
* Majumdar, *An advanced history of India*, (London, 1963).
* Mirzam W., *The life and works of Amir Khusru*, (Calcutta, 1935).
* Niazi, G., *The life and works of Sultan Alauddin Khalji*, (New Delhi, 1994).
* Prasad, I., "The rise and growth of Khilji imperialism ", *Journal of Indian History*, 1(1921-1922), 147-148.
* Qurishi, I., *Administration of the Sultanate of Delhi*, (Karachi, 1958).
* Raza, J., Tughlaq administration in the light of epigraphic evidence, ***Indian Historical Conference: Proceedings***, *69th Session*, (2008), 230-239.
* Sharma, S., *Amir Khusraw: Poets of Sultans and Sufis*, (oxford, 2005).
* Siddiqi, I., "Sultan Muhammad bin Tughluq's foreign policy: a reappraisal ", ***Islamic Culture***, 62(1988), 1-22.
* Siddiqi, I., " Fresh light on Diyā᾽al-Dīn Baranī: the doyen of the Indo-Persian historians of medieval India ", ***Islamic Culture***, 63 (1989), 69-84.
* Welch, A., Crane, H., "The Tughluqs: Master builders of the Delhi Sultanate ", ***Muqarnas***, Vol. 1 (1983).

الخرائط والأشكال والصور

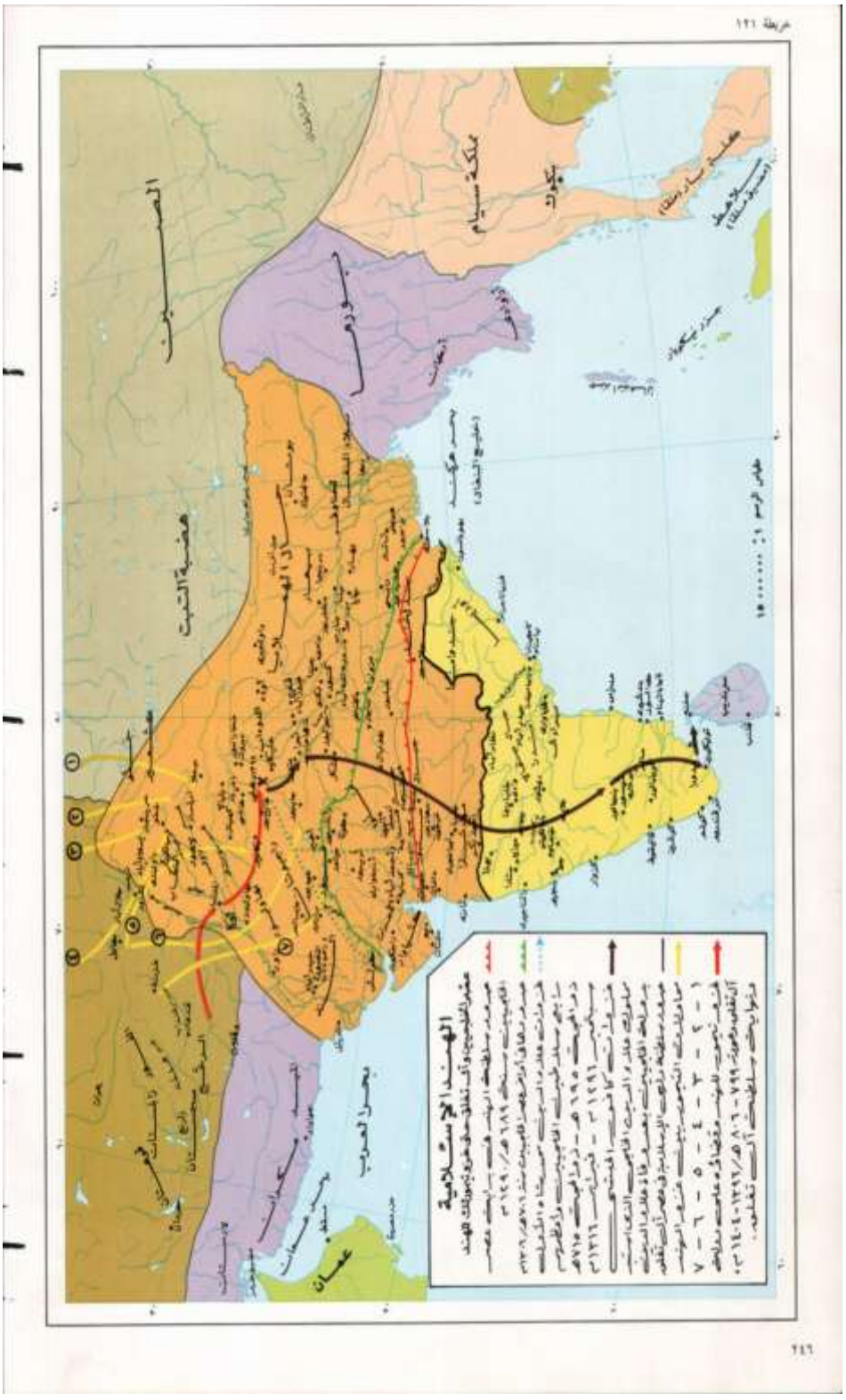

خريطة توضح حدود سلطنة بنى تغلق في الهند. نقلا عن: حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام ، ص٢٤٦

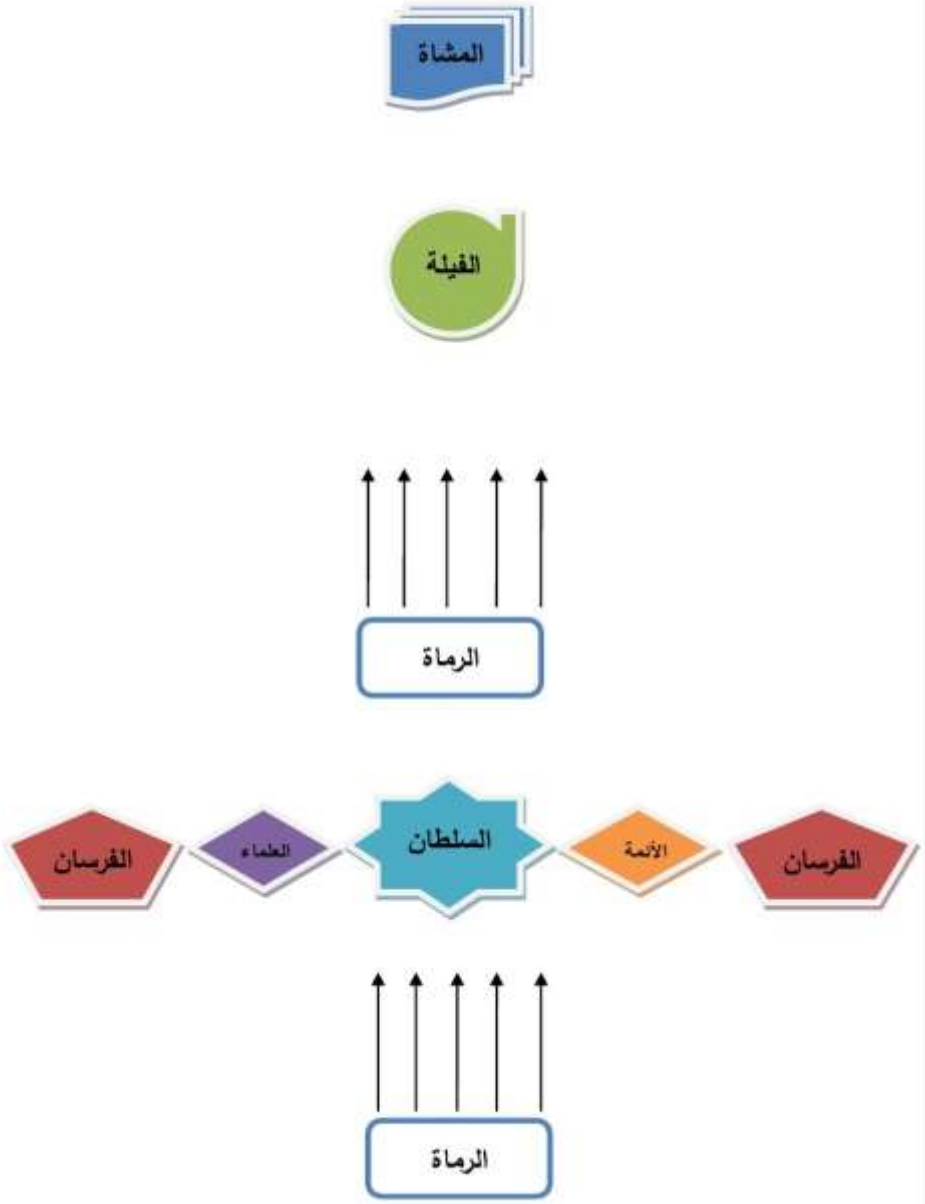

شكل يوضح تشكيل جيش آل تغلق خلال المعارك

قلعة لمحمد بن تغلق بمدينة تغلق آباد. نقلا عن:
Welch, A., Crane, H., The Tughluqs: Master builders, 128.

مساهمة في التاريخ المبكر للإسلام في الهند

مساهمة في التاريخ المبكر للإسلام في الهند [١]

لم يبد المؤرخون المسلمون الأوائل اهتماماً كبيراً ببدايات الإسلام في الهند. ويرجع إهمالهم لهذا الموضوع بشكل أساسي لحقيقة أن الهند لم تصبح جزءاً من العالم الإسلامي الرئيسي حتى تأسيس سلطنة دلهي في القرن الثالث عشر الميلادي. وحتى البلاذري [٢]، الذي خصص فصلاً كاملاً في كتابه (فتوح البلدان) للحديث عن الفتح المبكر للسند والأحداث اللاحقة هناك، زودنا بمعلومات حقيقية قليلة للغاية تتعلق بالتاريخ المبكر للإسلام في شبه القارة الهندية. والجزء الهام من مادته عبارة عن حكايات وقصص، ورغم أن البلاذري يصف الأحداث التي وقعت بالسند فإنه تكلم بشكل مقتضب عن تطور الإسلام المبكر هناك. والروايات في كتاب البلاذري تهتم بشكل كامل بأسماء الأشخاص الذين قادوا الحملات العسكرية المبكرة على الهند، أو اسم أول محارب دخل مدينة هندية أو اقتحم حصن هندي؛ هذه الروايات تهتم بتحديد دور مقاتل معين، وبالتالي قبيلته في الجهاد المبكر، وهي بذلك كانت هامة لمكانة سلالة هذا المقاتل في الدولة الإسلامية في العصور المتأخرة. وقد أشار البلاذري في حالات قليلة جداً لبعض المشكلات مثل العلاقة بين الفاتحين العرب والسكان المحليين، أو كل الحالات الهامة لاعتناق الإسلام [٣].

والمعلومات التي قدمها لنا الطبري لا تعدو أن تكون مجرد شذرات، حيث يذكر في الأجزاء التي تناولت تاريخ ما قبل الإسلام روايات مقتضبة تتعلق بطرد آدم من الجنة وهبوطه في الهند أو سيلان [٤]، ويعطي بعض المعلومات عن العلاقات بين الهند والممالك القديمة في إيران واليمن [٥]. والمادة التي يقدمها

---

[١] العنوان الأصلي للمقال:
Friedmann, Y., *A contribution to the early history of Islam in India*, in: studies in memory of Gaston Wiet, ed. By Ayalon, Myriam, (Jerusalem, 1977), p.309-333.

[٢] البلاذري، فتوح البلدان، نشر دي غويه، ليدن ١٨٦٦، ص٤٣١-٤٤٦.

[٣] انظر: ايرا لابيدوس، تحول مصر إلى الإسلام، مجلة دراسات إسرائيل الشرقية (***IOS***)، ع٢، ١٩٧٢، ص٢٤٨؛ " يظل تاريخ التحول للإسلام، في مصر أو أي مكان آخر، موضوعاً غامضاً مثيراً للدهشة حيث لا تعلق عليه المصادر العربية تقريبا".

[٤] تاريخ الرسل والملوك، نشر دي غويه، ليدن ١٨٧٦-١٩٠١، ج١، ص١١٩-١٢٧.

[٥] انظر على سبيل المثال: المصدر نفسه، ص ٤٤٠-٤٤١، ٦٥٢-٦٥٣، ٧٧٥، ٨٩٤.

الطبري عن الفترة الإسلامية محصورة في مناسبات معينة، مثل الاشارات المختصرة للحملات العسكرية التي شنت على الهند [٦] وحالات تعيين وعزل الولاة[٧]. أما عن المعلومات التي يقدمها اليعقوبي فهي أكثر غزارة. يمكننا أن نحصل من تاريخه على تفاصيل عديدة عن الحالات الكثيرة جداً لتغيير الولاة[٨] وثورات الزط،[٩] وأثر العداء الدائم بين القيسية واليمنية على الوضع الداخلي في الولاية الهندية[١٠]. ومع ذلك فإن اليعقوبي يكتب أيضاً من وجهة نظر العاصمة العباسية، فاهتمامه بالأحداث في السند مرجعه فقط انها تطورات هامة داخل الإمبراطورية العباسية. والإضافات التي تقدمها الكتابات التاريخية الفارسية – الهندية المتأخرة ليست كبيرة، يقول فرشته، على سبيل المثال، ظهر الإسلام في مُلتان[١١] زمن محمد بن القاسم[١٢]، ولم تسجل كتب التاريخ الأحداث التي وقعت بملتان في الفترة بينه وبين محمود الغزنوي، ولا توجد روايات شفهية كثيرة عن ذلك[١٣].

---

[٦] المصدر نفسه، ج٢، ص١٢٠٠، ١٢٦٧، ١٢٧١، ١٢٧٤–١٢٧٥؛ ج٣، ص٤٦٠–٤٦١.

[٧] المصدر نفسه، ج٢، ص٧٣، ٩٤؛ ج٣، ١١٠٠، ١٢٣٣، ج٤، ص٣٥٩، ٣٦٣، ٣٨٠، ٤٦١.

[٨] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، نشر هوتسما، ليدن ١٨٨٣، ج٢، ص٤٩٣–٤٩٤.

[٩] المصدر نفسه، ص٤٧٩–٤٨٠.

[١٠] المصدر نفسه، ص٤٩٣–٤٩٤.

[١١] هي إحدى أكبر مدن إقليم السند، وهذه الكلمة مشتقة من الكلمة السنسكريتية Maliathan والتى تعنى موضع قبيلة مالي، تلك القبيلة القوية التى كانت تقطن المنطقة زمن الإسكندر المقدوني، ولمزيد عنها انظر: القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت (ب.ت)، ص ١٢١ – ١٢٣. (المترجم)

[١٢] هو قائد الحملة الإسلامية التي فتحت شمال الهند (السند) في العصر الأموي، ولمزيد عنه انظر: محمود شيت خطاب، محمد بن القاسم الثقفى فاتح السند، مجلة المجمع العلمى العراقى، المجلد ١٦، ١٩٦٨، ص ١٢٧ –١٤٨؛ المباركبورى، رجال السند والهند، القاهرة ١٩٨٨، ص٥٠٠ – ٥٠٤. (المترجم)

[١٣] فرشته، تاريخ فرشته، بومباي ١٨٣١، ج٢، ص٦٢٥–٦٢٦؛ انظر أيضاً: غلام باسط، تواريخي ممالكي هندوستان، مخطوط بالمتحف البريطاني رقم ٢٧٢٥٠، ورقة ٤٩أ، ٤٩ب.

وفي القرن السابع عشر المؤرخ بقاء [١٤] تحث عن نفس الولاية، وذكر أن الإسلام بدأ هناك مع محمد بن القاسم ثم حكم القرامطة مُلتان [١٥] ثم دمرها محمود الغزنوي، ولم يقدم أية معلومات أخرى عن الفترة المبكرة [١٦]. والتاريخ المبكر للسند لم يكن أفضل حالاً. ونقرأ في كتاب طبقات أكبري أن كتب التاريخ لم تمدنا بمعلومات عن حكام السند. فقط طبقات بهادر شاهي أمدنا بمعلومات ضئيلة عنهم، لقد منحنا أسماء قلة من الأشخاص الذين حكموا السند وتحديداً مدة ولايتهم[١٧].

ورغم هذا النقص الواضح في المادة التاريخية، والتي من غير المرجح أن تكمله المصادر غير الإسلامية، فإن دارسي تاريخ الهند في العصر الوسيط ربما يكونوا متشوقين لمعرفة تفاصيل عن النجاحات الأولي التي حققتها الجيوش الإسلامية في شبه القارة الهندية، وإعادة كتابة التاريخ المبكر لاستقرار المسلمين هناك. وسوف أوجه اهتمامي لعمليات اعتناق الهنود للإسلام، والعلاقات الجديدة

---

[١٤] عنه انظر: ستوري، الأدب الفارسي، لندن ١٩٥٣، ج١، ص١٣١-١٣٤. ويقصد المؤلف هنا محمد لقاء السهارنبوري، وهو عالم وشاعر كبير صنف كتاب مرآة جهان نامه بأمر من بختاور خان عالمكيري لكنه مات قبل أن يتمه فبيضه من مسوداته ابن اخته محمد شفيع. لمزيد انظر: الحسني، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بنزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج٥، بيروت ١٩٩٩، ص٦٢٩-٦٣٠. (المترجم)

[١٥] يقصد بهم الفاطميون الذين نجحوا في تأسيس إمارة لهم في مدينة ملتان في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، ولمزيد عن هذه الإمارة انظر: المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، نشر دى غوية، ليدن ١٩٠٦، ص٤٨٠-٤٨٣؛ محمد نصر عبد الرحمن، الوجود العربي في الهند في العصور الوسطى، القاهرة ٢٠١٣، ص٩١-٩٧. (المترجم)

[١٦] لقاء، مرآتي جهان نامه، مخطوطة بالمكتب الهندي (India Office) رقم ١٢٦، ورقة ٣٠٥ب. انظر أيضاً: نظام الدين أحمد، طبقات أكبري، كلكتا ١٩٣٥، ج٣، ص٥٢١-٥٢٢.

[١٧] نظام الدين أحمد، مصدر سابق، ج٣، ص٥١٢. انظر أيضاً: نور الحق دهلوي، زبدة التواريخ، مخطوطة بالمتحف البريطاني (BM) رقم (Ms. Add. 10580)، ورقة ٣١٧ب-٣١٨أ؛ الشيرازي، أحسن التواريخ، مخطوطة بالمتحف البريطاني (BM) رقم (Ms.Or.1649)، ورقة ٤٤٧ب-٤٤٨أ.

بين المسلمين وجيرانهم من الهنود. والهدف من هذا المقال هو إعادة النظر في جوانب عديدة من تاريخ الإسلام في الهند في الفترة التي سبقت غزوات محمود الغزنوي في ضوء الدلائل الضئيلة المتاحة.

(١)

كان بعد الهند عن الأراضي الإسلامية المركزية، وحقيقة أن الطريق البري المؤدي لها يخترق صحراء مكران [١٨] الواسعة، وكذلك حتمية عبور البحر للوصول إليها، كل ذلك كان من العوامل الأولية التي منعت المسلمين من إرسال حملات عسكرية كبيرة نحو الهند في السنوات المبكرة من التاريخ الإسلامي. أما العوامل الأخرى، تحديداً، فقد بدت غامضة إلى حد كبير في المصادر العربية المبكرة.

انطلقت أول حملة بحرية إلى الهند في عهد الخليفة عمر بن الخطاب[١٩] ووفقاً لما ذكره البلاذري لم تكن هذه الحملة بتصريح من الخليفة أو وفقاً لأوامره، وقد لقي قائدها – رغم الانتصارات– توبيخاً حاداً من الخليفة عمر، الذي كان يبغض فكرة ارسال حملات بحرية نظراً للمخاطر التي تعترض الرحلات البحرية[٢٠]. معارضة الحكام المسلمين اللاحقين لإرسال حملات عسكرية على الهند لم تكن بسبب موقف عمر الحازم لأن بعض الحملات اللاحقة لم تسلك الطريق البحري. وقد أرسل الخليفة عثمان بن عفان أحد اتباعه لاستكشاف ثغر الهند، وسلك هذا الرجل الطريق البري، وكتب تقريراً جاء فيه أنها أرض قاحلة

---

[١٨] تقع مكران في الجنوب الشرقي لإيران. ولمزيد عنها انظر: المستوفي، نزهة القلوب، بسعي واهتمام لسترانج، لندن ١٩١٩، ص١٤١؛ دهخدا، لغت نامه، تهران ١٣٣٦ش، ص٩٩٠. (المترجم)

[١٩] لمناقشة أي التاريخين تحديداً هو الصواب ١٥ أو ٢٣هـ انظر: محمد إسحاق، " نظرة سريعة على الحملة العربية الأولى إلى الهند في عهد صحابة النبي"، مجلة الثقافة الإسلامية (***IC***)، ع٩، ١٩٤٥، ص١٠٩-١١٤؛ وبلوتش السندي، "التاريخ المحتمل للحملة العربية الأولى إلى الهند"، مجلة الثقافة الإسلامية (***IC***)، ع٢٠، ١٩٤٦، ص٢٥٠-٢٦٦. .

[٢٠] البلاذري، مصدر السابق، ص٤٣٢؛ ومقالي: " إشكاليات بسيطة في كتاب البلاذري بشأن فتح السند"، مجلة الدراسات الشرقية (***OS***)، ع٤٥، ١٩٧٠، ص٢٥٣-٢٥٥.

وموحشة، هذا الرجل ربما لم يتجاوز صحراء مكران، لكن هذا التقرير المحبط جعل الخليفة يتخوف من إرسال مزيد من الحملات إلى الهند. وفي عهد علي بن أبي طالب تحركت غارة عسكرية ناجحة لنفس المنطقة بتصريح من الخليفة رغم أنها لم تكن بمبادرة منه [٢١]. وخلال عهد معاوية أرسلت عدة غارات على الهند لكنها لم تكن حملات كبيرة. كانت السند والهند من المناطق التي تخضع إداريا لسلطة والي العراق زياد بن أبيه [٢٢]، لكن ليس من الواضح أن ذلك كان يتم بشكل عملي. وكانت الغارات خلال تلك الفترة تنطلق بشكل رئيسي من منطقتي سجستان[٢٣] ومكران، ونجح المسلمون في التوغل حتى منطقة قُصدار[٢٤] على يد القائدين سنان بن سلمة الهذلي والمنذر بن جارود. لكن تلك الحملات لم تؤد لاحتلال دائم لأي مناطق هامة في الهند.

وبمرور الزمن تغيرت فكرة الخلفاء عن الإغارة على الهند، وتحديداً في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك، الذي انطلقت في عهده نحو الهند حملة عسكرية ضخمة حظيت بدعم كامل من الخلافة. وفقاً للبلاذري كانت هذه الحملة نتيجة حادثة تعرضت لها سفينة تحمل بعض النساء المسلمات اللائي تم أسرهن على يد القراصنة على سواحل السند [٢٥]. الحجاج طالب داهر حاكم السند

---

[٢١] البلاذري، مصدر سابق، ص٤٣٢.

[٢٢] الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص٧٣-٩٤.

[٢٣] من أهم الأقاليم الفارسية، ولمزيد من التفاصيل عن ملامح جغرافيته انظر: القزويني، آثار البلاد، ص ٢٠١ – ٢٠٢. (المترجم)

[٢٤] البلاذري، مصدر سابق، ص٤٣٤، وعن مدينة قصدار انظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ليدن ١٩٤٨، ص٣٢٤-٣٢٥؛ لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ت. بشير فرنسيس، كوركيس عواد، بغداد ١٩٥٤، ص ٣٧٠.

[٢٥] تلك النسوة اللائي يقال إن آبائهن ماتوا أثناء قيامهم بالتجارة في سيلان، وقام ملك سيلان بإرسالهن إلى العراق كبادرة صداقة منه. والقصة كلها قطعة ثمينة من المعلومات عن امتداد التجارة الإسلامية للبلدان الآسيوية في الفترات الإسلامية المبكرة.
ويمكن الإشارة إلى أن المصادر التاريخية الهندية الإسلامية لديها رواية مختلفة لتلك الحادثة. وفقاً لهذه المصادر، فإن الأشخاص الذين تم أسرهم على يد القراصنة كانوا من معتنقي الإسلام حديثاً والذين خرجوا من سيلان لأداء فريضة الحج. وقد فر بعضهم من الأسر وذهب للحجاج وطلب المساعدة. غلام باسط، مصدر سابق، ورقة ٤٤أ.

باستخدام سلطته لفك أسرهن لكن داهر رد بعدم قدرته على اخضاع القراصنة لرغبته. ولم يكن هذا الرد بالطبع يرضي الحجاج فقرر أن يهاجم السند. وبعد محاولتين فاشلتين قام بتعيين الشاب محمد بن القاسم الثقفي على رأس حملة جديدة جمع لها قوة كبيرة واتخذ كافة الاحتياطات لضمان نجاحها. وقد اتخذ جزء من قوات الحملة الطريق البري في حين اتخذت بقية الحملة مع الأسلحة والتجهيزات طريق البحر. وكانت مدينة ديبل [٢٦] أول مدينة هندية تهاجمها الحملة. وبعد الفتح بدأ المسلمون يخططون أحياء خاصة بهم وبنو مسجداً، وقد أعطى هذا للفتح مظهر الاستقرار وهو ما كان ينقص الحملات المبكرة السابقة. وبعد ديبل هاجم الجيش العربي مدينتي نيرون [٢٧] وسدوسان عبر وادي الهندوس وهزموا جيش داهر، الذي قتل في المعركة. بعد ذلك فتح محمد بن القاسم عديد من المدن مثل الرور[٢٨]، وبرهمناباد[٢٩]، وسورست[٣٠]، وكيرج[٣١]، وملتان، التي كانت مشهورة

---

[٢٦] من أهم موانئ السند، وهي مشتقة من الكلمة السنسكريتية Delvalaia وتعني مقام الآلهة وتقع الآن بالقرب من مدينة كراتشي ولمزيد عنها انظر: الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، القاهرة ١٩٩٤، ص ١٦٧؛ إبراهيم البلوشي، ميناء ديبل عند الفتح الإسلامي، مجلة التاريخ العربي، ع٣، ١٩٩٧، ص١١١ – ١٢٩. (المترجم)

[٢٧] وتسمى أيضاً نيرون كوت، وتقع الآن بالقرب من حيدر آباد بباكستان. ولمزيد عنها انظر: الادريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص ١٦٨. (المترجم)

[٢٨] كانت عاصمة اقليم السند، وتقع الآن جنوب شرق حيدر آباد، ولمزيد عنها انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، طهران ١٩٦٥، ص ٢٥٣. (المترجم)

[٢٩] ويعنى أسمها مدينة البراهمة، وتقع الآن شمال شرق حيدر آباد. ولمزيد عنها انظر: الاصطخري، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، مراجعة محمد شفيق غربال، القاهرة ١٩٦١، ص ١٠٢. (المترجم)

[٣٠] وهي الآن بلدة ساحلية بالقرب من بومباي بالهند. ولمزيد عنها انظر: الادريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص ١٨٢. (المترجم)

[٣١] لمحاولة التغلب على الصعوبات التي ينطوي عليها تحديد تلك الأماكن انظر: اليوت وداوسون، تاريخ الهند كما رواه مؤرخيها، لندن ١٨٧٦، ج١، ص٣٥٣-٤٠٤. وكيرج هى الصفة المعربة لكيره، وتقع الآن على بعد عشرين ميلاً إلى الغرب من أحمد آباد، وللمزيد من التفاصيل عنها انظر: المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٣٤٦، ج١، ص ١٦٩. (المترجم)

بمعبدها وكانت مركزاً هاماً للحجاج الهنود. ومن الجدير بالذكر أن بعض هذه المدن تحولت لأطلال بعد الفتح وهجرت في زمن البلاذري [٣٢].

وقد تمت دراسة الحملة الهندية لمحمد بن القاسم بشكل كبير في الكتابات التاريخية الحديثة [٣٣]، وقد أصبحت قيادته نموذج للقائد العسكري الناجح في هذا العمر الصغير غير المعتاد في المصادر العربية القديمة [٣٤]. وأدى أيضاً لظهور أشهر تاريخ للهند الإسلامية في العصور الوسطى المعروف باسم (چچنامه) [٣٥]. وقد مدحت الكتابات الحديثة العربية والأردية أسلوب الفاتح الشاب في الحكم وتسامحه الديني [٣٦]. ورغم ذلك تظل هناك أسئلة كثيرة عن هذه الحملة بدون إجابات حتى تظهر مصادر جديدة للنور قريباً. وقد أضعفت نهاية محمد بن القاسم بعد تولي سليمان بن عبد الملك قبضة المسلمين على السند، وقد رفض الخليفة الأموي دعم الجيش الذي كان يقاتل هناك، والذي كان يحظى بدعم الحجاج، وقد أرسل إليهم سليمان رسالة يقول فيها: *ازرعوا واحرثوا حيث أنتم فلا شام لكم* [٣٧]. وقد أُرسلت بعد ذلك حملة عسكرية جديدة إلى منطقة السند – لم يكن من الواضح

---

[٣٢] البلاذري، مصدر سابق، ص٤٣٥-٤٤١.

[٣٣] من أفضل الدراسات الحديثة دراسة فرانشسكو جابريلي، " محمد بن القاسم الثقفي"، مجلة الشرق والغرب(***EW***)، ع١٥، ١٩٦٤-١٩٦٥، ص٢٨١-٢٩٥. انظر أيضاً: جعفر، " نهاية عماد الدين محمد بن القاسم الفاتح العربي للسند"، مجلة الثقافة الإسلامية(***IC***)، ع١٩، ١٩٤٥، ص٥٤-٦٨.

[٣٤] ابن قتيبة، عيون الأخبار، القاهرة ١٩٥٢، ج١، ص٢٢٩؛ اليعقوبي، مصدر سابق، ج٢، ص٣٤٧.

[٣٥] تصحيح داود پوته، دلهي ١٩٣٩ (وهو الآن نادر جدا)؛ مخطوطة المتحف البريطاني رقم (Ms. Or.1787)؛ مخطوطة المكتب الهند India Office رقم (Ms. Ethe435). وقد تمت ترجمة الكتاب للغة العربية بعنوان: الكوفي، فتحنامه سند، ت. بلوتش، دمشق ١٩٩١. (المترجم)

[٣٦] محمد القاضي، بطل ثقيف، بغداد ١٩٤٦؛ عمر أبو النصر، محمد بن القاسم فاتح الهند والقائد العام للجيش العربي وهو في السابعة عشرة من عمره، بيروت ١٩٤٧؛ اكرام، أبي كوثر، لاهور ١٩٦٨، ص٢٥-٢٧؛ أكبر محمد خان، محمد بن القاسم، لاهور ١٩٦١ (غير متاح حالياً).

[٣٧] الطبري، مصدر سابق، ج٢، ص١٢٧٤-١٢٧٥.

من هو العدو هنا هل الأمراء الهنود الوطنيين أم المسلمين غير الموالين للخليفة الجديد–" *فوجه سليمان حبيب بن المهلب إليها وقاتل قوماً كانوا ناحية مهران* [٣٨]" – وللقبض على ابن القاسم [٣٩]. وقد وجد بعض الأمراء الهنود الذين خضعوا لسلطان المسلمين في عهد محمد بن القاسم الفرصة سانحة للحصول على استقلالهم مرة أخرى [٤٠]. وبعد عزل ابن القاسم وموته جيسنه [٤١] بن داهر استعاد بعض الولايات التي فقدها والده. وبرغم ذلك استمر الخلفاء الأمويون في تعيين الولاة على السند، وكانوا مضطرين في كثير من الأحيان لإعادة فتح المدن التي نقضت معاهدات الصلح التي وقعوها مع محمد بن القاسم[٤٢]، أو قتال الأمراء الذين اعتنقوا الإسلام عندما فرض المسلمون سيطرتهم على السند ثم ارتدوا بعد ذلك[٤٣]. لذلك قام الجنيد بن عبد الله المري، الذي كان حاكماً على السند خلال السنوات الأولى من حكم هشام بن عبد الملك، بإرسال الحملات على أوجين ومالوا [٤٤]. وقد بدا وضع المسلمين في الهند سيئاً في نهاية العصر الأموي. وفي فترة حكم تميم بن

---

[٣٨] يقصد به نهر السند أو الأندوس، وإليه نسب الجزء الشمالي من الهند فعرف بمملكة السند، ولمزيد من التفاصيل عنه انظر: القزوينى، آثار البلاد، ص ١٢٥. (المترجم)

[٣٩] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، نشر هوتسما، ليدن ١٨٨٣، ج٢، ص٣٥٦.

[٤٠] معصومي، تاريخي سند، بومباى ١٩٣٨، ص٣١؛ كامورخان، هفت گلشن (الحدائق السبعة)، مخطوطة بالمكتب الهندي رقم (Ms. Ethe 394)، ورقة ٣٣٥ب.

[٤١] هذه هي القراءة الصحيحة لهذا الاسم الذي ذكره البلاذري، مصدر سابق، ص٤٤١. وأول من اقترحها اليوت وداوسون، مرجع سابق، ج١، ص٢٠١؛ ثم أخذها فاطمي في مقاله: " رسالتان من المهراجا للخليفة"، مجلة الدراسات الإسلامية (***IS***)، ع٢، ١٩٣٦، ص ١٣٩-١٤٠، ملاحظة ٢٥.

[٤٢] مثل كيرج. انظر: البلاذري، مصدر سابق، ص٤٤٢.

[٤٣] المصدر نفسه، ص٤٤٢.

[٤٤] المصدر نفسه، ص٤٤٢. كانت أوجين ومالوا تقعان على الساحل الشمالي الغربي للهند. ولمزيد عنهما انظر:

Law, B., *Historical geography of ancient India*, (Calcutta, 1954), p.197-199. (المترجم)

زياد خليفة جنيد ترك المسلمون أرض الهند[٤٥] وتخلوا عن مراكزهم فيها (*خرج المسلمون عن أرض الهند ورفضوا مراكزهم*) [٤٦]. وكان ثبات الحكم الإسلامي للولاية يتأثر بانعكاسات الأحداث في العراق والشام في نهاية العصر الأموي. وقد انتحر عمرو بن محمد بن القاسم الذي كان حاكماً على السند في عصر الخليفة المقتول الوليد بن يزيد بن عبد الملك (٧٤٤م) خوفاً من التعذيب بعد وصول الحاكم الجديد الذي عينه يزيد بن الوليد[٤٧].

ودعا هذا الوضع غير المستقر للمسلمين في الهند لضرورة بناء مدينتين جديدتين هما المنصورة والمحفوظة؛ لأن المسلمون لم يجدوا أي مكان آمن لهم في البيئة الهندية (*وقد كفر أهل الهند إلا أهل قصة فلم يرى الحكم بن عوانة للمسلمين ملجأ يلجئون إليه*). وصارت هذه المدن أساساً للحملات التي أرسلت على المناطق التي كان أهلها يحاولون التخلص من نير الحكم الإسلامي[٤٨]. والحقيقة أن عدم قدرة الخلفاء الأمويين على التحكم الفعال في السند حولها إلى ملاذ للهاربين من مركز الخلافة والذين هربوا لأسباب متعددة. ونلاحظ من بين هؤلاء الهاربين أبناء المهلب بن أبي صفرة الذين فروا للسند بعد ثورتهم الفاشلة ضد الخلافة [٤٩]. كما فر إليها مجموعة من الخوارج بعد هزيمتهم عام ١٢٩/٧٤٦-٧٤٧[٥٠]. ومن الحالات الهامة المرتبطة بالسند منصور بن

---

[٤٥] هذا المصطلح ربما يقصد به المناطق الواقعة شرق نهر الأندوس. انظر: مقبول أحمد، " الهند"، دائرة المعارف الإسلامية الإصدار الثاني EI^2 ، ج٣، ص٤٠٤. وهذا الرأي ربما يدعمه ما ذكره المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، باريس ١٨٦١، ج١، ص٣٨٠: " *والسند مما يلي الإسلام ثم الهند*".

[٤٦] البلاذري، مصدر سابق، ص٤٤٣-٤٤٤.

[٤٧] الطبري، مصدر سابق، ج٢، ص١٠٣.

[٤٨] البلاذري، مصدر سابق، ص٤٤٤؛ اليعقوبي، مصدر سابق، ج٢، ص٣٧٨-٣٨٠. وعن مدينة المنصورة انظر: باثان، " الأطلال الحالية لمدينة المنصورة"، مجلة الثقافة الإسلامية (***IC***) ع٤٢، ١٩٦٨، ص٢٥-٣٣.

[٤٩] الطبري، مصدر سابق، ج٢، ص١٤١٠-١٤١٣؛ اليعقوبي، مصدر سابق، ج٢، ص ٣٧٢-٣٧٣.

[٥٠] المصدر نفسه، ج٢، ص١٩٤٦.

جمهور الذي كان له سجل حافل في الشام والعراق في السنوات الأخيرة من العصر الأموي. هو كان يعتنق آراء القادرية وزعيمهم غيلان الدمشقي [٥١]. وقد اشترك في المؤامرة التي أدت لمقتل الخليفة الوليد [٥٢]، وطبقاً لأحد المصادر هو قدم رأس الوليد للخليفة يزيد الذي عينه حاكماً على العراق عام ١٢٦هـ/٧٤٤م[٥٣]، ولكنه لم يكمل حكمه حيث تم عزله قبل نهاية هذا العام[٥٤]. وفي عام ١٢٧هـ/٧٤٤م انضم للثورة الشيعية الفاشلة لعبد الله بن معاوية [٥٥]، وعقب فشل هذه الثورة فر منصور إلى السند عام ١٢٩هـ/٧٤٦-٧٤٧م [٥٦]، ورغم أن حاكمها كان يرتبط بمنصور بصلة قرابة لكنه رفض ايوائه في ولايته، وهنا انقلب عليه منصور ودخل في صراع معه وحاصره في مدينة المنصورة وقتله. عند وصول العباسيين للسلطة وجدوا منصور يحكم السند، وكانوا في حاجة لإرسال حملتين عسكريتين لقمعه وعودة السند لحكم الخلافة [٥٧].

والمادة المتعلقة بتاريخ السند في العصر العباسي في المصادر العربية القديمة ليست أكثر حظاً من مثيلتها الخاصة بالعصر الأموي، لذلك يمكن في بعض الموضوعات أن نعتمد على المادة التاريخية الموجودة في مصادر أخرى. وقد سجل البلاذري [٥٨] أول حدث وقع بالسند في العصر العباسي، والذي ذكرناه آنفا، وهو إرسال حملتين عسكريتين لقمع منصور بن جمهور، وتمكن الوالي العباسي بعد هزيمته من إعادة السند للحكم الإسلامي. وقد قام الخليفة أبو جعفر

---

[٥١] المصدر نفسه، ج٢، ١٨٣٧.

[٥٢] المصدر نفسه، ج٢، ص١٧٧٨، ١٨٠٠، ١٨٠٣-١٨٠٤.

[٥٣] الطبري، مصدر سابق، ج٢، ص١٨٠٩، ١٨٣٦.

[٥٤] المصدر نفسه، ج٢، ص١٨٥٤.

[٥٥] عن تلك الثورة أسبابها وأحداثها انظر: الأصفهانى، مقاتل الطالبيين، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة ١٩٤٩، ص ١٩٩. (المترجم)

[٥٦] المصدر نفسه، ج٢، ص١٨٨٣-١٨٨٥، ١٩٧٩.

[٥٧] المصدر نفسه، ج٣، ص٧٢، ٧٥، ٨٠؛ البلاذري، مصدر سابق، ص٤٤٤؛ اليعقوبي، مصدر سابق، ج٢، ص٤٠٧، ٤٢٩. وقد أخطأ المسعودي، مصدر سابق، ج١، ص ٣٧٩، حين اعتبر أن منصور كان يحكم السند من قِبَل الأمويين.

[٥٨] مصدر سابق، ص٤٤٤.

المنصور بإرسال حملة لقمع والٍ متمرد [٥٩]. وقام الخليفة المهدي بتعيين ولاة متعددين على الولاية، أحد هؤلاء حكم لمدة عشرين يوماً قبل أن يعزل، وحكم وال آخر لفترة قصيرة جدا حتى أنه تم عزله قبل أن يصل للولاية لتسلم عمله[٦٠]. المأمون عين والياً جديداً بعد أن امتنع والي السند عن إرسال خراجها لبغداد[٦١]. ولا شك أن هذا التغيير المستمر للولاة كان أحد الأسباب الرئيسية لعدم استقرار الحكم العربي للسند.

وقد كافح العباسيون أيضاً ضد ظاهرة لم يرد ذكرها في المصادر التاريخية خلال العصر الأموي، حيث قام بعض زعماء القبائل العربية بفرض سيطرتهم على بعض المناطق والاستقلال بحكمها بعيداً عن سلطة العباسيين. وقد أطلقت المصادر على هؤلاء الزعماء اسم " المتغلبة"، لذلك خصص العباسيون بعض حملاتهم للإغارة على هذه الإمارات المستقلة [٦٢]. وقد زادت قوة هؤلاء الحكام المستقلين مع ضعف الخلافة العباسية. وقد ذكر ابن حوقل أن حاكم ملتان كان مستقلاً بحكمه رغم أنه كان يذكر الخليفة العباسي في خطبة الجمعة[٦٣]. وينبغي أن نذكر أيضاً أن السند لم تكن مستثناه من الصراع الذى كان يقع بين القيسية واليمنية، وذد ذكر اليعقوبي أن هذا الصراع كان مسيطراً على السند خلال عهد هارون الرشيد [٦٤]، ويذكر في موضع آخر أنه عن وقوع صراع للعصبية القبلية فإنه يقع في السند أولاً (*وكانت العصبية بالسند أول ما وقعت*) [٦٥].

كانت المشكلة الخطيرة التي واجهت المسلمين في السند هي ثورات قبائل الجت الهندية، والتي تشير إليها المصادر العربية باسم الزط، وقد واجه المسلمون

---

[٥٩] اليعقوبي، مصدر سابق، ج٢، ص٤٤٨-٤٤٩.

[٦٠] المصدر نفسه، ج٢، ٤٧٩-٤٨٠.

[٦١] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ليدن ١٨٥١-١٨٧٦، ج٦، ص٢٨٨-٢٨٩.

[٦٢] البلاذري، مصدر سابق، ص٤٤٥؛ اليعقوبي، مصدر سابق، ج٢، ٤٢٩.

[٦٣] ابن حوقل، مصدر سابق، ص٣٢٢. وانظر أيضاً عنده ص٣٢٤ (حيث يذكر نفس الأمر في طوران)، وص ٣٢٥ (فيما يتعلق بمكران).

[٦٤] اليعقوبي، مصدر سابق، ج٢، ٤٩٣-٤٩٤؛ انظر أيضاً: البلاذري، مصدر سابق ص ٤٤٦.

[٦٥] اليعقوبي، مصدر سابق، ج٢، ص٤٨٠.

الزط مبكراً في كل من الهند وباقي أنحاء الدولة الإسلامية، ويبدو أن بعض الزط انتشروا في الشام والعراق حتى قبل دخول العرب للهند. ويقال إن معاوية نقل زط البصرة إلى المنطقة الساحلية في الشام في عام ٤٩ أو ٥٠هـ/٦٩٩-٦٧١م. وكان يوجد في انطاكية حي يعرف باسم حي الزط [٦٦]. وقد اصطدمت الحملات المبكرة على السند بالزط في مرات عديدة، وبديل بن تحفة البجلي الذي كان يقود الجيش الإسلامي قبل حملة محمد بن القاسم ربما قُتل على أيديهم [٦٧]. ويقال إن أحد قادة محمد بن القاسم أحضر معه ٤٠٠ زطي أثناء إحدى حملاته [٦٨]. وقد أحضر الحجاج عدد كبير منهم إلى الشام والعراق في أعقاب حملة محمد بن القاسم. وفي موطنهم الجديد، ونظراً لكونهم عناصر مشاغبة، فقد جذبوا إليهم العناصر الساخطة على الدولة مثل العبيد الفارين والموالي وعاشوا على اللصوصية[٦٩]. وفي الهند نفسها سمعنا عن ثورات قام بها الزط في عهد المهدي[٧٠] . وقد أرسل المأمون أحد قادته لقتال الزط في عام ٢٠٥هـ/٨٢١-٨٢٢م، لكن ليس من الواضح هل اتجهت الحملة للسند أم إلى مكان آخر[٧١]. وفي عهد المعتصم نظمت حملة ضد الزط نتج عنها تحولهم إلى وضع أهل الذمة[٧٢].

ومعلوماتنا قليلة عن أحداث السند في الفترة الأخيرة من العصر العباسي. في عام ٢٥٧هـ٨٧٠-٨٧١م خضعت الولاية لحكم يعقوب بن الليث الصفار [٧٣]. وفي نفس الوقت تقريبا نشط الإسماعيلية في السند ونجحوا في عام ٣٤٥هـ/

---

[٦٦] البلاذري، مصدر سابق، ص١٦٢.

[٦٧] البلاذري، مصدر سابق، ص٤٣٦.

[٦٨] المصدر نفسه، ص٤٣٨.

[٦٩] المصدر نفسه، ص١٧١، ٣٧٥-٣٧٦؛ الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٤٢٦. ووصف الجت كما ورد في دائرة المعارف الإسلامية EI^2 " يبدو أنهم نقلوا ليستقروا ويعيشوا بسلام في السند وخارجها"، يجب أن يتم تعديله.

[٧٠] اليعقوبي، مصدر سابق، ج٢، ص٤٧٩-٤٨٠.

[٧١] ابن الأثير، مصدر سابق، ج٦، ص٢٥٦.

[٧٢] البلاذري، مصدر سابق، ص٤٤٥-٤٤٦.

[٧٣] ابن الأثير، مصدر سابق، ج٧، ص ١٧١، ٢٢٦.

٩٦٥م في تأسيس إمارة مستقلة في ملتان ظلت قائمة حتى سقطت على يد محمود الغزنوي [٧٤].

في ختام هذا الجزء من دراستنا، يمكننا أن نقول إن الحكم الإسلامي في السند كان بعيداً عن الاستقرار في الفترة موضع الدراسة. التغيير المستمر للولاة، والصراعات القبلية بين القبائل العربية، والتهديد الدائم من الحكام الهنود كانوا عوامل أساسية في عدم الاستقرار. ومن الواضح أنه في ظل هذه الظروف لم تستطع السند أن تتطور كمركز هام للنشاط الحضاري، ولا يمكن قبول ادعاء بعض الباحثين بعكس ذلك في ضوء الشواهد المتاحة [٧٥].

(٢)

لقد ألمحنا سابقاً إلى أن عملية اعتناق الإسلام هي واحدة من القضايا المثيرة للاهتمام في تاريخ المسلمين الهنود. وهي مع ذلك أيضاً قضية معقدة جداً. لقد كان غزو الهند هدفاً من ضمن آمال المسلمين وتوقعاتهم في الفترة المبكرة من التاريخ الإسلامي. وقد احتوت كتب الحديث النبوي على عدد من الأحاديث التي نسبت فكرة غزو الهند للرسول نفسه، ومجدت من سيشارك في هذا الغزو المنتظر. طبقاً لأحد الأحاديث، روى عن أبو هريرة أنه قال: (وعدنا رسول الله ﷺ غزوة الهند، فإن أدركتها أنفق فيها نفسي ومالي، وإن قتلت كنت من أفضل الشهداء، وإن رجعت فأنا أبو هريرة المحرر) [٧٦]. وفي حديث ينسب للرسول يتحدث عن يوم القيامة يقول: (ليغزون الهند لكم جيش يفتح الله عليهم حتى يأتوا بملوكهم مغللين بالسلاسل يغفر الله ذنوبهم فينصرفون حين ينصرفون فيجدون ابن مريم بالشام) [٧٧]. وهناك حديث آخر يمجد المشاركين في غزو الهند يقول:

---

[٧٤] انظر: الهمداني، بداية الدعوة الإسماعيلية في الهند، القاهرة ١٩٥٦.

[٧٥] انظر عن هذا الموضوع: فريدمان، "بداية التعليم الإسلامي في السند – إعادة نظر"، نشرة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية (***BSOAS***)، ع٣٧، ١٩٧٤، ص٦٥٩-٦٦٤.

[٧٦] النسائي، سنن النسائي، القاهرة (ب.ت)، ج٦، ص٤٢؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، القاهرة ١٩٦٣، ص١١٢؛ السيوطي، الخصائص الكبرى، حيدر آباد ١٣١٩هـ، ج٢، ص١١٢.

[٧٧] نعيم بن حماد، كتاب الفتن، مخطوطة المتحف البريطاني رقم (BM Or. 9449)، ورقة ١١٣أ. والشام هو المكان المعتقد وقوع الحرب فيه بين الدجال والمسيح قبل يوم القيامة.

(عصابتان من أمتي أحرزهما الله من النار، عصابة تغزو الهند وعصابة تكون مع عيسى بن مريم) [٧٨]. هذا الحديث يعطي المحاربين الذين يغزون الهند مجداً ذو وضع خاص، حيث اعتبرهم مساوين للمسلمين الأطهار الذين سوف يقاتلون المسيخ الدجال في آخر الزمان [٧٩].

وإذا كان من غير الممكن تحديد التاريخ الدقيق الذي ظهرت فيه هذه الأحاديث النبوية، فمن المعقول أن نفترض أنها تعود إلى فترة سابقة لظهور كتب الحديث نفسها. نحن ربما نستنتج من ذلك أن فتح الهند كان واحداً من طموحات المسلمين في القرون الأولى من العصر الإسلامي. مع ذلك لا يمكن أن نقول نفس الأمر على اعتناق الهنود للإسلام. المصادر المتاحة حالياً غير كافية حتى بالنسبة للخطوات الأولى التي أدت في نهاية المطاف لاعتناق ربع سكان شبه القارة الهندية للإسلام. علاوة على ذلك، نادراً ما نجد في المصادر ما يشير إلى رغبة الشعب الهندي في التحول للإسلام.

وللباحث سميث كلمات أعتقد أنها ما زالت حقيقية إلى حد كبير، حيث يقول " *سرعة انتشار الإسلام والمفاجآت الدرامية التي قادت معتنقي عقيدته إلى موقع السيادة والهيمنة من الأمور العجيبة أو يمكن أن نعتبرها من معجزات التاريخ، ولا يوجد تفسير واضح وقاطع على نحو كاف يمكن تقديمه لهذه الحقائق المذهلة*"[٨٠]. بطبيعة الحال، كان بعض المؤرخين غير راغبين في قبول مثل هذا الاستسلام في مواجهة مشكلة تاريخية كبرى، وأدت ندرة الأدلة الإيجابية إلى ظهور نظريات مختلفة لتفسير الإسلام الجزئي للهند. بعض المؤرخين ذكروا أن الفاتحين الأُول حاولوا تحويل سكان المناطق التي احتلوها للإسلام بالقوة، على الرغم من أنهم وجدوا صعوبة في استنتاج نتائج هذه المحاولات [٨١].

---

[٧٨] النسائي، مصدر سابق، ج٦، ص٤٣.

[٧٩] للأحاديث المتعلقة بظهور الدجال وقتاله مع المسيح، الذي يتم أحياناً تحديده بعيسى بن مريم، انظر: مسلم، صحيح مسلم، القاهرة ١٩٥٥، ج٤، ص٢٢٢١، ٢٢٥٨-٢٢٥٩.

[٨٠] سميث، موسوعة أكسفورد لتاريخ الهند، أكسفورد ١٩٦١، ص٣٨.

[٨١] انظر: على سبيل المثال، موراي تيتوس، الإسلام في الهند وباكستان، كلكتا ١٩٥٩، ص ٣٠ وما بعدها؛ واردر، مقدمة للكتابة التاريخية الهندية، بومباي ١٩٧٢، ص٧.

لكن التفسير الذي يمكن أن نحصل عليه لهذا الانتشار العظيم يمكن أن نلمسه في الارتباط الوثيق بين اعتناق الإسلام والبناء الاجتماعي للشعب الهندي. فمن المعروف جيداً ان المجتمع الهندي كان به تفاوت طبقي، حيث كانت تُنكر حقوق الطبقات الدنيا، واقتصرت الامتيازات على الطبقات العليا. على الجانب الآخر، كان الإسلام مثالياُ في إقراره مبدأ المساواة، وعدم التمييز بين معتنقيه، وبالتالي حالتهم الاقتصادية ومستواهم الاجتماعي. وعلى أساس هذا الاختلاف النسبي بين الإسلام والهندوسية اقتنع بعض الباحثين أن عدداً كبيراً من الطبقات الدنيا لم يحتاجوا لإقناع كبير للدخول في الإسلام، الذي حماهم من الدونية التي فرضها عليهم المجتمع الهندي، وعزز بشكل كبير وضعهم الاجتماعي [٨٢]. وهناك دراسة حديثة عن المسلمين البنغاليين؛ ادعت أن البنغاليين انجذبوا للديمقراطية والمساواة في رسالة الإسلام ودخلوا فيها بأعداد كبيرة [٨٣]. ويرى اشتياق قريشي، الذي يعمل في مجال تاريخ الإسلام في شبه القارة الهندية ويعتبر الآن تقريباً من الكتاب الكلاسيكيين، أنه بالنسبة للكثيرين ظهر الإسلام كمنقذ من طغيان الهندوسية، والتسامح الذي أبداه العرب جذب قلوب البوذيين نحو الإسلام[٨٤].

وفى الحقيقة، يعتقد بعض الدراسين المحدثين أن الرغبة في وضع اجتماعي أفضل كان سبباً في تشجيع أفراد من الطبقات الدنيا للدخول في الإسلام. ويقول تقرير التعداد الذي تم عام ١٨٨١م متحدثاً عن الطبقات المعدومة في مليبار: " شرف الإسلام، الذي تم على يد چيرومين أو واحد من الطبقات

---

[٨٢] عزيز أحمد، دراسات في الثقافة الإسلامية في البيئة الهندية، أكسفورد ١٩٦٤، ص٨٢؛ عبد الرؤوف، صحوة الثقافة والحضارة الإسلامية في باكستان، لاهور ١٩٦٥، ص ٧٤-٧٩؛ هنتر، أديان الهند، مجلة العصور The Times، ٢٥ فبراير ١٨٨٨ (واقتبسها ارنولد في كتابه: الدعوة إلى الإسلام، لندن ١٨٩٦، ص٢٢٩-٢٣٠؛ رام جوبال، المسلمون الهنود، بومباي ١٩٦٤، ص١؛ حبيب الله، تأسيس الحكم الإسلامي في الهند، الله آباد ١٩٦١، ص١.

[٨٣] محمود شاه قريشي، دراسة في التطور الفكري للمسلمين في البنغال، لاهاي ١٩٧١، ص١٤-١٥.

[٨٤] اشتياق قريشي، المجتمع الإسلامي في شبه القارة الهندوباكستانية، لاهاي ١٩٦٢، ص ٤٢.

الدنيا، حرك ذات ربيع، أماكن متعددة إلى مكانة أعلى لم تكن تحتلها في الأصل"[٨٥]. مع ذلك، وفيما يتعلق بغزوات المسلمين في الفترة المبكرة، يمكن لنا أن نقول، فيما يخص فترة العصور الوسطى بشكل عام، أن هذه النظرية تكتنفها الكثير من المشكلات، وقد وصفت مؤخراً بأنها " معقولة أكثر منها مقنعة"[٨٦].

القول المقنع يقول إن العناصر المضطهدة من الشعب الهندي رأت في الإسلام نظاماً اجتماعياً قادراً على تحريرهم من الظلم الذي يعنونه، ولا يقيم وزناً للاعتقاد الهندوسي الذي بموجبه كانت الحالة الاجتماعي للشخص تجعله جزء من نظام عالمي لا يتغير، ويجعل كل شخص وكل طبقة لا يتذمر من أداء الواجبات المفروضة عليهم [٨٧]. ولكي نقول إن اختيار الإسلام كان تعبيراً عن رغبة الطبقات الدنيا في تحرير أنفسهم من القيود المفروضة من المجتمع الهندي على حريتهم الشخصية، يعني هذا أن نفترض أن الاعتقاد الهندوسي المذكور أعلاه لم يتغلغل بين الطبقات الدنيا الهندية. ونحن ربما نشكك في صحة هذا الافتراض؛ فليس أمراً بديهياً أن الطبقات الدنيا في الهند في العصور الوسطى كان لديها الرغبة في تحرير نفسها عن طريق اعتناق الإسلام.

والنظرية بأكملها تبدو انعكاساً للأيدلوجيات الحديثة حيث رغبة الأغلبية المضطهدة في تحرير أنفسهم، وهى افتراض لا يمكن انكار صحته. وغنى عن القول أنه لو كانت تلك الرغبة هي المسيطرة على الهند في العصور الوسطى، فإن نسبة المسلمين بالنسبة لسكان شبه القارة يجب أن تكون أكثر بكثير من النسبة الحالية. لكن هذه النظرية أيضاً تكتنفها صعوبات من وجهة نظر أخرى. فلا يوجد أي دليل لإثبات فكرة أنه من بين المثل العليا والمبادئ الإيمانية العديدة قام المسلمون الأوائل بتحديد أو حتى الإشارة إلى مبدأ المساواة الاجتماعية في

---

[٨٥] ماكيفر، محرر، التعداد الإمبراطوري ١٨٨١. رئاسة مدراس، ج١، ص٣٩-٤٠؛ لوجان، مليبار، مدراس ١٨٨٧-١٨٩١، ج١، ص١٩٧؛ جوبال بنيكار، مليبار وتراثها، مدراس ١٩٠١، ص١٧١-١٧٢.

[٨٦] هاردي، مسلمو الهند البريطانية، كمبريدج ١٩٧٢، ص١٠. انظر أيضاً: ديجبي، خيول الحرب والفيلة في سلطنة دلهي، أكسفورد ١٩٧١، ص١٢.

[٨٧] زيمر، فلسفات الهند، نيويورك ١٩٦٠، ص٤٠-٤١، ١٠٦، ١٥١-١٥٣، ١٦٣؛ وانظر: لال، نمو السكان المسلمين في الهند في العصور الوسطى، دلهي ١٩٧٣، ص١٩٣.

تعاملهم مع السكان المحليين. وحيث كان المسلمون يعرفون عن الوثنية الهندية أكثر مما يعرفون عن النظام الاجتماعي الهندي [٨٨]، وربما هدفوا إلى توضيح عقيدة التوحيد المتعارضة مع وثنية الهنود. لذلك سيكون من المناسب أن نفترض أنه في حديثهم عن الإسلام شددوا على مبدأ التوحيد بدلاً من المساواة الاجتماعية الإسلامية. ذلك لم يكن يعني، بالطبع، أنه في بعض الطبقات لم تلعب الرغبة في الانضمام للمجتمع الإسلامي وترك النظام الطبقي دورها في ذلك؛ لكن المسألة معقدة وتتطلب المزيد من البحث. على سبيل المثال، ينبغي أن نضع في الاعتبار حقيقة أن اختيار الإسلام لم يكن ينتج عنه بالضرورة إلغاء الطبقية وتوقف الممارسات التمييزية. وقد ظل النظام الطبقي موجوداً بين المسلمين الهنود، على الرغم من التناقض الصارخ بين تواجد هذا النظام والمبادئ الأساسية للإسلام. أفراد الطبقات الدنيا لم يكونوا بحاجة لاعتناق الإسلام لتحسين وضعهم الاجتماعي. على سبيل المثال، منع الكناسون المسلمون من دخول المساجد في بعض المناطق، أو على الأقل تعرضوا للتمييز أثناء أداء الصلاة [٨٩].

يقول بورتون واصفاً اعتناق الهنود للإسلام في السند: أن من يرغب في الإسلام " كان يؤخذ لبيت القاضي، الذي يختار له اسم جديد، وفي النهاية يذكر بعض الأمور التي يرغب في تلقيها، ثم يتم ختانه بكل جدية"[٩٠]. لذلك، في الحالة الهندية، كانت جاذبية الإسلام أقل قوة مما يمكن أن تكون عليه.

---

[٨٨] عن معرفة المسلمين الأوائل عن الوثنية الهندية، انظر مقالي " رؤية مسلمي العصور الوسطى للأديان الهندية"، مجلة الجمعية الشرقية الأمريكية (***JAOS***) ع٩٥، ١٩٧٥، ص٢١٤-٢٢١.

[٨٩] غوت انساري، طبقة المسلمين في أتر برديش (ولاية هندية)، لكنو ١٩٦٠، ص٥٠، ٥٥؛ ساتيش ميسرا، المجتمعات الإسلامية في كجرات، لندن ١٩٦٤، ١٢٩-١٤٩؛ عزيز أحمد، مرجع سابق، ص٨٥؛ مجيب، المسلمون الهنود، لندن ١٩٦٧، ص٢٠؛ دومون، النظام الطبقي وآثاره، لندن ١٩٧٠، ص٢٠٨-٢١٢؛ امتياز احمد، الطبقية والطبقات الاجتماعية بين المسلمين، دلهي ١٩٧٣. بوكنان، رحلة من مدراس عبر القرون إلى مايسور، كاناريا، مليبار، لندن ١٨٠٧، ج٢، ص٥٢٧، ج٣، ص٩؛ ديفيد ماندلباوم، المجتمع في الهند، لوس أنجلوس ١٩٧٢، ج٢، ص٥٤٥ وما بعدها.

[٩٠] ريتشارد بورتون، السند والعشائر التي تعيش في وادي الاندوس، كراتشي ١٩٧٣ (إعادة لطبعة لندن ١٨٥١)، ص٣٥٨.

على أية حال، فإن المصادر الأساسية التي تعتمد عليها هذه الدراسة من الصعب أن تمدنا ولو بتلميح مباشر لهذه النظرية المذكورة آنفاً. ويبدو ذلك أيضاً فيما يتعلق بالفترات المتأخرة من تاريخ الهند الإسلامية [٩١]. وربما نعتقد أن ذلك يرجع بشكل أساسي إلى طبيعة مصادرنا، والتي تركز على الجانب العسكري وتعطي اهتماماً أقل بالقضايا الأخرى؛ مع ذلك، فإن هذا الافتراض صحيح ولكن بشكل جزئي، لأن المصادر التي نحللها تشير من حين لآخر إلى قضايا اعتناق الإسلام، لكن ليس كوسيلة لتحسين الأوضاع الاجتماعية.

وهناك روايات كثيرة تحدثت عن حالات اعتناق للإسلام في أعقاب فتح محمد بن القاسم للسند. أهالي چانا (؟) دخلوا في الإسلام بعد أن أرسلوا جاسوساً منهم لمعسكر الجيش الإسلامي، وقد رأى الأخير القائد وهو يؤم الصلاة، حيث تأثر وأعجب بالوحدة والانضباط الذي أظهره المسلمون في الصلاة [٩٢]. وفي حديثه عن عهد معاوية قال فرشته: " دخل بعض الهنود الإسلام في عهده"[٩٣]. وهناك روايات أخرى ذكرها بهكري عن الأحداث بعد الفتح لكنها غامضة.

بعد أن فتح المسلمون حصناً كان يدافع عنه أبناء داهر ومقتل معظم الجنود، عرضت القلة الناجية الدخول في طاعة الإسلام [٩٤]. هذه الجملة ربما فهم منها أنها تعني أنهم دخلوا في الإسلام؛ ومع ذلك، فإنها يمكن أن تفسر أيضاً على أنها تقديم للولاء السياسي للفاتح المسلم، وليس بالضرورة تشمل تغيير الانتماء الديني. ونفس الغموض يحيط أيضاً بما ذكره بهكري عن دخول ملوك وأمراء قنوج في طاعة الإسلام وقبولهم لدفع الجزية [٩٥].

---

[٩١] لال، مرجع سابق، ص١٦٤.

[٩٢] بهكري، مصدر سابق، ص٢٢-٢٣. ويجزم لال أنه وجدت حالات اعتناق للإسلام بعد فتح كل من ديبل وملتان، لكن المصادر التي اعتمد عليها لا تدعم هذا الرأي. انظر: لال، مرجع سابق، ص٩٨. وقد ذكر البلاذري أن ٦٠٠٠ من حراس معبد مولتان تم أسرهم ولم يعتنقوا الإسلام. وفي وصفه لفتح ديبل لم يذكر البلاذري حالات اعتناق للإسلام أيضاً. انظر: البلاذري، مصدر سابق، ص٤٤٠.

[٩٣] فرشته، تاريخ فرشته، لكنو ١٣٢١، ص١٦.

[٩٤] المصدر نفسه، ص٢٨.

[٩٥] المصدر نفسه، ص٢٨-٢٩.

وقد ذكر البلاذري، والذي كان وصفه يخلو من الغموض الذي اكتنف رواية بهكري، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أمراء الهند يدعوهم للدخول في الإسلام والطاعة، على أن يحتفظوا بملكهم وأن يكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم. وطبقاً لما ذكره البلاذري فإن رد جيسنه والأمراء الهنود الآخرين كان ايجابياً، بل واختاروا لهم أسماءً عربية [٩٦].

وقد اعتنق الإسلام ملك هندي يحكم منطقة العسيفان [٩٧]، وذلك في عهد الخليفة العباسي المعتصم بعد أن أصابه الإحباط لفشل كهنته في علاج ابنه المريض، فقام بقتلهم ودمر معبدهم، ودعا بعض التجار المسلمين لمملكته فعرضوا عليه الدخول في الإسلام [٩٨]. مهروك بن رائق، الذي وصف بأنه " أكبر ملوك الهند"، يقال إنه أرسل لحاكم المنصورة المسلم عام ٢٧٠هـ/٨٨٣-٨٨٤م يطلب منه أن يترجم له قواعد الإسلام للغة الهندية. وقد أجاب الحاكم طلبه بسرور، وقام معلم مسلم، كان يعيش في الهند ويعرف لغاتها، بكتابة قصيدة للملك يلخص فيها قواعد الإسلام. وفيما بعد تمت دعوة مؤلف القصيدة لبلاط الملك، وقام بترجمة جزء من القرآن له. وقد أسلم الملك بعدها بعد أن اقتنع بصدق رسالة الإسلام، لكنه احتفظ بإسلامه سراً خوفاً من أن يفقد سلطانه بين رعيته. وقام أيضاً ببناء بيت خاص به ليتعبد فيه سراً، متظاهراً أنه يبحث شئون الدولة [٩٩]. وهناك مصدر من القرن العاشر ذكر أن ملك ننهار [١٠٠] "أظهر الإسلام"، لكن رعيته

---

[٩٦] البلاذري، مصدر سابق، ص٤٤١. ومع ذلك فقد أرتد جيسنه فيما بعد، وقتل في معركة على يد الجنيد بن عبد الحرمن المري. انظر: المصدر نفسه، ص٤٤٢. ووفقاُ لرواية أخرى، والتي يبدو أنها جزء من الجدل الشعوبي، يقال إن ملك هندي أرسل لعمر بن عبد العزيز يطلب منه أن يريد له من يعلمه الدين الإسلامي. انظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، القاهرة ١٩٤٠، ج٢، ص٢٠٢؛ ج٣، ص٤٠٤-٤٠٥؛ جولدتسهير، دراسات إسلامية، لندن ١٩٦٧، ج١، ص١٥٥.

[٩٧] وهي مقاطعة اسيوان الحالية بالبنجاب بباكستان، ولمزيد عنها انظر: سليمان الندوي، العلاقات التجارية بين العرب والهند، مجلة ثقافة الهند، يونيو ١٩٥٠، ص١١٢. (المترجم)

[٩٨] البلاذري، مصدر سابق، ص٤٤٦.

[٩٩] بزرك بن شهريار، عجائب الهند بره وبحره، ليدن ١٨٣٣-١٨٣٦، ص٢-٤. ويمكننا الإشارة هنا إلى أن شكروتي فرماض، ملك مليبار، يقال أيضاً أنه كتم إسلامه عن رعيته.

[١٠٠] حدود العالم، ليننجراد، ١٩٣٠، ورقة ١٦أ. ترجمة مينورسكي، لندن ١٩٧٣، ص٩١.

كانوا وثنيين [١٠١]. وهذه الروايات لا تدعم الرأي الذي يرى أن الإسلام، بسبب رسالته الخاص بالعدالة الاجتماعية، انتشر أولاً بين كل الطبقات الدنيا من المجتمع الهندي.

ومن الحالات المبكرة لاعتناق الملوك للإسلام، لكن مع مسحة اسطورية واضحة، ما ذكرته المصادر الإسلامية الهندية عن الملك بوخا حاكم أوجين، الذي رأى معجزة انشقاق القمر، وقيل له من أحد حكماء مملكته أن هذه المعجزة مرتبطة بالنبي محمد. وبعد التأكد من صحة ذلك اعتنق الإسلام مع وزيره. وقد توفي بوخا، الذي تغير اسمه بعد إسلامه إلى عبد الله حوالي عام ٦٢٢م[١٠٢].

وهناك رواية أخري، متداولة حالياً بين مسلمي مليبار، تتحدث عن حاكم كيرله الهندي المسمى شكروتي فرماض، الذي ذهب للجزيرة العربية بعد أن شاهد معجزة انشقاق القمر، وقابل الرسول ﷺ في مكة واعتنق الإسلام. وقد حال الموت بينه وبين العودة لموطنه. وقد عاد بعض مرافقيه إلى مليبار عام ٢١هـ وبنوا فيها عشرة مساجد، وقاموا بنشر الإسلام هناك [١٠٣].

نحن ربما نقول بإيجاز أن المادة المتعلقة باعتناق الهنود للإسلام في القترة التي نناقشها غير كافية بشكل كبير. ومع ذلك، يمكننا أن نضع بعض الملاحظات. وتشير مصادرنا إلى أن اعتناق الإسلام كان يتم في سياقين. بعض

---

[١٠١] وتقع ننهار على الضفة الغربية لنهر كابل، على بعد ٨ كم من مدينة جلال آباد انظر: مينورسكي، حدود العالم ص٩١، ٢٥٢. (المترجم)

[١٠٢] بختيار خان، رياض الأولياء، مخطوطة بالمتحف البريطاني (BM Or.1745)، ورقة ١٣٨ب–١٣٩ب. ولروايات أخري لهذه القصة انظر: رفيع الدين دهلوي، رسالي شق القمر، مخطوطة فارسية رقم: (India office.Ms.D.P.1145)، ورقة ١٩٥ب–١٩٦أ؛ يزداني، " نقش على مقبرة عبد الله شاه چنكال في دهار"، مجلة نقوش هندية إسلامية(***EIM***)، (١٩٠٩–١٩١٠)، ص١–٥. انظر أيضاً مقالي: " قصة شكروتي فرماض رواية تتعلق بدخول الإسلام إلى مليبار"، مجلة الدراسات الشرقية الإسرائيلية (***IOS***)، ع٥، ١٩٧٥، ص٢٣٣–٢٥٨. وتوجد النصوص الكاملة لتلك الروايات في هذه المقالة.

[١٠٣] مجهول، قصة شكروتي فرماض، نسخة المكتب الهندي رقم (MS.Loth 1044)، الأوراق ٨١ب – ١٠٤ب، نسخة المتحف البريطاني رقم (BM Ms. Or. 1738)، الأوراق ٧١ب–٩٣ب. وراجع ايضاً مقالتي حيث تم مناقشة هذه الروايات بالتفصيل.

الهنود يقال إنهم اعتنقوا الإسلام تحت الضغط المستمر من الغزاة العرب في السند وتأسيس مراكز إسلامية قوية في شبه القارة الهندية. وفي تلك الحالات كان اعتناق الإسلام ضعيفاً ومتوقفاً على استمرار قوة الحكم الإسلامي في المنطقة؛ وأي ضعف في القبضة الإسلامية كان ينتج عنه حالات ردة عديدة، وعادة ما كان يصاحبها نقض للمعاهدات التي أبرمت وقت الفتح.

وهناك مجموعة متفرقة من الروايات التي اهتمت بحالات اعتناق الإسلام التي تمت بسبب رؤية المعتنق لمعجزات. وباستثناء الشيخ الهندي (رتن) [١٠٤]، الذي يقال أنه كان تاجراً [١٠٥]، فإن معظم الأشخاص المذكورين في هذه الروايات كانوا أمراء وملوك.

وفي حين من الممكن، وربما من المحتمل، أن تحول الأمراء كان اتباعاً لحكامهم وأنهم في النهاية اعتنقوا الدين الجديد، فمن المهم أن نلاحظ أنه لا المؤرخين القدامى ولا أكثر الروايات الشعبية رأت أن اعتناق الإسلام كان وسيلة لتحسين الأوضاع الاجتماعية. ويجب أن نلاحظ ايضاً أن التجار المسلمين، الذين يقال إنهم أساس هام في الدعوة الإسلامية، ذكروا مرة واحدة فقط في ذلك السياق.

(٣)

إن ندرة المادة التاريخية وطبيعة المصادر المتاحة لنا تحتم وضع عراقيل صعبة في طريق الباحث الذي ينوي دراسة العلاقة بين العرب الفاتحين والسكان المحليين في السند. ومع ذلك فإن الدارسين المحدثين بذلوا قصارى جهدهم لرسم صورة مفهومة وذات مغزى لتلك العلاقة. وقد حاول البعض منهم قياس رد فعل السكان المحليين للغزو العربي نفسه، وتوصلوا في النهاية إلى أن بعض العناصر المضغوطة من سكان السند لم يقاوموا الغزو على الاطلاق، بل ورحبوا جداً بالغزاة

---

[١٠٤] لمزيد من التفاصيل عن هذه الشخصية ومناقشة المصادر الإسلامية لصحتها انظر: ابن حجر، الإصابة في معرفة الصحابة، ج١، القاهرة ١٩٣٩، ص٥١٥-٥٢٠؛ الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج٢، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة ١٩٦٣، ص٤٥. (المترجم)

[١٠٥] انظر: دائرة المعارف الإسلامية ***EI*** مادة رتن؛ جولدتسيهر- دراسات إسلامية، ج٢، ص١٦٢-١٦٣؛ قصة شكروتي فرماض، ص٢٤٢-٢٤٣.

العرب، وعرضوا مساعدتهم في صورة استخبارات حربية، وإمدادات تموينية، واستسلام دون قتال. هذا التوجه يقال إنه كان يرجع لمعارضتهم لحكم الهندوس، أو نقص لديهم في الحس الوطني.

ويقول قريشي، الذي يعتمد بشكل أساسي على كتاب *چچنامه*، " هناك أدلة دامغة تبرر استنتاجنا بأن العديد من البوذيين لم ينفروا من الفتح العربي، وتعاونوا بالفعل مع الغزاة ...وحتى لو كان استسلامهم رغبة منهم في الانضمام للجانب المنتصر، فإن كراهية البوذيين للهندوس يجب أن تؤخذ في الاعتبار"[١٠٦]. ويرى إكرام أن المسلمون كسبوا تعاطف الطبقات المطحونة، وأنه ربما كان السبب الأكثر أهمية في نجاح العرب هو مساعدة الميد والجت لهم [١٠٧]. بينما يعتقد ماجمدار، والذي يمثل وجهة النظر الوطنية الهندية، أن عمل الغزاة العرب كان سهلاً بسبب خيانة بعض الكهنة البوذيين ورؤسائهم الذين تخلوا عن الملك وانضموا للغزاة [١٠٨].

وعلى الرغم من هذه الآراء القاطعة، فإن مراجعة المصادر المتاحة لنا تظهر أن تلك الآراء ليست واضحة بالقدر الذي تبدو به. قريشي، على سبيل المثال، يدعي أن الكهنة البوذيين قالوا لمحمد بن القاسم أن يستهدف بمنجنيقه الراية وقمة معبد مدينة ديبل [١٠٩]، وذلك فيما يبدو لتحطيم الروح المعنوية للمدافعين عن المدينة. مع ذلك، فإن چچنامه[١١٠]، وهو المصدر الذي يعتمد عليه قريشي بشكل أساسي، يذكر صراحة أن أحد البراهمة هو الذي أتى لخارج الحصن المحاصر وقدم هذا الاقتراح للقائد العربي. ووفقاً للبلاذري [١١١]، فإن الحجاج بن يوسف الثقفي هو من أقترح ذلك على محمد بن القاسم.

---

[١٠٦] قريشي، مرجع سابق، ص٣٩.

[١٠٧] إكرام، الحضارة الإسلامية في الهند، نيويورك–لندن ١٩٦٤، ص٩.

[١٠٨] مجمدار، التاريخ المتقدم للهند، لندن ١٩٦٠، ج٢، ص٢٤٧.

[١٠٩] قريشي، مرجع سابق، ص٣٨. ويبدو رأى قريشي هنا غريباً خاصة أنه اعتمد على الكوفى فى تفسيره، ويبدو أنه كان متأثراً بالرأى الذي توصل إليه في كتابه والخاص بتعاطف البوذيين مع الفتح الإسلامي. (المترجم)

[١١٠] الكوفي، مصدر سابق، ورقة ٤٧أ.

[١١١] البلاذري، مصدر سابق، ص٤٣٧.

وقد افترض قريشي أيضاً أن النبوءة الخاصة بالحكماء والمنجمين الهنود والتي تنبأت بالفتح العربي للسند من اختلاق البوذيين لدعم المسلمين [١١٢]. وهو أمر صحيح، فقد ذكر في عدة مواضع أن هذه النبوءة تُنسب للكهنة البوذيين[١١٣]؛ لكن مع ذلك، ذُكر في سياقات أخرى أن من تنبأ بالفتح العربي هم الهندوس[١١٤]. ووفقاً لما جاء في چچنامه، فإن البوذيين في سيوستان لم يرغبوا في قتال العرب، ومع ذلك، وفقاً لاعترافهم، كان مرجع ذلك إدراكهم لطبيعة الوضع العسكري، ونتيجة للعقيدة البوذية التي لا تميل للعنف. ولا يوجد سبب للشك في صدق كلامهم. فقد ذكروا في رسالة بعثوا بها للقائد العربي أن سكان المدينة تخلوا عن ولائهم للملك بجهرا [١١٥]، مع ذلك، كان هذا القول مرجعه خوفهم من انتقام العرب من مؤيدي الملك، وليس بسبب المعارضة الايدلوجية للحكم الهندي [١١٦].

والرواية التي ترصد نشاط كاكا كوتال[١١٧]، والتي ذكرها قريشي[١١٨] انتقائية للغاية. حيث تذكر أنه عندما تم نُصح كاكا بالهجوم على المسلمين ليلاً، هو ببساطة لم يخبر جنوده ألا يقوموا بالهجوم، بل ذكر لهم النبوءة التي تذكر انتصار العرب، لكنه أيضاً قال لهم أنه سوف يكون سعيداً لو نجحوا في هجومهم. وقام أيضًا باختيار قائد للحملة التي ستقوم بالهجوم، ومنح الجنود العطايا، كما منح بجهرا حق اللجوء لأنه كان مطارداً من العرب. وعندما فقد جنوده طريقهم في ظلال الليل، وأوشكت الحملة على الفشل، فقط عند ذلك اتجه إلى العرب، وأخبرهم عن الحملة الفاشلة، ثم استسلم. وينبغي أن نلاحظ أن كاكا كوتال استخدم تحالفه الجديد المزعوم مع العرب لكي يسلب أثرياء المنطقة، وبدا واضحاً إلى حد

---

[١١٢] قريشي، مرجع سابق، ص٣٨.

[١١٣] الكوفي، مصدر سابق، ورقة ٥٤أ.

[١١٤] المصدر نفسه، ورقة ٤٧أ، ٥٨أ. انظر أيضاً: بهكري، مصدر سابق، ص٢٣، حيث ذكر أن النبؤة تنسب لكهنة ومتنبئ داهر، حيث كانوا بالطبع هندوس مثل ملكهم.

[١١٥] هو بجهرا بن جندر ابن عم حاكم السند داهر انظر: الكوفي، فتح نامه سند، ص١٢٠. (المترجم)

[١١٦] المصدر نفسه، الأوراق ٥٣أ-٥٣ب.

[١١٧] لمزيد من التفاصيل عن هذا الملك انظر: محمد نصر، الوجود العربي في الهند، ص٣٠.

[١١٨] مرجع سابق، ص٣٨-٣٩.

ما أنه كان مدفوعاً في تصرفاته برغبته في أن يكون مع الجانب المنتصر أكثر من كونه معارضاً ايدلوجياً للحكم الهندي [١١٩].

وما قام به موكا بساية[١٢٠] ينبغي أن ينظر إليه بنفس الطريقة. هذا الزعيم طلب من محمد بن القاسم أن يدعم حكمه في مملكة أسلافه. وقد استجاب له محمد بن القاسم، ووقع معه معاهدة وطلب منه أن يمد العرب بالقوارب التي يحتاجونها لعبور نهر الأندوس واستكمال الحرب [١٢١]. وقد لا يكون مقبولاً من وجهة النظر الوطنية الحديثة ما قام به موكا باعتباره حاكم أُحتلت أرضه من غاز أجنبي، ومن الواضح أن تعاون موكا مع العرب كان غرضه أن يحافظ على مملكته وليس بسبب كراهيته للهندوس.

على أية حال، لم يكن البوذيون هم العنصر الوحيد الذي تعاون مع العرب. ويحتوي كتاب چچنامه على فصل طويل عن المعاهدة التي وقعت بين محمد بن القاسم وبراهمة برهمناباد. وعند قراءة هذا الفصل، يمكن أن نرى بوضوح أن موقف البراهمة، كما وصفه مؤلف الكتاب، مشابه جداً لما قام به رؤساء البوذيين والسومانيين[١٢٢].

وعندما فتحت مدينة برهمناباد، قدم البراهمة فروض الطاعة لمحمد بن القاسم، وامتثالا لأوامره احضروا (لادي) زوجة الملك داهر من المكان الذي اختبأت فيه وسلموها للعرب [١٢٣]. بعدها حافظ محمد بن القاسم على وضعيتهم التقليدية المتميزة في المجتمع الهندي. وعهد لكل واحد منهم بمنصب يتوارثه أبنائه، مع وعد بعدم عزل أحد منهم هم وأبنائهم [١٢٤]. كما أمر أيضاً بأن يُدفع للبراهمة الضرائب التي اعتادوا أن يجمعوها قبل الفتح الإسلامي [١٢٥].

---

[١١٩] الكوفي، مصدر سابق، أوراق ٥٣ب-٥٤ب؛ اليوت وداوسون، مرجع سابق، ج١، ص ١٥٩-١٦١.

[١٢٠] لمزيد من التفاصيل حول انظر: محمد نصر، الوجود العربي في الهند، ص٣٠.

[١٢١] الكوفي، مصدر سابق، أوراق ٥٩ب-٦٠ب.

[١٢٢] يقصد بهم البوذيين من سكان مدينة سومنات. (المترجم)

[١٢٣] الكوفي، مصدر سابق، ورقة ٨٩ب؛ اليوت وداوسون، مرجع سابق، ج١، ص١٨٢.

[١٢٤] الكوفي، مصدر سابق، ورقة ٩٠ب؛ اليوت وداوسون، مرجع سابق، ج١، ص١٨٣.

[١٢٥] الكوفي، المصدر نفسه، ورقة ٩٢ب؛ اليوت وداوسون، المرجع نفسه، ج١، ص١٨٦.

لذلك من الصعب أن نفترض أن الفتح العربي للسند، كما جاء في كتاب چچنامه، قد أحدث تغييرات كبيرة في بناء المجتمع الهندي. على العكس من ذلك، الكتاب يبدو في بعض الأحيان وكأنه وثيقة تهدف إلى إضفاء الشرعية الإسلامية على البناء الاجتماعي الهندي، للحفاظ على الهيبة والمكانة التقليدية للبراهمة وتجيز الحالة المتردية للطبقات الدنيا.

وتعد القيمة التاريخية لچچنامه مسألة هامة، ودراسة شاملة لهذا الكتاب فقط ربما يمكنها أن تحدد أي الأجزاء فيه يمكن أن نعتبرها تأريخاً وأي الأجزاء تعتبر خيالاً [١٢٦]. لكن لو قبلنا محتويات الكتاب في ظاهرها، كما فعل بعض الدارسين، فيجب أن نصل لنتيجة أن البوذيين والطبقات المطحونة لم يكونوا فقط العناصر الوحيدة التي تعاونت مع الغزاة العرب. چچنامه هو المصدر الوحيد تقريباً صاحب النظرية التي تستند لخيانة البوذيين وكذلك تعاون البراهمة مع المنتصرين العرب للإبقاء على وضعهم التقليدي في المجتمع الهندي.

لم يكن تسليم البراهمة زوجة داهر للعرب أقل خسة، من وجهة نظر الوطنيين الهنود، من الدعم الذي قدمه موكا للعرب، والذي يقال إنه كان زعيماً للبوذيين وأراد ان يحافظ على ملكه. لا البراهمة ولا البوذيون قادوا حركة المقاومة ضد العرب. وفقاً لچچنامه، حاول كلاهما التكيف قدر المستطاع مع الظروف التي خلقها الفتح العربي؛ وإذا كان التعاون مع الغازي يستحق اللوم، فإنهما ينبغي أن يتشاركا بالتساوي فيه.

وبالتأكيد لا يوجد في چچنامه انطباع واحد أن سلوك البوذيين كانت دوافعه أيدلوجية ضد الهندوس. هم مثل أبناء جلدتهم من الهنود حاولوا أن يحصلوا على وضع أفضل لهم بعد نجاح العرب العسكري.

ويبدو لي أن وجهة نظر الهنود الوطنيين، والذي تتهم البوذيين فقط بالخيانة، ووجهة نظر بعض المؤرخين المسلمين، التي ترى في تواطئهم مع العرب تعبيراً عن الصورة ضد الضغط الهندوسي، لا تحملان مبررات كافية وذلك في ضوء المادة التاريخية المتاحة لنا.

لم تكن سياسة العرب تجاه بعض مدن السند بعد فتحها مباشرة موحدة، جزء من سكان ديبل، على سبيل المثال، قتلوا بعد مذبحة استمرت ثلاثة أيام،

---

[١٢٦] جابريلي، مرجع سابق، ص٢٨١-٢٨٢.

وكان من ضمن القتلى حارسي معبد المدينة. كما أقيم مسجد في المدينة [١٢٧]. وتم تدمير معبد اسكندرا [١٢٨]، وكذلك معبد مدينة قندهار [١٢٩] أعلى نهر الأندوس التي فتحها هشام بن عمرو التغلبي في عهد الخليفة العباسي المعتصم، وأقيم مسجداً بدلاً منه [١٣٠]. على الجانب الآخر، هناك مدن لم تصب بأي أضرار مثل سدوسان وبسمد [١٣١]، وكذلك الحالة الخاصة جداً لملتان. وقد ناقشنا هذه الحالة في مكان آخر [١٣٢].

وهناك روايات أخري عن مدن متعددة تتعارض مع بعضها البعض. لم يشر البلاذري لمعبد مدينة نيرون، ومن خلال حديثه عن استسلام المدينة سلماً، يبدو لنا أن المعبد ظل سليماً [١٣٣]. لكن بهكري ذكر أن فتح نيرون تبعه مذبحة[١٣٤]. في حين ذكر چچنامه أنه تم بناء مسجد في مكان هذا المعبد [١٣٥].

ومن خلال ما كتبه البلاذري عن مدينة الرور أو اللور[١٣٦] يمكننا أن نستنتج أن معبد المدينة ظل سليماً رغم بناء مسجد في المدينة[١٣٧]. وقد ذكر بهكري[١٣٨]، أنه أُقيم منبر في ساحة المعبد، وكانت جموع المصلين تجلس حوله.

---

[١٢٧] البلاذري، مصدر سابق، ص٤٣٧.

[١٢٨] بهكري، مصدر سابق، ص٢٨.

[١٢٩] قندهار: وهي ليست المدينة الأفغانية، بل هى مدينة بجوار ميناء بروص في ولاية كجرات على الساحل الغربي للهند. انظر: سيد رضوان علي، تعريف مدن الهند وتحديدها الواردة في كتاب فتوح الهند لليلاذري، مجلةا لعصور، مج٢، ١٩٨٧، ص١٤٥.

[١٣٠] البلاذري، مصدر سابق، ص٤٤٥.

[١٣١] المصدر نفسه، ص٤٣٨-٤٣٩.

[١٣٢] فريدمان، " معبد ملتان. ملاحظة على المواقف الإسلامية المبكرة من الوثنية"، مجلة الدراسات الشرقية الإسرائيلية (***IOS***)، ع٢، ١٩٧٥، ص١٧٦-١٨٢.

[١٣٣] البلاذري، مصدر سابق، ص٤٣٧-٤٣٨.

[١٣٤] بهكري، مصدر سابق، ص٢١.

[١٣٥] الكوفي، مصدر سابق، ورقة ٥٢ب؛ اليوت وداوسون، مرجع سابق، ج١، ١٥٨.

[١٣٦] لتحديد معنى هذين الاسمين انظر: المصدر نفسه، ص٣٦٣.

[١٣٧] البلاذري، مصدر سابق، ص٤٣٩.

[١٣٨] مصدر سابق، ص٢٦.

لكن ذلك لم يكن يعني أن المعبد تم تحويله إلى مسجد. ووفقاً لچچنامه[١٣٩]، فإن بناء المساجد مكان المعابد كان مسألة سياسية، بينما ذكر البلاذري ما قام به محمد بن القاسم من منح الحرية الدينية للمعابد البوذية واعتبارها مثل بيع اليهود، والكنائس وبيوت النار الزرادشتية[١٤٠]. وعلى ذلك، فمن الواضح جداً أنه بعد انتهاء حالة الغضب من الفتح العربي، سمح الفاتحون للهنود بالاحتفاظ بمعتقدات أسلافهم، واعتبروهم أهل ذمة رغم الطبيعة الوثنية في ديانتهم [١٤١].

يمكننا الآن أن نحاول أن نصف العلاقة التي تطورت بين المسلمين والجماعات الأخرى في مدن السند. ومن المرجح أن معظم المسلمين، العرب ومعتنقي الإسلام من الهنود، عاشوا في المدن التي كانت تحت الحكم الإسلامي. ولم يكن هذا الحال فقط في المدن التي أنشأها المسلمون مثل المنصورة والمحفوظة، لكن في مدن أخري مثل ملتان، التي ذكر ابن حوقل [١٤٢] أنه لم يوجد بها أي وثنيين سوى حراس المعبد.

ومع ذلك، فقد تواجد المسلمون في المناطق التي كان يحكمها الحكام الهنود. فقد تحدث المؤلف المجهول [١٤٣] صاحب كتاب " حدود العالم" في نهاية القرن العاشر الميلادي، عن المسلمين الذين يعيشون في مدينة صيمور[١٤٤]، التي كانت تخضع لحكم بلهرا[١٤٥]، وفي ويهند التي كانت تحت حكم جيبال. وكان

---

[١٣٩] ورقة ٥٦أ؛ اليوت وداوسون، مرجع سابق، ج١، ص١٦٤.

[١٤٠] البلاذري، مصدر سابق، ص٤٣٩.

[١٤١] لمزيد من التفاصيل انظر مقال: فريدمان، معبد ملتان، ص١٧٦-١٨٢، وقائمة المصادر به.

[١٤٢] مصدر سابق، ص٤٣١.

[١٤٣] حدود العالم، أوراق ١٤ب-١٥أ؛ ترجمة مينورسكي، ص ٨٨، ٩٢؛ البلخي، المسالك والممالك، ليدن ١٩٢٧، ص١٧٣؛ ابن حوقل، مصدر سابق، ص٣٢٠.

[١٤٤] وتقوم مقامها الآن بلدة تشول Chaul جنوب بومباى بنحو ٢٥ ميلاً. انظر: أنور عبد العليم، العرب والملاحة، ص ٣٩. (المنرجم)

[١٤٥] هذا تحريف للقلب الهندي Vallabha-raja، الذي حمله حكام أسرة الراشتراكوت. انظر: أخبار الصين والهند، نشر سوفاجيه، باريس ١٩٤٨، ص٥١؛ اليوت وداوسون، مرجع سابق، ج١، ص٣٥٤-٣٥٨؛ دائرة المعارف الإسلامية. (المترجم)

هناك مساجد جامعة أيضاً في صيمور وسندان [١٤٦]. وقد ذكر البلاذري [١٤٧] حالة لمسجد ظل على حالته في إحدى المدن حتى بعد أن استعاد الهندوس المدينة من المسلمين، وعلى ما يبدو أن الهندوس لم يرو ضرورة للاحتفال بانتصارهم بتدمير مكان عبادة للمسلمين أو تحويله إلى معبد.

وكان بعض الحكام الهنود، مثل حكام الطافي (أو طافن) معروفين بميلهم للعرب[١٤٨]. ففي المناطق التي كان يحكمها الراشتراكوت [١٤٩]، والذي يقال إنه كان لديهم هذا الاتجاه [١٥٠]، تمتع المسلمون بالاستقلال السياسي والقضائي، حيث كان يحكمهم حاكم مسلم يعينه بلهرا. وكانت مشاكلهم القضائية يفصل فيها قاض مسلم. وهناك بعض الأدلة أنهم كانوا يحتكمون للشريعة الإسلامية [١٥١]. وكانت شهادة غير المسلم لا تصلح ضد المسلم، وكانت شهادة غير المسلم تقبل فقط التي كان فيها المسلمون أقلية، أو لو كان الشاهد معروف بنزاهته أو زكاه المسلمون[١٥٢].

ومن الأمثلة على الاستقلال القضائي للمسلمين ما ذكره بزرك بن شهريار[١٥٣]، من أن بحار مسلم انتهك قدسية أحد أوثان مدينة صيمور، فأعلن

---

[١٤٦] ابن حوقل، مصدر سابق، ص ٣٢٠، ٣٢٤.

[١٤٧] مصدر سابق، ص٤٤٦.

[١٤٨] المسعودي، مصدر سابق، ج١، ص٣٨٢.

[١٤٩] بلهرا في لغة مصادرنا. ومملكة الراشتراكوت أهم وأقوى الممالك الهندية، فقد بسطت سيطرتها على هضبة الدكن وسواحل الهند الغربية، وقد ظهرت تلك المملكة للوجود على يد دنتيدورجا Dantidurga فى منتصف القرن الأول الهجرى / السابع الميلادى. ولمزيد عنها انظر: محمد نصر، الوجود العربي في الهند، ص٥٢-٥٣. (المترجم).

[١٥٠] سوفاجيه، مرجع سابق، ص١٢؛ اليوت وداوسون، مرجع سابق، ج١، ص٣٥٤-٣٥٨؛ المسعودي، مصدر سابق، ج١، ص٣٨١. على الجانب الآخر، يقال إن ملك الجرز معاد للعرب. انظر: سوفاجيه، نفس المرجع، وص٥١ (لتحديد مكانه)؛ اليوت وداوسون، مرجع سابق، ج١، ص٣٥٨-٣٦٠؛ رينو، ما يتعلق بأسفار العرب والفرس في الهند والصين في القرن التاسع الميلادي، باريس ١٨٤٥، ج١، ص٢٦.

[١٥١] مصدر سابق، ص١٩٠-١٦١.

[١٥٢] ابن حوقل، مصدر سابق، ص٢٣٠.

[١٥٣] مصدر سابق، ص١٤٢-١٤٤.

حاكم المدينة أنه وفقاً للمعاهدات مع العرب، ليس لديه سلطة لإعلان العقوبة في مثل تلك الحالة. وقد أُعدم البحار فقط بعد أن تشاور الحاكم مع قاض مسلم، وقد ذكر أنه إذا ارتكب رجل مثل هذا الفعل الشائن في المسجد فسوف يواجه أيضاً عقوبة الإعدام.

وقد رأينا سابقاً أن الهندوس الذين عاشوا في المناطق الخاضعة للحكم الإسلامي قد اعتبروا أهل ذمة [١٥٤]. وقد نسبت بعض المصادر هذا الأمر لمحمد بن القاسم، لكن يمكننا أن نفترض باطمئنان أن هذا الأمر كان انعكاساً للتطورات التي حدث بعد ذلك للشريعة الإسلامية. وقد أشار البلاذري إلى حالات متعددة للخراج والجزية التي فرضت على السكان غير المسلمين في المناطق التي احتلها العرب. وإحدى هذه الحالات تستدعى اهتماماً خاصاً منا؛ وهي التي تشير إلى أنشطة عمران بن موسى، سليل عائلة البرامكة الشهيرة، والذي كان حاكماً على السند في عهد الخليفة المعتصم عام ٢٢١هـ/٨٣٥-٨٣٦م. يقول البلاذري [١٥٥] واصفاً انتصارات موسى المتعددة: " ثم نادي بالزط الذين بحضرته فأتوه، فختم أيديهم وأخذ الجزية منهم، وأمرهم أن يكون مع كل رجل إذا خرج كلب، فبلغ الكلب خمسين درهم".

ولا تبدو هناك أية إشكالية فيما يخص الجزء الأول من الحالة: فجمع الجزية وختم الأيدي (أو الرقاب) من الإجراءات المعتادة مع أهل الذمة [١٥٦]. لكن الجزء الأخير من الحالة يبدو أكثر صعوبة: فليس من الواضح لما أمر الأمير بأن يصطحب الزط الكلاب. وقد رأى رينو، الذي ترجم الفصل الذي كتبه البلاذري عن السند منذ أكثر من قرن مضى، أن الغرض من هذا الإجراء ربما كان التخلص من عدد من الكلاب الضالة [١٥٧]. وقد أيد هذا الرأي عمل أكثر حداثة

---

[١٥٤] انظر حاشية رقم ١٤٤.

[١٥٥] مصدر سابق، ص٤٤٥-٤٤٦.

[١٥٦] انظر دراسة دي غوية لكتاب البلاذري، فتوح البلدانن ص٣٥؛ لين، المعجم، مادة ختم؛ ابن الأخوة، معالم القربة، كمبريدج ١٩٣٨، ص٤١؛ ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، دمشق ١٩٦١، ج٢، ص٧٦٢؛ أبو يوسف، كتاب الخراج، القاهرة ١٣٥٢هـ، ص١١٧.

[١٥٧] رينو، " شذرات عربية وفارسية متعلقة بالهند "، المجلة الأسيوية(***JA***)، ١٨٤٥، ص١٨٩، حاشية١.

لمورجتون[١٥٨]. وقد حاول اليوت وداوسون[١٥٩] أن يفسرا أمر كلاب الجزية فافترضا أن يكون الغرض هو التخلص من الكلاب، أو الحفاظ على الكلاب للصيد، أو تشجيع تربية الكلاب. ومع ذلك، لا يبدو أياً من هذه التبريرات صحيحاً. الاجراء المتعلق بالكلاب تم مباشرة بعد أمرين من الأمور التي ميزت تعامل المسلمين مع أهل الذمة، لذلك ينبغي علينا أولاً أن نضع في الاعتبار إمكانية أن يكون هذا الحدث أيضاً ينتمي لنفس الأمر.

وفي الواقع، نحن أمام احتمال واضح أن يكون هذا الاجراء نوع من الغيار[١٦٠]، وهو الاجراء الذي كان يميز أهل الذمة بشكل مهين عن المسلمين. ورغم أننا لا نجد في المصادر ما يؤيد أن تلك العادة كانت من ضمن الإجراءات التي فرضت على أهل الذمة في مناطق إسلامية أخرى، إلا أن هناك بعض الأدلة التي تؤيد أنه كان السبب الحقيقي وراء الاجراء الذي قام به موسى بن عمران. ووفقاً لما جاء في كتاب چچنامه، فإن محمد بن القاسم سأل موكا بساية ووزيره عن وضع الزط في عهدي چچ وابنه داهر، وقد قيل له أنهم كانوا يعانون من وضعية مذلة. ومن ضمن الإجراءات التي فرضت عليهم أنهم اعتادوا أن يصحبوا كلابهم معهم عند الخروج من بيوتهم، وذلك ربما كانت وسيلة ليتم تمييزهم بها[١٦١]. وبعد أن سمع كل ذلك، يقال إن محمد بن القاسم اقتنع أن الزط يجب أن يظلوا على وضعهم المذل، وأمر أن يستمروا في الخضوع للقوانين التمييزية التي أصدرتها أسرة البراهمة [١٦٢]. والكلب حيوان مدنس وفقاً للمعتقدات الإسلامية

---

[١٥٨] أصول الدولة الإسلامية، نيويورك ١٩٤٢، ج٢، ص٢٣٢.

[١٥٩] مرجع سابق، ج١، ص٤٤٩.

[١٦٠] المقصود به نوع الملابس التي كان على أهل الذمة أن يرتدوها وفقاً للشروط العمرية. انظر: ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ج٣، ص١٣٠٨-١٣٠٩.

[١٦١] الكوفي، مصدر سابق، ورقة ٩٢ ب؛ اليوت وداوسون، مرجع سابق، ج١، ص١٨٧. وفي ضوء هذه الرواية من الصعب أن نقبل رأي إكرام باعتبارهم الميد والزط. انظر: مرجع سابق، ص٣٢٥. (بنى إكرام رأيه على رواية البلاذري الذي أشار للعنصرين الميد والزط، وبالتالي فرأي إكرام صحيح أيضاً وليس كما رآه المؤلف). (المترجم)

[١٦٢] الكوفي، مصدر سابق، ورقة ٩٣ أ.

والهندوسية[١٦٣]، ولذلك خلال الحكم الإسلامي ربما تم تطبيق هذه العادة المذلة (ختم الرقاب والأيدي) وفقاً للمعتقد الإسلامي، وأضيف إليها الإجراء التمييزي المتعلق بالزط (اصطحاب الكلاب). ومرة أخرى نواجه رواية تذكر أن الإسلام لم يغير البناء الطبقي الجائر للمجتمع الهندي، لكن أبقت عليه.

(٤)

ختاماً، يمكننا القول إنه ليس من الممكن مواجهة التعقيدات الخاصة بوضع المسلمين في السند في إطار ضيق لأي أيدلوجية حديثة. والنظرية التي تقول إن انتشار الإسلام في السند تأثر برغبة الطبقات الدنيا في الهروب من حالتهم المتدنية بانضمامهم للمجتمع الإسلامي لا يمكن أن تكون صحيحة وفقاً للمادة المصدرية المتاحة. ومعظم الروايات لا تعكس هذا الاتجاه؛ حيث وصفت حالات شخصية لاعتنق ملوك وأمراء للإسلام. والأكثر من ذلك، أن بعض الروايات، وخاصة چچنامه، وصفت كيف أقر الفاتحون المسلمون على الوضع المميز للبراهمة، والوضع المتدني للطبقات الدنيا مثل الزط. وهذه الروايات، بجانب نتائج الدراسات الحديثة المتعلقة باستمرار الطبقية في مجتمع الهند الإسلامية، تجعل الشكوك تحوم حول صحة النظرية المشار إليها أعلاه.

وينبغي أن نقول أيضاً أن الطبقات المطحونة والبوذيين لم يكونوا وحدهم المتعاونين مع الغزاة العرب. وقد قاومت أسرة داهر الهجوم العربي في البداية، لكن ابن داهر اعتنق الإسلام حينما دعاه عمر بن عبد العزيز لذلك. وقد ذُكر أن كل القوى السياسية الأخرى تعاونت مع المنتصرين العرب، رغم أن البعض منهم حاول استرداد أراضيهم المسلوبة بعد ضعف القبضة الإسلامية على السند بسبب الخلافات والمشاكل الداخلية داخل الخلافة.

وقد لاحظانا في أوقات متعددة أن المادة المتعلقة بموضوعنا هزيلة. البعض منها أسطوري وانعكاسات لروايات شعبية أكثر منها حقائق تاريخية. ولم تول المصادر العربية القديمة اهتماماً كبيراً بتاريخ السند الإسلامية، وكان اهتمامها

---

[١٦٣] عن المعتقد الهندوسي انظر: علامي، عين أكبري، ترجمة جاريت، كلكتا ١٩٤٨، ج٣، ص٣١٩. وعن الإسلام انظر: وينسينك، فهرس ..، مادة كلب؛ الدميري، حياة الحيوان الكبرى، القاهرة ١٢٧٤هـ، ج٢، ص٤٢٩.

فقط ينصب على الأحداث التي تتعلق بالتطورات في مركز الخلافة. وقد اختلفت مصادر تاريخ الهند الإسلامية بالطبع في هذا الصدد، لكن المادة المتعلقة بالفترة المبكرة بها قليلة جداً، لذلك لا تمكننا بشكل كبير من تحسين معرفتنا بتلك الفترة. وحتى فيما يخص كتاب چچنامه، والذي يعتبر التاريخ المبكر للسند الإسلامية موضوعه الأساسي، فإن تاريخية هذا العمل ما زالت محل شك.

وتضع طبيعة المصادر التاريخية قيوداً كبيرة على قدرتنا على عمل دراسة متكاملة عن تاريخ الإسلام في الهند. فعلى سبيل المثال، نحن لسنا قادرين على تقدير الامتداد الإسلامي. ولا يمكننا رسم صورة واضحة عن العلاقة بين المسلمين والسكان المحليين، ولا يمكننا أن نقول ما إذا كانت هذه العلاقة تطورت في أي اتجاه خلال الفترة موضع الدراسة. وبسبب نقص المادة في المصادر التاريخية، فعلينا توخي أقصى درجات الحذر قبل التوصل لاستنتاجات.

بدايات الدعوة الإسماعيلية في شمال الهند

بدايات الدعوة الإسماعيلية في شمال الهند [١]

البدايات:

مع نهايات القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وقبل قيام الخلافة الفاطمية في شمال افريقيا [٢] كانت الدعوة الفاطمية تعمل في كثير من المناطق، ولم تكن الهند استثناء من هذا الأمر. ولدينا دليل على ذلك نجده عند القاضي النعمان(ت.٣٦٣هـ/٩٧٤م)، قاضي قضاة الخليفة المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١هـ/ ٣٦٥هـ – ٩٥٣/ ٩٧٥م)، الذي ذكر أنه في عام ٢٧٠هـ/٨٨٣م قام الداعي اليمني أبو القاسم بن حوشب منصور اليمن [٣] بإرسال ابن أخيه الهيثم كداعية إلى السند، وأن الدعوة انتشرت في الهند [٤]. ولدينا أيضاً ما كتبه رشيد

---

[١] العنوان الأصلي للمقال:

Hamadani, Abbas, H., *The beginnings of the Isma'ili da'wa in northern India*, (Cairo: Sirovec bookshop, 1956).

والإسماعيلية إحدى فرق الشيعة التي تنتسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، الإمام السابع الذي نصبه الإسماعيلية إماماً لهم، ومن أهم مبادئهم إيمانهم بالإمامة، وأن العقل البشرى وحده يقصر عن الوصول إلى معرفة الله معرفة حقة، لذا يجب على الناس أن يختاروا إماماً يقوم بإرشادهم، كما يؤمنون أن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً ظاهراً وباطناً، لذا عرفوا أيضاً بالباطنية، وقد لعبت تلك الفرقة دوراً خطيراً على مسرح السياسة في العالم الإسلامي. انظر: النوبختي، فرق الشيعة، تحقيق عبد المنعم الحفني، القاهرة، ١٩٩٢، ص67؛ البغدادي، الفرق بين الفرق، بيروت ١٩٨٧، ص٢٦٥ – ٢٩٨. (المترجم).

[٢] عن اتجاه الإسماعيلية للمغرب وتأسيس الدولة الفاطمية هناك انظر: ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق التهامى نقرة، عبد الحليم عويس، ج١، القاهرة ١٤٠١هـ؛ أيمن فؤاد السيد، الدولة الفاطمية فى مصر، القاهرة ١٩٩٢، ص٤١ – ٥٠. (المترجم).

[٣] هو أبو القاسم رستم بن الحسين الكوفي، وكان يسمى أيضاً منصور اليمن نتيجة ما حققه من نجاح هناك، وللمزيد عن شخصيته ونشاطه انظر: المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٣٨، ص٦٧ – ٦٨؛ خير الله، عمل الدعاة الإسلاميين في العصر العباسي، دمشق ١٩٩٣، ص ٢٢٧ – ٢٢٨. (المترجم).

[٤] رسالة افتتاح الدعوة، ص ١٨–١٩. وهذه الرواية منقولة حرفياً لدى الداعي إدريس، عيون الأخبار وفنون الآثار، ج٦، ص ٣٨.

الدين في كتابه جامع التواريخ عن الدعاة الفاطميين في الهند في الفترة التي سبقت فتح الفاطميين لشمال افريقيا خلال فترة (الستر)[٥]. وهناك ملاحظة هامشية عند الجويني تشير لنفس الحدث [٦].

بعد بداية الدعوة في السند استمرت في النمو والانتشار في المناطق الأخرى مثل مُلتان[٧]، گجرات[٨]، والبنجاب[٩]، وبحلول عهد الخليفة الفاطمي المعز أصبح لها أتباع كثيرين. وقد ذكر هذا أيضاً القاضي النعمان [١٠]، وأكده معاصره ابن حوقل الذي أخبرنا أن سلطة الخليفة الفاطمي امتدت حتى منطقة بلوشستان[١١]. وقد ذكر كل من إليوت وداوسن أن أحد أفراد عشيرة البلوص[١٢] ما

---

[٥] مقتطف من رشيد الدين في: ليفي، المذهب الإسماعيلي في جامع التواريخ، مجلة الجمعية الأسيوية الملكية (***JRAS***)، ١٩٣٠، ص٥١٦، ٥١٨، ٥٢٢.

[٦] تاريخ فاتح العالم جهانكشاي، ج٣، ص٢٤٨-٢٤٩.

[٧] وهذه الكلمة مشتقة من الكلمة السنسكريتية Maliathan والتي تعنى موضع قبيلة مالي، تلك القبيلة القوية التي كانت تقطن المنطقة زمن الاسكندر المقدوني وللمزيد عنها انظر: القزويني، آثار البلاد، ص ١٢١ – ١٢٣؛

Pathan, M., "Multan under Arabs ", ***IC,*** 43(1969), pp.13-20; Maqbul, A., "Multan (as described by Arab writers), ***JIH,*** (1973), pp.361-367. (المترجم)

[٨] تقع كجرات على الساحل الغربي للهند وللمزيد عنها انظر:

Talwalkar, V., " Gujarat in medieval times ", ***PROC.7th ALL-IND.OR. CONF.*** (1933), pp.555 - 567. (المترجم)

[٩] هي كلمة فارسية مكونة من مقطعين پنچ: بمعنى خمسة، وآب: بمعنى مياه، والمعنى العام: الأنهار الخمسة، ويقصد بها أنهار السند الصغيرة التي كانت تصب في نهر السند الكبير. انظر: عبد الحي الحسني الندوي، الهند في العهد الإسلامي، الدكن ١٩٧٢، ص٦٣. (المترجم)

[١٠] رسالة افتتاح الدعوة، ص ١٨.

[١١] المسالك والممالك، نشر كرامرز، ج١، ص٤١٠؛ ج٢، ص٧-١٢. وانظر أيضاً: دي غويه، مذكرات عن القرامطة، ص١٩٦.

[١٢] البلوص أو البلوچ هي قبائل سكنت منطقتي مكران وكرمان (جنوب غرب إيران الحالية) ويقال إن أصلهم عربي. ولمزيد عنهم انظر: رياض عبد الله محمد، القفص والبلوص منذ الفتح الإسلامي حتى مجيء السلاجقة، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج١٤، ع١، ٢٠٠٧، ص٩٣ وما بعدها. (المترجم)

زال يحتفظ بذكرى هذه الهرطقة أو ذكرى أسلافه، حيث مازال في الوقت الحاضر يحتفظ بلقب قرمطي [١٣].

وقد ذكر البيروني [١٤] المؤرخ الشهير (النصف الأول من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) أن زعيم القرامطة [١٥] جلم بن شيبان هاجم مُلتان، وكانت إمارة مستقلة صغيرة [١٦]، وحطم تمثالها الشهير (الذي يرمز لإله الشمس) [١٧]، والذي كان يحظى بتقدير كل من السكان الهنود وأمير المدينة العربي، وهدم مسجداً كان مبنياً منذ العصر الأموي وبنى مسجداً جديداً في موضعه. وقد ذكرت هذه الأحداث مع شيء من التفصيل عند المؤرخ الإسماعيلي اليمني الداعي إدريس (ت.٨٧٢هـ) [١٨]، حيث ذكر أنه في عهد الإمام المعز تم إرسال داع إلى السند، ونجح في تحويل كثير من المجوس إلى الإسلام لكنه سمح

---

[١٣] تاريخ الهند، ج١، ص٤٩٢. والقرمطي لقب كان يطلق على المنتمين لفرقة القرامطة، وهي فرقة شيعية انشقت عن فرقة الإسماعيلية، وتنسب لحمدان بن الأشعث الملقب بقرمط نظراً لقصره الشديد، وقد بدأت دعوة هذه الفرقة في العراق ثم انتقلت للبحرين بعدها. ولمزيد عن القرامطة انظر: ابن الجوزي، القرامطة، تحقيق محمد الصباغ، دمشق ١٩٨١، ص٣٨ وما بعدها.

[١٤] تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة للعقل أو مرذولة، تحقيق ساخو، فرانكفورت ١٩٩٣، ص٥٦؛ انظر أيضا: ديفرمري، تاريخ إسماعيلية فارس، المجلة الآسيوية (***JA***)، العدد ٨، (١٨٥٦)، ص٣٨١؛ رينو، نصوص عربية وفارسية متعلقة بالهند، المجلة الآسيوية(***JA***)، العدد ٢، (١٨٤٤)، ص٢٨٣-٢٨٤، هامش ٢.

[١٥] كلمة قرامطة هنا تستخدم للإشارة لإسماعيلية الدعوة الفاطمية الرسمية وليس فرقة القرامطة المنشقة عنها في الشام والبحرين، كما هو واضح في رواية الداعي إدريس المذكورة آنفاً، وكذلك وصف المقدسي الذي سوف نذكره لاحقاً في هذا المقال.

[١٦] وهي الخاصة بأسرة بني سامة العربية. راجع ما ذكرناه أدناه.

[١٧] وقد ذكر هذا التمثال عند كثير من الكتاب مثل أبو زيد حسن السيرافي(٢٦٤هـ)، ابن رستة (٢٩٠هـ)، المسعودي (٣٠٣هـ)، ابن المهلهل (٣٣١هـ)، الاصطخري (٣٤٠هـ)، ابن حوقل (٣٦٧هـ)، المقدسي (٣٧٥هـ)، البيروني (٤٣٢هـ)، والقزويني الذي أعطانا تفاصيل قصة تحطيمه.

[١٨] عيون الأخبار، ج٦، ص١٠٠-١١٧. وقد أشار الداعي إدريس إلى كتاب للقاضي نعمان دون أن يذكر اسمه. هذا الكتاب لم يشر إليه في كتابه افتتاح الدعوة وأنا غير قادر على رؤية الجزء المتعلق به في شرح الأخبار. ربما هذا الكتاب هو المجالس والمسايرات.

لهم بالاحتفاظ بمعتقداتهم وعاداتهم غير الإسلامية [١٩]. وقد تم استبداله بداعٍ آخر هو جلم بن شيبان[٢٠] ثم أرسل له الخليفة رسالها بها تعليماته في رمضان عام ٣٥٤هـ[٢١]. وقد قتل هذا الداعي حاكم السند، ودمر المعبد وبنى مسجداً مكانه[٢٢].

الممالك العربية في مُلتان والمنصورة في السند

منذ أن فتح العرب السند على يد قائدهم الشاب الباسل محمد بن القاسم خلال عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك أصبحت هناك قوة إسلامية عربية في تلك الولاية الهندية. في عام ٢٥٨هـ/٨٧١م منح الخليفة العباسي المعتمد ولاية السند للقائد الشهير يعقوب بن الليث الصفار، والذي كان مسئولاً بالطبع عن نشر المذهب الشيعي في السند. وعند وفاة الأخير عام ٢٥٦هـ/٨٧٨م كانت المناطق الإسلامية في السند منقسمة إلى قسمين رئيسيين مستقلين في مُلتان والمنصورة (برهمناباد) [٢٣].

---

[١٩] في مقال سابق بعنوان (تاريخ الإسماعيلية في عهد المعز–نشرة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية (***BSOAS***)–العدد (١٧)، قام شتيرن بدراسة مقتطفات من كتاب المجالس والمسايرات للقاضي النعمان واستخلص النتائج التالية منه: في حوالي عام ٣٤٧هـ قام داعٍ فاطمي غير معروف اسمه بتحويل كثير من سكان مولتان من المجوسية للإسلام وكتب للخليفة المعز بذلك. ولم يكن الخليفة راضياً عن احتفاظ المجوس بآرائهم القديمة، واعتقد أن الداع مبتدع وخائن للمعتقدات الفاطمية. وقد أظهر الخليفة للداعي في اجابته الدبلوماسية موافقته على ما حدث، لكنه كان يتآمر سراً على عزله، وكلف جلم بن شيبان للقيام بهذا الأمر. لكن سقوط الداعي من على فرسه ومصرعه عام ٣٤٨هـ جعل هذا الأمر غير ضروري.

[٢٠] وقد تناول الداعي إدريس تفاصيل الصراع بين جلم بن شيبان والداعي السابق، وإن كان يسميه حلم. انظر: عيون الأخبار، ج٦، ص١٠٠ وما بعدها.

[٢١] وقد أورد إدريس النص الكامل للرسالة، ص٢١٨–٢٢٢. وانظر أيضاً: شتيرن، الدعاية الإسماعيلية والحكم الفاطمي في السند، مجلة الثقافة الإسلامية (***IC***)، أكتوبر ١٩٤٩، ص٢٩٨–٣٠٧. ولترجمة كاملة للرسالة انظر: شتيرن، تاريخ الإسماعيلية في زمن المعز.

[٢٢] عيون الأخبار، ج٦، ص١١٧.

[٢٣] ماجمدار، التاريخ المتقدم للهند، لندن ١٩٥٣، ص٢٧٥. وبرهمناباد هو الاسم القديم للموضع الذي بنيت فيه مدينة المنصورة. (المترجم)

(أ) مُلتان

قام أحد زعماء قبيلة بني سامة العربية بتأسيس إمارة مستقلة في مُلتان، وقد حكمها من عام ٢٧٩هـ إلى ٢٩٠هـ [٢٤]. وقد ذكر المسعودي اسم ابنه أبو اللهاب منبه الذي حكم عام ٣٠٣هـ وقد ذكر كل من الاصطخري وابن حوقل بني سامة كحكام لمُلتان دون أن يذكرا أسماء الحكام، وقد علمنا منهما أن الدعوة الإسماعيلية أصبحت نشيطة جداً في مُلتان. وقد حدد الداعي إدريس عام ٣٥٤هـ كتاريخ لقيام جلم بن شيبان بهزيمة آخر أمير عربي من بني سامة وحكمه لمُلتان.

وعندما زار المقدسي مُلتان عام ٣٧٥هـ وجد حاكماً إسماعيلياً يحكم المدينة. هو لم يصرح باسمه، لكن المناقشة السابقة تثبت أنه كان جلم بن شيبان. وخلال زيارة المقدسي كان تمثال مُلتان ما زال موجوداً، لذلك لابد أن جلم حطمه عام ٣٧٦هـ، باعتبار أنها السنة الأخيرة في حكمه وحياته. وقد كتب المقدسي: "وأهل مُلتان شيعة، والخطبة فيها للخليفة الفاطمي في مصر، وحاكم الإمارة لا ينفذ أمراً دون مشورة الخليفة الفاطمي، وأن السفارات والهدايا لا تنقطع بينهما"[٢٥].

وقد ذكر فرشته [٢٦] أن الحاكم التالي لمُلتان كان داعٍ إسماعيلي آخر يدعى الشيخ حميد، ربما كان ابن[٢٧] جلم بن شيبان، وقد حكم حتى عام ٣٨٧هـ[٢٨]. وقد غزا الأمير الغزنوي سبكتكين [٢٩] مُلتان عام ٣٨١هـ، لكنه فيما

---

[٢٤] هو محمد بن القاسم بن منبه، الذي كان زعيماً لقبيلة بنى سامة فى عمان، ولما استفحل خطر الخوارج فيها، عرض على الخليفة المعتمد أن يرسل بعض الإمدادات له، على أن يخلص الولاية منهم، ويحكمها في ظل العباسيين، وبالفعل أجابه المعتمد لذلك، ونجح محمد فى التخلص من الخوارج وتولى الحكم فى الولاية. ولكن يبدو أن الأمور لم تستقم له لذلك اتخذ قراراً حاسماً بالتوجه نحو السند انظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٤٥. (المترجم)

[٢٥] المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، نشر دى غوية، ليدن ١٩٠٦، ص٤٨١.

[٢٦] تاريخ فرشته، تصحيح نوال كيشور، جلد أول، ص١٧-١٨.

[٢٧] وفقاً لرأي مولانا سليمان الندوي، العلاقات العربية الهندية، الله آباد ١٩٣٠، ص٣٢٦.

[٢٨] وهو عام وفاة سبكتكين الغزنوي. وفرشته كان يعتبر الشيخ حميد معاصراً لسبكتكين.

[٢٩] يعتبر سبكتكين بن جوقي هو المؤسس الحقيقي للدولة الغزنوية، ولمزيد عنه انظر: بدر عبد الرحمن، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في العراق والمشرق الإسلامي من أوائل القرن الرابع الهجري حتى ظهور السلاجقة، القاهرة ١٩٨٩، ص ١٥٧ – ١٥٩. (المترجم)

بعد قام بمهادنة الشيخ حميد، حيث فضل أن يجعل الإمارة الإسماعيلية حاجزاً بين القوة الغزنوية الجديدة والحكام الهنود من إمبراطورية البراتهاريين في قنوج [٣٠].

وكان خليفة سبكتكين، السلطان الشهير محمود الغزنوي، لا يميل لمهادنة الإسماعيلية ويعتبرهم عدوه اللدود. وقام بنقض الهدنة وغزو مُلتان عام ٣٩٦هـ. أثناء تلك الفترة كان يحكم مُلتان الداعي الإسماعيلي أبو الفتوح داود بن نصر، الابن الأكبر لحاكم مُلتان السابق الشيخ حميد. وبعد حصار شديد للمدينة لمدة سبعة أيام أضطر أبو الفتوح أن يذعن ويوافق على دفع الجزية للسلطان محمود لكي يعود إلى غزنة مرة أخرى. وعند عودته مرة أخرى عام ٤٠١هـ استولى الغزنويون نهائياً على مُلتان، وألقي القبض على أبي الفتوح، وأوقعوا مذبحة بالإسماعيلية، وقد مات أبو الفتوح بعد لك في سجنه في غزنة [٣١].

وبذلك انتهى الحكم الإسماعيلي لمُلتان والذي استمر قرابة نصف قرن من عام ٣٥٤هـ [٣٢] إلى عام ٤٠١هـ. وقد نجح دعاة مُلتان خلاله في تأسيس أسرة من ثلاثة حكام كانوا من أصول عربية [٣٣]. وكانوا تحت السلطة المباشرة

---

[٣٠] قنوج هي إحدى الممالك امتد نفوذها شمال الهند من سواحلها الشرقية حتى سواحل كجرات غرباً؛ ودانت السيطرة فيها للأرستقراطية الحاكمة من أسرة البراتهاريين Pratiharas (٨٠ – ٣٩٣هـ / ٧٠٠ – ١٠٠٣م). ولمزيد عنها انظر: محمد نصر عبد الرحمن، الوجود العربي في الهند في العصور الوسطى، القاهرة ٢٠١٣، ص٥١. (المترجم)

[٣١] الگرديزي (ت.٤٤١هـ)، زين الأخبار، طبعة برلين، ١٩٢٨، ص٦٧-٦٩. لكن فرشته يعطينا رواية مختلفة، فبينما يصمت الگرديزي حول أصل الداعي الإسماعيلي، يعتبره فرشته من أصول أفغانية. كما اختلفا أيضاً في طريق غزوة محمود الغزنوي. كذلك ذكر فرشته أن أبا الفتوح فر مع خزائنه إلى سيلان. وأنا أتفق مع رأي مولانا سليمان الندوي (المرجع السابق، ص٣٢١-٣٢٢) في تفضيل رواية الگرديزي، لأنه كان معاصراً للأحداث التي يرويها، وعاش وكتب كتابه في العاصمة الغزنوية نفسها. فرشته لم يكتب ذلك بعد وقوع الأحداث بوقت طويل فقط، لكنه أيضاً كان يميل إلى الإثارة غير الدقيقة.

[٣٢] على الرغم من أن تحول مجوس مولتان إلى المذهب الإسماعيلي بدأ عام ٣٤٧هـ، فإن الإسماعيلية لم يحكموا السند حتى عام ٣٥٤هـ حين أطاح جلم بن شيبان بأمير بني سامة.

[٣٣] الندوي (المرجع السابق، ص٣٢٧-٣٢٩) يعتبر الحكام الإسماعيلية من أصول عربية نقية بشهادة الجغرافيين العرب الأوائل وطبيعة أسمائهم الواضحة جداً، ويرفض النظرية الخيالية لفرشتة باعتبارهم ينتمون للأسرة اللودهية الأفغانية.

للفاطميين كما ظهر لنا من خلال المراسلات المتبادلة بين الخليفة المعز وجلم بن شيبان، والتي ذكرها الداعي إدريس في كتابه عيون الأخبار، وذكرها المقدسي كما ذكرنا آنفاً. وقد كان المؤرخون السنيين غير دقيقين حين أشاروا لهذا المجتمع باسم (قرامطة مُلتان)، حيث كانوا ينتمون للدعوة الإسماعيلية الفاطمية الرسمية.

وقد أعطانا المقدسي[٣٤] الذي زار مُلتان أثناء الحكم الإسماعيلي الصورة التالية عن الحياة الاجتماعية هناك: " الملتان تكون مثل المنصورة غير أنها أعمر، ليست بكثيرة الثمار غير أنها رخيصة الأسعار، حسنة تشاكل دور سيراف من خشب الساج، ليس عندهم زنا ولا شرب خمر ومن ظفروا به يفعل ذلك قتلوه أو حدوه، ولا يكذبون في بيع ولا يبخسون في كيل ولا يخسرون في وزن، ويحبون الغرباء وأكثرهم عرب، شربهم من نهر غزير، والخمر بها كثير والتجارات حسنة والنعم ظاهرة، والسلاطين عادلة، لا ترى في الأسواق امرأة متجملة ولا أحد يحدثها علانية، ماء مري وعيش هني، وظرف ومروة وفارسية مفهومة، وتجارات مفيدة وأجسام صحيحة، إلا أنها سبخة بليدة ودور ضيقة، وهواء حار يابس، وهم سمر وسود..... ودراهم الملتان على عمل دراهم الفاطمي وينفق فيها القنهري..".

وقد تم قتل (حسنك) [٣٥] وزير محمود الغزنوي على يد الأمير مسعود الغزنوي لاتهامه بأنه إسماعيلي. وكان الخليفة العباسي قد طلب من محمود أن يعاقب حسنك لأنه تلقى خلعة من الخليفة الفاطمي، لكن محمود رد عليه بأنه ليس لديه أسباب للشك به. وعندما مات محمود ووصل للعرش مسعود عدو حسنك تم ترضية الخليفة العباسي وتنفيذ طلبه [٣٦].

---

[٣٤] المقدسي، مرجع سابق، ص٤٨١-٤٨٢. وقد حرصت على نقل نص المقدسي الأصلي لأن الكاتب لديه بعض الأخطاء في ترجمته، ومنها على سبيل المثال أنه ذكر أن ملتان أصغر من المنصورة (المترجم)

[٣٥] هو أحمد حسين بن ميكال حسنك وزير محمود الغزنوي، كان له مكانة كبيرة عند هذا السلطان ففوضه تفويض مطلق في إدارة شئون الدولة، لكنه اصطدم بالأمير مسعود مما كان له آثاراً سلبية على مستقبله وحياته كلها بعد ذلك. ولمزيد عنه انظر: أحمد الجوارنة، طبيعة الوزارة في عهد الدولة الغزنوية ٣٨٨-٤٣٢هـ/٩٩٨-١٠٤٠م، مجلة أبحاث اليرموك (سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية)، مج ١٠، ع٣، ١٩٩٤، ص٥٦-٥٧. (المترجم)

[٣٦] البيهقي (ت. ٣٧٠هـ/١٠٧٧م)، تاريخ سبكتكين، تهران ١٣٢٧هـ، ص١٨٣-١٨٧؛ ترجمة اليوت وداوسون في، تاريخ الهند، ج٢، ص٩٣-١٠٠.

والاضطهاد الذي تعرض له الإسماعيلية على يد محمود الغزنوي تم تسجيله بواسطة البغدادي (ت.٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، المتخصص في الكتابة عن الفرق، حيث ذكر أن محمود قتل الآلاف من إسماعيلية مُلتان [٣٧].

وقد ظل الإسماعيلية متواجدون بمُلتان، رغم الاعتداءات القوية من محمود الغزنوي إلى عام ٥٧١هـ/١١٧٥م. وفقاً للجوزجاني (ت.٦٥٠هـ)، فإن السلطان معز الدين الغوري [٣٨] استعاد مُلتان مرة أخرى من أيدي القرامطة[٣٩]. ونفس المؤلف أخبرنا أنه بعد ذلك في عام ٦٣٤هـ/١٢٣٦م، خلال عهد السلطانة رضية[٤٠]، تجمع الإسماعيلية بأعداد كبيرة مع أسلحتهم من كل أنحاء شبه القارة الهندية خاصة من كجرات والسند ودهلي وضفاف نهرى جمنا والگانگ، تحت قيادة رجل يدعى نور ترك، وهاجموا المسجد الجامع في العاصمة، لكنهم هزموا على أيدي المسلمين[٤١].

---

[٣٧] الفرق بين الفرق، ط. القاهرة، ص٢٧٧؛ وانظر أيضاً: برنارد لويس، ملاحظة على الإسماعيلية، نشرة مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية (***BSOAS***)، ع١٢، ١٩٤٨، ص٦٠٠.

[٣٨] هو السلطان شهاب الدين محمد الغوري (٥٤٣-٦٠٢هـ/١١٤٨-١٢٠٥م) مؤسس الدولة الغورية التي قامت على أنقاض الدولة الغزنوية ولمزيد عنه انظر: طارق بن فتحي سلطان، مجاهد شهاب الدين ابو المظفر محمد بن سام الغوري ودوره في فتوح شبه القارة الهندية، مجلة جامعة أم القرى (السعودية)، ع٣٣، ٢٠٠٥، ص٢٥١-٢٩٧. (المترجم)

[٣٩] طبقات ناصري، كلكتا ١٨٦٤، ص ١١٦، ١٨٩؛ وانظر ترجمته عند اليوت وداوسون، مرجع سابق، ص٢٩٣.

[٤٠] هي إحدى حكام سلطنة دلهي، حكمت لمدة ثلاثة سنوات(٦٣٤-٦٣٧هـ/١٢٣٧-١٢٤٠م) بين مؤيد ومعارض لحكم النساء حتى قتلت وخلفها أخوها في الحكم، ولمزيد عنها انظر: فخر الدين الحسيني: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بنزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج١، بيروت ١٩٩٩، ص٩٩؛ مختار العبادي، دولة سلاطين المماليك الأتراك في الهند وأوجه الشبة بينها وبين دولة المماليك الأولى في مصر، المجلة التاريخية المصرية، مجلد ١٢، ١٩٦٥، ص١٢٣؛ جمال فوزي محمد، السلطانة رضية أول امرأة تحكم في الهند في العصر الإسلامي، بحث ضمن مؤتمر (دور المرأة السياسي والحضاري عبر العصور)، القاهرة ٢٠٠٢، ص١٩٧-٢١١. (المترجم)

[٤١] نفسه (ترجمة اليوت وداوسون)، ص٣٣٥-٣٣٦؛ وانظر أيضا: ديفرميري، مرجع سابق، ص٣٨٣-٣٨٤.

(ب) المنصورة

بعد أن جمعنا المصادر المتاحة حول علاقة الإسماعيلية بمدينة مُلتان سوف نرجع لفترة مبكرة لنراجع التأثير الإسماعيلي على المنصورة.

بنيت المنصورة على يد عمرو بن محمد بن القاسم خلال العصر الأموي خلال الفترة من ١١٠هـ إلى ١٢٠هـ لتكون ملاذاً آمناً للمجتمع العربي في السند[٤٢]. وفقاً للبلاذري [٤٣]، انتزع عمرو بن القاسم بهمناباد (والتي تعرف ايضاً باسم برهمناباد) من حاكمها الحكم بن عوانة، وعلى بعد فرسخين منها بنى مدينة المنصورة، والتي عرفت بعد ذلك باسم بهمناباد. وقد أكد ذلك كل من الاصطخري[٤٤] وابن حوقل[٤٥]. كانت هذه المدينة تقع على ضفاف نهر الاندوس، وطبقا للحفائر التي تمت بواسطة قسم الآثار القديمة خلال الفترة من ١٩٢٠-١٩٢٢ في منطقة دهلور الحالية، على بعد ٨ أميال في الجنوب الشرقي

---

[٤٢] عندما تولى الحكم بن عوانة مقاليد الجيوش الإسلامية فى الهند عام ١١٢هـ/٧٢٧م كان معظم أهلها قد ارتدوا عن الإسلام، ولم يعودوا يجدون مكاناً مناسباً في البيئة الهندية، لذلك قرر الحكم بناء مدينة جديدة لتكون حاضرة للمسلمين فى السند، وقام بالفعل ببنائها على الشاطئ الشرقى لنهر الاندوس وأسماها المحفوظة، ويظهر من بناء هذه المدينة وما يوحى به اسمها الموقف الحرج للمسلمين هناك. لكن يبدوا أن المحفوظة لم تتمكن من الصمود وحدها أمام ضغط السكان المحليين من الناحية الغربية لنهر مهران، لذلك أمر عمرو بن القاسم ببناء مدينة حصينة أخري على تلك الضفة من النهر وأطلق عليها اسم المنصورة. انظر: عبد المنعم النمر، الإسلام فى الهند، القاهرة ١٩٥٩، ص ٧٧؛ عصام الدين عبد الرؤوف، بلاد الهند فى العصر الإسلامى القاهرة ١٩٩٦، ص١٥؛ محمد نصر، الوجود العربي في الهند، ص٣٥. (المترجم)

[٤٣] البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٤٤. وقد جانب الصواب المؤلف هنا في استنتاجه لنص البلاذري لأن الأخير لم يذكر ذلك بل ذكر أن عمرو كان مقرباً من الحكم وأمره ببناء المدينة وهذا هو نص البلاذري الذي اعتمد عليه المؤلف: " وكان عمرو بن محمد بن القاسم مع الحكم، وكان يفوض إليه ويقلده جسيم أموره وأعماله، فأغزاه من المنصورة فلما قدم عليه وقد ظفر، أمره فبنى دون البحيرة مدينة وسماها المنصورة". (المترجم)

[٤٤] ص٢٧٢.

[٤٥] ص٢٢٦.

لشهدادبور، شرق قناة جمدا. وقد ذكر مؤلف كتاب مجمل التواريخ [٤٦] أن مدينة بهمناباد تقع في منطقة بودهيه في السند، وأن الذي بناها هو الملك الفارسي بهمن أردشير عندما فتح تلك المنطقة. وبفضل موقعها الجغرافي الجيد أصبحت المنصورة عاصمة للعرب في السند [٤٧].

وقد أسس عمر بن عبد العزيز في مدينة المنصورة دولة عربية حاكمة هي الدولة الهبارية القرشية عام ٢٤٠هـ، وذلك في عهد الخليفة العباسي المتوكل[٤٨]. وعندما منح الخليفة المعتمد حكم السند ليعقوب الصفار أصبحت الدولة الهبارية مستقلة [٤٩]. وكانت دولة سنية ولذلك كانت الخطبة فيها للعباسيين،

---

[٤٦] ط. إيران ص١١٧-١١٨.

[٤٧] ترجع هذه الحقائق إلى بلوتش في تحليله النقدي للجغرافية العربية في تحقيقة لكتاب چچنامه، انظر: بلوتش، چچنامه (الترجمة السندية، ١٩٥٤)، ملاحظات ص٣٩٧-٤٠٠. وفيما يخص العملات والميداليات الخاصة بحكام المنصورة العرب انظر: توماس، مقالات عن آثار السند القديمة.

[٤٨] أسسها زعيم القبائل القيسية في السند عمر بن عبد العزيز الهبارى، الذى يرجع نسبه لهبار بن الأسود أحد صحابة رسول الله (ص) ؛ ولم تكن الأسرة الهبارية حديثة العهد بالسند، إذ ترجع جذورها في الولاية إلى بدايات القرن الثاني الهجري، حين وفد على السند أحد أحفاد هبار ويدعى المنذر بن الزبير، منضوياً بخدماته تحت تصرف والى السند الجديد الحكم بن عوانة عام ١١٢هـ / ٧٣٠م. وخلال الربع الأول من القرن الثالث الهجري، استغل عمر انحياز الوالى العباسى عمران بن موسى للقبائل اليمنية، وتزعم القيسية في ثورة كبيرة ضد الأخير ونجح فى قتله والاستيلاء على مقاليد الولاية. لكن الدولة العباسية لم تقف ساكنة أمام تلك الأحداث، وعجلت بحملة سريعة أعادت الأمور إلى نصابها، ويبدو أن سطوة عمر كانت كبيرة مما اضطر الوالى العباسى لغض الطرف عن عقابه. ورغم تلك الهزيمة لم تلن عزيمة عمر واستطاع أن يقلب القبائل ضد الوالى الجديد حتى قتلوه عام ٢٤٠ هـ / ٨٥٤م. ويعد هذا العام هو البداية الحقيقية لتلك الإمارة المستقلة، إذ بسط عمر سلطانه على الولاية، ثم أرسل للمتوكل يطلعه على تلك الحقيقة، وأمام ضعف الأخير وقلة حيلته اضطر للاعتراف به حاكماً شرعياً على السند. انظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٤٩٠؛ محمد نصر، الوجود العربي في الهند، ص٨٥-٨٦ (المترجم)

[٤٩] ربما أراد المؤلف هنا أن يوحي لنا أن الإمارة الهبارية رفضت التبعية للصفاريين رغم مرسوم الخلافة، لكن الواقع أن الإمارة حرصت على التودد لهم وقام عمر الهباري بإرسال الهدايا والتودد ليعقوب الصفار. انظر: مجهول، تاريخ سيستان، ص ٢٣١. (المترجم)

وبالطبع كان ولائهم للخلفاء العباسيين. وإبان عصر هذه الدولة استقر عدد كبير من العلويين في المنصورة وحققوا لأنفسهم أهمية بالغة [٥٠]. وخلال عصر ابن حوقل والمقدسي نمت المنصورة وأصبحت دولة كبيرة تضم معظم مناطق السند وتشمل عدد كبير من المدن الهامة مثل ديبل [٥١]. وقد أطلق المقدسي على المنصورة لقب عاصمة السند [٥٢].

وعندما زار المقدسي المنصورة عام ٣٧٥هـ كانت المدينة تخضع لحكم السُنة. وقد ذكر ابن خلدون أن محمود الغزنوي أستولى على المنصورة من الهباريين عام ٤١٦هـ [٥٣]، لكن ابن الأثير يذكر أن محمود الغزنوي أثناء عودته من فتح سومنات اتجه للمنصورة وانتزعها من أميرها الذي ارتد عن الإسلام [٥٤]. وقد ذكر لنا اسم الأمير الهباري شاعر معاصر له وهو الفروخي، حيث ذكره في إحدى قصائده [٥٥] باسم (خفيف). والذي لا ينبغي أن نخلط بينه وبين حاكم لاحق من أسرة سومرا حمل نفس الاسم. ويمكننا بذلك أن نستنتج أن آخر حكام الأسرة الهبارية السنية قد تحول من المذهب السني للمذهب الإسماعيلي [٥٦] بين عامي ٣٧٥هـ و٤١٦هـ.

وقد لاحظنا سابقاً أن عدداً كبيراً من العلويين استقر في المنصورة، وأن الدعوة الإسماعيلية انتشرت في السند، ومن المرجح أن المنصورة أصبحت مركزاً لنشاط الإسماعيلية. وفي الوقت الذي طردوا فيه من ملتان على يد محمود

---

[٥٠] مروج الذهب، ج١، ص٣٧٧.

[٥١] من أهم موانئ السند، وهى مشتقة من الكلمة السنسكريتية Delvalaia وتعنى مقام الآلهة وتقع الآن بالقرب من مدينة كراتشي وتعرف أطلالها باسم بانبهور وللمزيد عنها انظر: الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص ١٦٧؛ إبراهيم البلوشي، ميناء ديبل عند الفتح الإسلامي، مجلة التاريخ العربي، العدد الثالث، ١٩٩٧، ص١١١ – ١٢٩. (المترجم)

[٥٢] أحسن التقاسيم، ص٤٧٩.

[٥٣] تاريخ ابن خلدون، الطبعة المصرية، ج٢، ص٣٢٧.

[٥٤] ط. ليدن، ج٩، ص٢٤٣.

[٥٥] ناظم، محمود الغزنوي، ص١٢٠.

[٥٦] كان التحول للمذهب الإسماعيلي في رأي ابن الأثير يعتبر خروجاً على الإسلام.

الغزنوي عام ٤٠١هـ، ربما تركزوا في المنصورة بسبب موقعها الجغرافي المميز الذي يسهل الدفاع عنها. وربما ركزوا كل جهدهم للتأثير على آخر الحكام الهباريين وحولوهم للمذهب الإسماعيلي. وكان الهباريون مثلهم مثل الإسماعيلية معرضين بشكل كبير لخطر غزو الغزنويين.

وهكذا مثل ملتان، صارت المنصورة مملكة إسماعيلية سوف تنتهي في القريب على يد العدو اللدود للإسماعيلية محمود الغزنوي. ووفقاً لما ناقشناه سابقاً، فإن الحكم الإسماعيلي للمنصورة استمر في الفترة من ٤٠١-٤١٦هـ، أي ١٥ عاماً. ومع ذلك لم تنته الإسماعيلية، بل ظلت باقية وزادت قوة بعد أن اعتنقتها أسرة أخرى وهي أسرة السومرا.

السومرا

استطاع محمود الغزنوي فتح السند بالكامل وضمها للإمبراطورية الغزنوية عام ٤٢١هـ. واستمرت كذلك في عهد ابنه مسعود وابنه عبد الرشيد (ت.٤٤٤هـ). لكن الغزنويين ضعفوا بعد ذلك، وانتزع منهم الغوريون [٥٧] دلهي وما يحيط بها من مدن، واستقلت السند عنهم تحت حكم السومرا.

وفي عام ٤٢٥هـ/١٠٣٣م كتب الزعيم الدرزي الشهير المقتنى [٥٨] رسالة إلى الشيخ سومر راجيبال يدعوه لاعتناق المذهب الدرزي [٥٩]. وقد أخبرنا مير معصوم[٦٠] أنه في عهد عبد الرشيد بن السلطان مسعود حوالي عام ٤٤٣هـ/

---

[٥٧] مقتنى، رسالات الهند، (المتحف البريطاني، رقم MS. Add 11561)، ورقة ٣٦؛ وانظر أيضاً: برنارد لويس، مرجع سابق، ص٦٠٠.

[٥٨] هو بهاء الدين ابي الحسن علي بن محمد المعروف بالمقتنى (ت.٤٢٦هـ/١٠٣٤م)، ويعد من مؤسسي المذهب الدرزي، كما كتب عديد من الرسائل فيه، وكان يشغل مرتبة الجناح الأيسر أي كان لسان الدعوة. لمزيد عنه انظر: محمد كامل حسين، طائفة الدروز: تاريخها وعقائدها، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٢، ص٨٣. (المترجم)

[٥٩] الدروز هم فرقة شيعية، وينتسبون إلى ابي عبد الله بن إسماعيل الدرزي، وقد ظهر في عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ووافقه على دعواه بالألوهية ودعا الناس لعبادته. وأدعى أن الإله حل في علي بن أبي طالب وأن روح علي انتقلت إلى أولاده حتى انتقلت إلى الحاكم بأمر الله. ولمزيد عن هذه الطائفة انظر: محمد كامل حسين، طائفة الدروز، ص٦٢ وما بعدها.

[٦٠] تاريخي سند، ط بومباي ١٩٣٨، ص٦٠.

١٠٥١م ثار رجال قبيلة سومرا ضد الحكم الغزنوي، ووضعوا على عرش السند رجل يسمى سومرا. ويبدو لنا أن هذا الرجل هو الشيخ سومر راجيبال، ومن الواضح من خلال رسالة المقتنى أن الشيخ كان له الكثير من الأتباع، وربما شجعه ذلك على الثورة وتأسيس مملكة مستقلة.

والسومراس قبيلة هندية سندية محلية تحولت للإسلام في فترة الفتح العربي الأول [٦١]. وقد تصاهروا بصورة كبيرة مع العرب الذين استقروا في السند، ونتج عن ذلك أن أصبحت أسمائهم مزيج من الهندية والعربية. وظلوا يحتفظون بكثير من عاداتهم الهندية القديمة حتى بعد اعتناقهم الإسلام، مثل تناولهم لوجبات الطعام دون أن يتشاركوها مع أي غريب [٦٢]. وقد ارتبطوا بعلاقات مصاهرة مع ملاك الأراضي من العرب المستقرين في السند، وقد أكسبهم ذلك قوة وتأثير عظيمين [٦٣]. وقد عاشوا على ضفاف نهر الأندوس في مدينة جناني الجميلة والكبيرة (لا يمكن معرفة مكانها الآن) وفي سيهوان [٦٤].

وقد افترض العلامة المحدث مولانا سليمان الندوي، أن المذهب الإسماعيلي كان مذهب السومرا، على أساس رسالة الدروز التي ذكرناها سابقاً. ولا يمكن أن يكون السومرا ينتمون لطائفة الدروز المنشقة عن الإسماعيلية، لأنه في هذه الحالة ما كان الكاتب الدرزي قد أرسل للشيخ سومر راجيبال يدعوه للمذهب الدرزي.

ويبدو أن السومرا كانوا ينتمون، مثل إخوتهم في ملتان والمنصورة، للدعوة الإسماعيلية الرسمية التي كانت تنظم في ذلك الوقت نيابة عن الخلفاء الفاطميين في مصر، الإمامان الظاهر والمستنصر. ولم تفرض حركة القرامطة المنشقة عن الإسماعيلية سيطرتها على السند، على الرغم من أن المؤرخين السُنة، كما لاحظنا سابقا، عندما يشيرون للدعوة الرسمية للإسماعيلية يدعونهم عادة بشكل خاطئ

---

[٦١] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ط القاهرة، ج٢، ص٤-٦.

[٦٢] المصدر نفسه.

[٦٣] معصومي، تاريخي سند، ضمن كتاب اليوت، تاريخ الهند، ج١، ص٢١٥.

[٦٤] ابن بطوطة، المصدر نفسه؛ الندوي، المرجع نفسه، ص٣٥٩-٣٦١. داود پوته (ملاحظات على تاريخي معصومي، ص٢٨٩). وعلى مسئولية تاريخي مباركشاهي (ص٤٣) تقع جناني على بعد ٣ أميال من سيهوان على طول نهر الأندوس باتجاه البحر، بالقرب من ثاتا.

بالقرامطة. وسوف نضيف لاحقاً بضعة أسطر عن الاتجاه النزاري في المذهب الإسماعيلي والذي تطور لاحقاً وأثر في شمال الهند. وقد وصلت الرسالة الموجهة للشيخ راجيبال للشاب داود سليل آخر الحكام الإسماعيلية لملتان، وكان أبو الفتوح وشعبه من المؤمنين بالمذهب الإسماعيلي.

وقد جمع الكاتب الحالي، مولوي عبيد الله شائق سومرا، في كتابه المكتوب باللغة السندية، الذي صدر عام ١٩٢٩ ويحمل عنوان " الدولة العلوية" أو "حكومة السومرا"، قائمة بحكام السومرا من جداول الأنساب مع ألقاب عربية خيالية منحت لهؤلاء الحكام وقصص رائعة ارتبطت بهم. وقد لا تبدو هذه القصص حقيقية من الناحية التاريخية، لكن هناك شيء واحد يبدو واضحاً لنا، وهو أن أسرة السومرا اعتبروا أنفسهم علويين، وعلى الأرجح أنهم اعتنقوا المذهب الشيعي[٦٥].

وقد أعطانا كتاب تحفة الكرام [٦٦] قائمة بحكام دولة السومرا مع عدد السنوات التي حكموها. وهذه نسخة منها:

١- سومرا	حكم لفترة طويلة (؟)
٢- بونجر ين سومرا الأول	حكم لمدة ١٥ عاماً
٣- دودا الأول بن بونجر	حكم لمدة ٢٤ عاماً
٤- سنغار	حكم لمدة ١٥ عاماً
٥- حفيف (خفيف)	حكم لمدة ٣٣ عاماً
٦- عمر (أو أونر)	حكم لمدة ٤٠ عاماً
٧- دودا الثاني	حكم لمدة ١٤ عاماً
٨- باثو	حكم لمدة ٣٣ عاماً

[٦٥] من الملاحظات غير المنشورة لدكتور داودبوتا. انظر أيضاً ملاحظته في إصداره لكتاب مير معصوم، ص٢٨٩.

[٦٦] مستخلص في كتاب اليوت وداوسن، تاريخ الهند، ص٣٤٣؛ الندوي، مرجع سابق؛ وقد قام داود يوته (مرجع سابق، ص٢٨٩-٢٩٠) بمقارنة قوائم حكام سومرا كما وردت في ثلاثة مصادر: تاريخ معصومي، تحفة الكرام، دولتي علوية. وقائمة كتاب تحفة الكرام تبدو الأكثر اكتمالاً، وعلى هذا النحو جعلتها أساس مناقشتنا. وحتى هذه القائمة لم يتم اتباعها بدقة في النص لأنها تتطلب الكثير من الحسابات المتضاربة والمعقدة.

٩- غنرا الأول	حكم لمدة ١٦ عاماً
١٠- محمد تور	حكم لمدة 15 عاماً
١١- غنرا الثاني	حكم لمدة ... عاماً
١٢- دودا الثالث	حكم لمدة ١٤ عاماً
١٣- تائي	حكم لمدة ١٥ عاماً
١٤- چنيسر	حكم لمدة ١٨ عاماً
١٥- بونجر الثاني	حكم لمدة ١٥ عاماً
١٦- خفيف الثاني	حكم لمدة ١٨ عاماً
١٧- دودا الرابع	حكم لمدة ٢٥ عاماً
١٨- عمر سومرا	حكم لمدة ٣٥ عاماً
١٩- بونجر الثالث	حكم لمدة ١٠ أعوام
٢٠- همَير (أمير) الملك الأخير	حكم لمدة ... عاماً
	اجمالي السنوات التي ذكرت صراحة ٣٥٥ سنة + ٦ سنوات لكل من رقم (١١) ورقم (٢٠) = ٣٦١ سنة (ذكرت في كتاب تحفة الكرام) + ٣ سنوات للحاكم الأول = الإجمالي ٣٦٤ عاماً

ونحن نعلم من خلال مؤلف تحفة الكرام والمصادر الأخرى، أن دولة سومرا انتهت بعد عام ٧٥٢هـ بقليل، عندما قام السلطان محمد شاه تغلق بغزو المملكة في عهد آخر حكام الدولة همير (أو أمير). وإذا ما عدنا للورا ٣٦٤ عاماً (وهي فترة حكم الدولة وفق القائمة السابقة)، فذلك يعنى أن حكم هذه الدولة بدأ عام ٣٨٨هـ. لكننا كما رأينا سابقاً أن السومرا وصلوا للسلطة عام ٤٤٣هـ بعد أن هزموا عبد الرشيد بن مسعود بن محمود الغزنوي. لذلك هناك تناقض في فترة ٥٥

عاماً، وهذا التناقض يوضح بشدة حقيقة أن هناك فترات حكم طويلة جداً نسبت لخفيف (رقم ٥)، وأونر (رقم ٦)، وباثو (رقم٨)، وأونر سومرا (رقم ١٨). وعلى ذلك يظهر لنا بوضوح أن السومرا حكموا السند من عام ٤٤٣هـ إلى ما بعد عام ٧٥٢هـ، أي حوالي ٣٠٩ عاماً.

الحاكم الأول في هذه القائمة، كما رأينا سابقاً، هو نفسه الشيخ سومر راجيبال (أو راجا بال) الذي ذُكر في رسالة الدروز. وقد أخبرنا مير معصومي [٦٧] أنه بمساعدة قبيلته أعلن استقلاله عن الغزنويين عام ٤٤٣هـ، ونصب نفسه ملكاً على السند في منطقة تسمى تاري (منطقة ثاتا الحالية). وقد تزوج من ابنة إقطاعي عربي ثري وقوي، وأنجب منها ابنا سماه بونجر، وهو الذي خلفه في حكم السند عام ٤٤٦هـ. وقد ذكر محمد يوسف [٦٨] أنه حكم لمدة ١٥ عاماً وتوفي عام ٤٦١هـ.

وقد قام ابنه وخليفته دودا الأول بفتح المناطق التي تمتد من نصربور (بالقرب من برهمناباد–المنصورة) إلى الحدود الشرقية للسند. وعند وفاته أصبح ابنه سنغار ملكاً، ولكن لأنه كان ما يزال طفلاً، فقد تولى الحكم نيابة عنه اخته الكبرى تاري [٦٩]. وقد رأى مولوي أبو ظفر في كتابه تاريخ سنده [٧٠] أن تاري هي نفسها تائي (الحاكم رقم ١٣ من قائمتنا السابقة). وأن اسمها كتب بطريقة خاطئة في القائمة. وهذا الرأي لا يبدو مقبولاً؛ لأن سنغار وتائي بينهما ٨ حكام آخرين في القائمة. على الجانب الآخر، لو كان تخمين مولوي أبو ظفر صحيحاً، وتم حذف ١٥ عاماً من حكم تائي، فإن ذلك يقلل إلى حد كبير التناقض الموجود في القائمة السابقة. وقد كان سنغار أيضاً حاكماً جريئاً مثل أبيه، وقام بتوسيع حدود مملكته باتجاه الغرب لتشمل مكران [٧١]، ونانكنائي وفقاً لتحفة الكرام، وهلا كندي وفقاً لمير معصوم.

---

[٦٧] تاريخي سند، ضمن كتاب اليوت، تاريخ الهند، ج١، ص٣١٥.

[٦٨] مؤلف كتاب منتخب التواريخ، ونقله علي شير قاني في كتابه تحفة الكرام ضمن كتاب اليوت، تاريخ الهند، ج١، ص٣٤٤.

[٦٩] تحفة الكرام، ط بومباي، ج٣، ص٣٥.

[٧٠] نشر في أعظمگره، الهند ١٩٤٧، باللغة الأردية، ص٢٩١.

[٧١] تحفة الكرام، المصدر نفسه.

وقد أضاف مؤلف كتاب تحفة الكرام أيضاً أن سنغار لم يكن له ولد، ولذلك قامت زوجته هيمو، والتي احتلت قلعة أدك، بتعيين أخويها لحكم كل من تور وثري، وحكموا السند سوياً [٧٢]. وإذا اعتبرنا أن الحاكمان التاليان في قائمتنا: خفيف (رقم ٦)، وأونر (رقم ٧) هما أخوي زوجة سنغار، فإن مدة حكمهما الطويلة (٣٣ و٤٠ عاماً) يمكن أن تكون متزامنة، وبالتالي يقلل ذلك التناقض المذكور في القائمة. وكان الأخوان معاصران للسلطان شهاب الدين معز الدين محمد الغوري، الذي ضم ملتان وأچه عام ٥٧١هـ، واعتدى على أرض السند عام ٥٧٨هـ. وسبق أن كتبنا في الجزء الخاص بملتان سابقاً ملاحظة نقلاً عن الجوزجاني (ت.٦٥٠هـ) أن السلطان محمود الغوري انتزع ملتان من أيدي القرامطة. ومن المحتمل جداً أن الأخوين خفيف وأونر كانا يحكمان ملتان في ذلك الوقت.

وقد أمدنا مؤلف كتاب تحفة الكرام مرة أخرى بمزيد من المعلومات؛ حيث ذكر أن دودا الثاني تقلد زعامة السومرا، وزحف من قلعته في واهكة ضد أخوي هيمو وقتلهما [٧٣]. وقد تجمعت بقايا قبيلة سومرا الحاكمة (والتي هُزمت في ملتان وأچه وأماكن أخرى في السند أمام محمد الغوري) في ديبل واختاروا دودا الثاني حاكماً لهم [٧٤]. ولذلك تبدلت عاصمة السومرا من تاري إلى ديبل، لكن محمد الغوري احتل ديبل عام ٥٧٨هـ واجتاح السند. ويبدو أن حكام السومرا دودا الثاني وخليفته باثو (ربما هو مسمى بوتو في الوقت الحالي) كانا متواجدين في إمارات ضعيفة في مكان آخر في السند. وخلال عهد الحاكم التالي غنرا الأول[٧٥]، أصبح حكم السومرا محصوراً في ثاتا (على بعد ٦٠ ميل تقريبا من كراتشي الحالية).

وقد أخبرنا فرشته [٧٦]، أنه خلال عهد السلطان المملوكي شمس الدين التمش (٦٠٧-٦٣٣هـ) هرب جلال الدين محمد خوارزمشاه من جنكيزخان واتجه

---

[٧٢] المصدر نفسه.

[٧٣] المصدر نفسه.

[٧٤] المصدر نفسه.

[٧٥] خيرا عند تاريخي معصومي، ص٦١.

[٧٦] فرشته، تاريخ فرشته، (ط. نوال كيشور)، ج٢، ص٣١٤.

إلى لاهور، لكنه هزم على يد شمس الدين أيبك. لذلك اندفع نحو السند واحتل ثاتا مقر حكم السومرا. وذكر فرشته أن ملك السومرا كان اسمه جلسي، لكن من الممكن أن يكون هو غنرا الأول المذكور أعلاه. ومن الممكن أن يكون أيضاً الملك سنان الدين چنيسر والي السند وديبل [٧٧]، الذي هرب من ديبل في عام ٦٢١هـ، واستسلم بعد أربع سنوات (عام ٦٢٥هـ) إلى نظام الملك الجنيدي[٧٨] واصطحبه إلى بلاط التمش في دلهي [٧٩].

قام خوارزم شاه بنهب وتدمير ثاتا، وأُجبر السومرا على الخروج منها مرة أخرى. وفي ظل حكم قائدهم التالي محمد تور اندفعوا نحو الصحراء ووصلوا على مكان على نهر الأندوس حيث استقروا هناك. وقد أطلقوا على المكان اسم " محمد تور" نسبة إلى قائدهم، وكان يسمى أحياناً " مهاتم تور"[٨٠]. ويقع في مقاطعة درك والتي تعرف الآن باسم چچنام [٨١]. وفي هذا المكان خطط محمد تور للحفاظ على بقايا قبيلة سومرا والمذهب الإسماعيلي.

بعد وفاة شمس الدين أيبك قامت حرب أهلية قادت السلطانة رضية إلى عرش دلهي عام ٦٣٤هـ. وقد انتهز الإسماعيلية فرصة هذه الفتنة ليقوموا بثورتهم هناك، خاصة وأن كثيراً ممن اضطهدهم في الماضي خرجوا من هناك. وفي ظل قيادة نور تورك لم يتحرك الإسماعيلية فقط من السند وكجرات، لكن أيضاً من ضفاف نهري الأندوس وجمنا، وتجمعوا في دلهي وهاجموا مسجدها الجامع ليجعلوه مقراً لثورتهم، لكنهم هزموا بعد ذلك من السلطات الحاكمة [٨٢].

---

[٧٧] وفقاً لما جاء في كتاب طبقات ناصري، ص١٢٣.

[٧٨] هو وزير السلطان إلتتمش ولمزيد عنه انظر: الجوزجاني، طبقات ناصري، ص١٨٦ وما بعدها. (المترجم)

[٧٩] داود پوته: فترة مظلمة في تاريخ السند، ورقة ألقيت في مؤتمر تاريخ باكستان، بيشاور ١٩٥٣.

[٨٠] فرشته، تاريخ فرشته، ج٢، ص٣١٤.

[٨١] الندوي، مرجع سابق، ص٣٦٦.

[٨٢] الجوزجاني، طبقات ناصري، ط. كلكتا ١٨٦٤، ص١١٦، ١٨٩؛ وانظر نفس الملاحظة التي ذكرناها سابقاً في الجزء الخاص بملتان.

وهنا نواجه هذا السؤال: هل نور تورك هو نفسه محمد تور؟ يمكننا أن نقبل هذا الافتراض لأن السومرا كانوا المجتمع الإسماعيلي الوحيد المؤثر في السند، وكان إسماعيلية السند هم القوة الرئيسية التي ثارت في دلهي تحت زعامة نور تورك. يضاف لذلك، أن السومرا وحدهم كانوا يستطيعون استدعاء جيرانهم من إسماعيلية كجرات لمساعدتهم، وكان السومرا يعانون كثيراً في الماضي على أيدي حكام دلهي. لذلك يمكننا أن نقول ان الأسماء المتزامنة محمد تور (السومرا) ونور ترك (دلهي) هما لنفس الشخص.

لا تحتوي كل معلوماتنا عن خلفاء محمد تور في المصادر الفارسية إلا على قصص خرافية غير متصلة تخلو من أي تسلسل زمني أو سياق تاريخي. والشيء الوحيد المؤكد أن السومرا حاولوا بطريقة ما أن يحتفظوا بدولتهم الصغيرة في تور محمد، رغم أنها في هذا الوقت وللمرة الثانية دُمرت على يد سلاطين دلهي والغزاة المغول.

الحاكم التالي، غنرا الثاني، الذي ربما كان چنيسر الثاني، خُلع من الحكم على يد أخيه غير الشقيق دودا الثالث. وقد طلب الأخير المساعدة من السلطان علاء الدين الخلجي (٦٩٥-٧١٥هـ) فجلب بذلك كارثة على أسرة السومرا. وقد قاوم دودا علاء الدين الخلجي ببسالة، ويذكر داود پوته [٨٣] أن " أفعاله في هذه الحرب غير المتكافئة لا زالت تغنى في القصص والحكايات السندية بفخر كبير".

وقد وجد ابن بطوطة في السند عام ٧٣٤هـ حاكماً باسم وونر. ومن الممكن أن يكون هو عمر (أونر) الحاكم رقم ١٨ في قائمتنا [٨٤]. وهذا العام كان قبل قليل من انتهاء حكم أسرة السومرا. وقد ذكر ابن بطوطة أن السلطان محمد بن تغلق عين على السند حاكماً هندياً اسمه الملك رتن. وبعد ذلك شعر أحد رجال السلطان بالغيرة من رتن فتآمر مع وونر لقتل رتن، وبعد تنفيذ المؤامرة شعر وونر بالخوف من السلطان، ففر هارباً إلى رجال قبيلته، ومات بعدها قليلاً نتيجة إفراطه في تعاطي الخمر [٨٥].

---

[٨٣] مرجع سابق.

[٨٤] الندوي، مرجع سابق، ص٣٧٤.

[٨٥] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج١، ص١٠٥-١٠٨.

حكم السلطان الشهير محمد بن تغلق دلهي في الفترة من عام ٧٢٤هـ إلى عام ٧٥٢هـ. وخلال العام الأخير من حكمه واجه مملكة السومرا، والتي ظهرت مرة أخرى في ثاتا. وكان يعمل في خدمة السلطان مغولي يسمى تغي، وقد أرسله السلطان إلى گجرات، لكنه ثار هناك واستقل بها. وعندما هاجمه السلطان لجأ إلى ثاتا عاصمة السومرا. وأعقب ذلك قيام السلطان بغزو مدينة ثاتا، وقد درات وقائع معركة طويلة بالقرب من ثاتا بين السومرا والمغول من جهة وقوات السلطان محمد بن تغلق من جهة أخرى، لكنها لم تحسم الوضع، حيث مرض السلطان وتوفي، وبعد اختيار فيروز شاه ليخلفه في الحكم، قرر الجيش الانسحاب من ثاتا في ٢١ محرم عام ٧٥٢هـ.

وعندما عاد فيروز شاه إلى ثاتا بعد مرور ١٠ سنوات عام ٧٦٢هـ وجد أن من يحكمها هو جام أنر، أول حاكم من أسرة سمًا السُنية. ويبدو أن هذه الأسرة هزمت وطردت السومرا الإسماعيلية في الفترة بين عامي ٧٥٢-٧٦٢هـ، ومن ذلك التاريخ وما بعده لم نعد نسمع عن السومرا [٨٦]. وتوجد حالياً في السند أسرة ذات شهرة ونفوذ تدعى سومرو، ربما كانت من سلالة السومرا القديمة.

وكما لاحظنا سابقاً أن السومرا كانوا إسماعيلية، لكن يظل السؤال حول أي فرع من فروع المذهب الإسماعيلي انتمى له السومرا. ولاحظنا أيضاً أنهم لم يكونوا من فرعي الإسماعيلية: القرامطة أو الدروز. وكان حكام السومرا ينتمون بالقطع للدعوة الإسماعيلية الفاطمية الرسمية. لكن الدعوة الفاطمية نفسها بعد وفاة الإمام المستنصر في القاهرة عام ٤٨٧هـ انقسمت إلى قسمين: القسم الأول وهو الدعوة المستعلية ومقرها في اليمن ثم انتقلت بعد ذلك إلى ساحل گجرات بالهند. والقسم الثاني الدعوة الإسماعيلية النزارية والتي كان مقرها في ألموت في فارس

---

[٨٦] عن ظهور بني سامة انظر: مقال رياض الإسلام، ظهور السمًا في السند في الثقافة الإسلامية، ١٩٨٤. وقد اتفق مع ابن بطوطة في أن وونر كان من السومرا. بينما يرى داود پوته، مرجع سابق، أنه كان جام أنر أول حاكم للسمًا. ووفقاً له، فإن وونر، رغم أنه من الساميين، كان زعيماً مشتركا للسومرا والسمًا، وكان وصي على همير الابن القاصر لأرميل حاكم السومرا قبل الأخير، والذي تم اغتياله.

ورأى رياض الإسلام أن سياسة دلهي بعد عام ٧٥٢هـ كانت دعم السومرا الأواخر كقوة متوازنة ضد الساميين الجدد، والذي أدى ظهورهم لقيام دلهي بإرسال حملة ضدهم عام ٧٦٢هـ بقيادة فيروز شاه. مرجع سابق، ص٣٦٥-٣٦٨.

بزعامة القائد الشهير الحسن بن الصباح، الذي تبنى اتجاه الإمام نزار بن المستنصر وأبنائه. والسؤال الآن هو أي من هاتين الدعوتين انتمى لها السومرا الأواخر، من سنغار (رقم ٤ في قائمتنا) وما بعده. أو بتعبير آخر، ماهي الدعوة التي تأثروا بها: اليمن أو إسماعيلية فارس؟

وقد تحكمت الدعوة المستعلية في اليمن في معتنقي مذهبها من أهل گجرات من عام ٤٦٠هـ إلى عام ٩٤٤هـ، عندما حولت مقرها إلى گجرات نفسها. وخلال تلك الفترة مارس اليمنيون نفوذهم العربي بشكل كامل، وقد وجدنا في دعوتهم في گجرات أشخاص بأسماء عربية، وأدب كتب بشكل أساسي باللغة العربية. وقد أهُملت التقاليد الهندية المحلية وبدأت عمليات التعريب بشكل عميق. لكن في حالة السومرا، فيما عدا أسمائهم العربية المتوارثة (البعض منهم)، نجد تأثيراً كبيراً للثقافة الهندية. وهذا يثبت أن الدعوة المستعلية كان تأثيرها ضعيفاً عليهم. لذلك فليس ثمة احتمال لوجود علاقات بين السومرا والمستعلية، خاصة في غياب أي دليل يثبت عكس ذلك.

والآن دعنا نتناول المذهب النزاري الإسماعيلي في فارس. تم إرسال أحد الدعاة من فارس إلى گجرات في عهد الإمام نزار وابنه الإمام الهادي والداعي الحسن بن الصباح. وكان اسمه ست جُرنور، ولا تزال مقبرته قائمة في نفساري. كما تم إرسال داعٍ آخر إلى الهند يسمى بير شمس سبزواري. وقد ظهر الأخير في هيئة الجوگيز[٨٧] الهنود، وقد نسجت حول شخصيته الكثير من الأساطير ذات الطابع الصوفي، والتي أظهرت التقارب الواضح بين حكايات التصوف الفارسية والميثولوجيا الهندية. وقد أكدت الكتابات الإسماعيلية الحديثة أنه قد أرسل إلى ملتان حيث نجح في جذب الكثير من الأتباع. ومن المفترض أنه حول إلى المذهب النزاري الإسماعيلي كثيراً من سكان بدخشان، كشمير وشمال الهند.

وإذا كان هذا النشاط خلال حكم السومرا فيبدو واضحاً أنه كان هناك اتصال بين السومرا والنزارية الإسماعيلية. لكن بير شمس تم إرساله إلى الهند خلال عهد الإمام قاسم شاه (٧١٠-٧٧١هـ)، تقريباً مع نهاية أسرة السومرا. وعلى ذلك فمن الصعب أن نقول إن السومرا كانوا نزارية إسماعيلية. وإذا كان من

---

[٨٧] هي طائفة من الهنود كانت تمارس رياضة اليوجا كجزء من طقوس حياتها اليومية. (المترجم)

المرجح أنهم تأثروا بالنزارية الإسماعيلية لقربهم من فارس، لكن لا يوجد دليل تاريخي يدعم هذا الاتصال.

إذن لأي طائفة من الإسماعيلية كان السومرا ينتمون؟ يتبادر إلى ذهني، أنه بعد انشقاق النزارية المستعلية عن الإسماعيلية عام ٤٨٧هـ، ابتعد السومرا عن كلتا الدعوتين المتنافستين، وهذا الابتعاد عنهما جعل السومرا مستقلين إلى حد كبير. هم فقط حافظوا على مذهب أجدادهم الإسماعيلي الفاطمي دون أن يقدموا ولائهم لأي دعوة خارجه. هم كان لهم نوع خاص بهم من المذهب الإسماعيلي، حفظهم بعيداً عن الإسلام السني الذي جلبه الفاتحون الأتراك وبيئتهم الهندية. ومع ذلك، وأياً كان مذهبهم الإسماعيلي فإنهم ساعدوا الدعوة النزارية في شمال الهند خاصة في عهد بير صدر الدين، الذي توفي بالقرب من أچه عام ٨٧٦هـ/١٤٧١م.

وهكذا انتهى الفصل الأول من بداية المذهب الإسماعيلي في الهند. وكتتمة منطقية للموضوع تمت مناقشة الدعوة المستعلية في غرب الهند، خاصة في گجرات، والدعوة النزارية في شمال الهند.

الصعوبات المبكرة التي واجهتها رضية وصراعاتها مع النبلاء

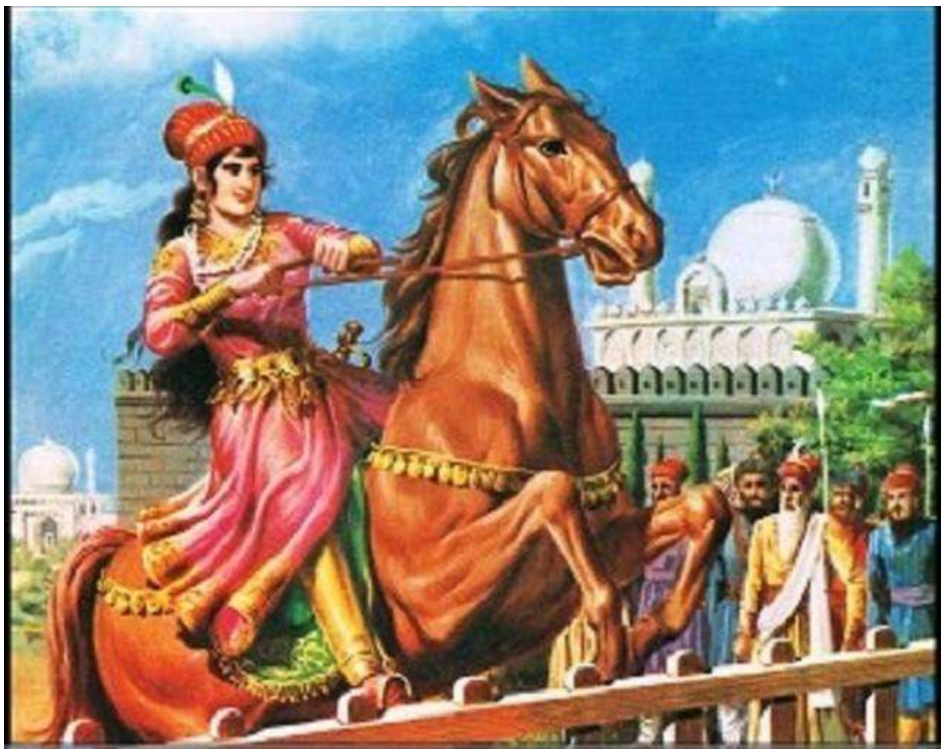

الصعوبات المبكرة التي واجهتها رضية وصراعاتها مع النبلاء[١]

سلكت السلطانة رضية مسلك الحكام الشرقيين منذ أن تم تنصيبها كإمبراطورة للهند في ١٨ ربيع الأول ٦٣٤هـ/١٩ نوفمبر ١٢٣٦م[٢]، حيث اتخذت الألقاب الملكية، وجلست على العرش الإمبراطوري، وسكت العملات، وذُكر اسمها في خطبة الجمعة، وكانت الأوامر الملكية تمهر بختمها[٣]. وليس لدينا تفاصيل عن مراسم تتويجها باستثناء ما أخبرنا به عصامي[٤]. ولم يستطع الناس، كما حدث مع السلطان ركن الدين فيروزشاه، مشاهدة مراسم التتويج على نطاق واسع وفقاً للعادات المتبعة. لكن غياب أي مشهد رائع أو مذهل تم تعويضه بشكل أكبر بالابتهاج العام والإثارة من جراء تتويجها في هذا اليوم التاريخي.

وربما رتبت السلطانة رضية للاحتفال بهذه المناسبة في وقت لاحق على نطاق واسع، لكن الظروف لم تسمح لها بأن تفعل ذلك. فلم يكن مقدراً لها أن تتمتع بحكم سلمي، فبعد وقت قصير من توليها الحكم وجدت نفسها متورطة في دوامة من الصعوبات التي لا يمكن تفسيرها. ويمكن أن نعزو الصعوبات التي واجهتها في البداية إلى اللحظة التي تم فيها إعلانها سلطانة.

وقد ارتقت العرش في الغالب بواسطة جيش السلطنة وسكان دلهي، وقد تم تتويجها في لحظات تشويق كبير ومشاهد صاخبة وحماسة عامة نادرة[٥]. وخلال هذه اللحظات كان معظم كبار النبلاء خارج العاصمة، ومن تبقي منهم في العاصمة لم يتم استشارتهم لأنهم كانوا يؤيدون بشكل أساسي السلطان ركن الدين فيروزشاه وكانوا مترددين في دعم ترشيحها، وقد شعروا بأنه تم تجاهلهم في

---

[١] المقال هو الفصل الخامس من أطروحة دكتوراه بجامعة كلكتا، والعنوان الأصلي للفصل والأطروحة هو:

Raziyyah's early difficulties, and her struggles with nobility, in: Iqbal, Jehan, *Sultan Raziyyah and her predecessors*, (Ph.D. Thiess: Calcutta University, 1976).

[٢] الجوزجاني، طبقات ناصري، ص١٨٤؛ لكن عصامي يعطي تاريخ آخر هو ٦٣٥هـ. انظر: فتوح السلاطين، ص١٢٧.

[٣] يجمع كل الكتاب الفرس على أن رضية كانت سلطانة منتخبة تمتعت بكل الحقوق الملكية التي كانت للحاكم الذكر.

[٤] فتوح السلاطين، ص١٢٧.

[٥] فتوح السلاطين، ص١٢٦-١٢٧.

اختيارها كسلطانة، لذلك غضبوا من ذلك الأمر واعتبروه انتهاكاً لحقوقهم التي تمتعوا بها دون أن يجدوا معارضة جادة لهم.

وقد تم تنظيم اتحاد ضم حكام ولايات هانسي، لاهور، مُلتان، بداون، والذين سبق لهم الثورة ضد السلطان ركن الدين فيروزشاه. وقد رفض هؤلاء علناً الاعتراف بها سلطاناً عليهم، وشرعوا مرة أخرى في اختيار حاكم جديد وفقاً لحقهم الخاص[٦]. وكانت معارضتهم لحكم رضية واضحة جداً، وكان تحفظهم وتعصبهم ضدها لأقصى حد، حيث كانوا مترددين أن تحكمهم ملكة. وكان عذرهم الواهي أن رضية لكونها امرأة لا تستحق شرف أن تكون سلطانهم.

ولا شك أن الآيات القرآنية التالية كانت خير داعم لموقفهم:

١- ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾[٧].

٢- ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾[٨].

٣- ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾[٩].

---

[٦] طبقات ناصري، ص١٨٦. وقد ذكر الجوزجاني أنه بعد أن دانت أمور السلطنة لرضية قام وزيرها الأول نظام الملك جنيدي بالمشاركة مع الملك جاني، الملك كوچي، الملك كبير خان، الملك عز الدين سلاري، بجمع قواتهم جميعاً على أبواب دلهي وجاهروا بعداوتهم لرضية. أما الأسماء التي ذكرها فرشته للمتمردين فهم: نظام الملك جنيدي، علاء الدين شيرخاني، تاريخ فرشته، ص٦٨. وقد تجنب بداوني ذكر أسماء المتمردين، لكن نظام الدين أحمد ذكر أسمائهم: نظام الملك جنيدي، الملك جاني، الملك كوچي ، الملك عز الدين آياز، طبقات أكبري ص٦٦.

[٧] سورة البقرة: الآية ٢٢٨.

[٨] سورة النساء: الأية ٣٤.

[٩] سورة النور: الآية٣١.

٤- ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۚ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[١٠].

٥- ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾[١١].

٦- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾[١٢].

ولاشك أن المعارضين لحكم رضية أخفوا طموحهم السياسي تحت غطاء الآراء الدينية النبيلة، ولا شك أنهم لم يكونوا جاهلين بحقيقة أن النساء المسلمات التركيات في آسيا الوسطى سمح لهن بحياة أكثر حرية، وشاركوا في الحكم كملكات ووصيات على العرش[١٣]. ومع ذلك لم يكونوا مستعدين أن يسمحوا بتلك الحرية لرضية. والتى كانت بطبيعة الحال تمتعت بها في عهد أبيها السلطان شمس الدين إلتتمش. ولأنهم يعلمون جيداً قوتها وقدراتها، وكانوا مقتنعين أنها لن تكون دمية في أيديهم. وكانوا يسعون لإثارة الرأي الشعبي من خلال رفضهم العلني الاعتراف بها باعتبارها ملكاً، ولم يخفوا خطتهم لإبعادها.

ولم يوافق الوزير نظام الملك محمد الجنيدي على اعتلاء رضية للعرش[١٤]. وعندما ترك السلطان ركن الدين فيروزشاه كان دافعه واضحاً تماماً، وكان راضياً عما فعله، فهل لم يستطع أن يقبل الأمر الواقع، ولم يستوعب هذا الحدث الفريد عندما وضعت رضية على العرش بناء على طلب الأمة؟ وليس من السهل شرح الأسباب التي أدت لذلك، فنظام الملك جنيدي كان غاية في الإخلاص للسلطان

---

[١٠] سورة الأحزاب: الآية ٣٢.

[١١] سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

[١٢] سورة الأحزاب: الآية ٥٩.

[١٣] طبقات ناصري، ص٣٢٨؛ تاريخ جهانكشاي، الترجمة الانجليزية، ج٢، ص٤٤٦-٦٥٨؛ نظام التواريخ، ص٧٨، ٨٠. وقد أشارت هذا الأعمال إلى أدوار متعددة للمرأة قبل تولية رضية.

[١٤] طبقات ناصري، ص١٨٦؛ تاريخ مباركشاهي، ص٢٥؛ طبقات أكبري، ص٦٦؛ تاريخ فرشته، ص٦٨. واسمه بالكامل مع اللقب: نظام الملك قوام الدين محمد بن أبي سعد الجنيدي. انظر: مقدمة كتاب لباب الألباب للعوفي. لكن الجوزجاني ذكره باسم: نظام الملك كمال الدين جنيدي. بينما دعاه بداوني في كتابه منتخب التواريخ: نظام الملك جنيدي. أما عصامي في كتابه فتوح السلاطين فلم يذكر هذا الحدث.

إلتتمش ومتفانياً في خدمته طوال فترة عمله معه. ولم يبد أي رد فعل حين اختار إلتتمش انبته رضية لتكون خليفته، ولم يوضح لنا المؤرخون المعاصرون دوافعه في ذلك، لذلك من المفترض أنه كان ضحية نزوات غريبة أصابته في بعض الأحيان، وسقط فريسة سهلة لمكائد الحزبين السياسيين الرئيسيين، الذين كانوا يبحثون عن ذلك الحاكم الذي يكون لعبة في أيديهم. وأياً كانت دوافعه، فإن ولائه لم يكن للسلطانة رضية، رغم معرفته بقوتها وقدراتها. وعندما وجه المتمردون قواتهم شطر رضية مباشرة انضم لهم وقاد القتال ضدها.

وكان وجود نظام الملك في معسكر المتمردين تقوية لموقفهم. وكانت رضية في البداية تراقب تطورات الأحداث بصبر رائع، وكانت تجهز نفسها لتقديم رد مناسب ضد منطقهم الغريب، وعندما استعدت جيداً حاولت أن تدمر قوتهم. وقد اجتمع المتمردون على بوابة العاصمة دلهي متظاهرين بأنهم يقاتلون فقط من أجل فرض قواعد الشريعة[١٥]. لكنها كانت تعرف جيداً أنهم يقاتلون ضدها في الواقع على أسس عاطفية تزدري فكرة أن تحكمهم امرأة. كما كانت تدرك أيضاً أنهم سيحاولون أن يخضعوا مبدأ خلافة الحكم لرغبتهم، وأن اختيار الحاكم يمكن أن يتم فقط بناء على موافقتهم المسبقة.

وخلال الساعات الحرجة، عندما تفشت الاضطرابات والشقاق وتحرك المتمردون معاً صوب العاصمة، ظلت رضية ثابتة ومصممة على قهر أعدائها بكل قوتها وجميع الوسائل. ولقد لقيت تعاوناً كاملاً من سكان دلهي، والذين كانوا عوناً عظيماً للجيش الإمبراطوري، فقد كانوا يخشون نجاح الملوك المتمردين وما سيترتب عليه من القضاء على الحق الذي كانوا يتمتعون به منذ الفترة التي تمت فيها دعوة الملك إلتتمش من بداون ليعتلي العرش. وعلى الفور تمت تقوية دفاعات المدينة، وقدم السكان كل مساعدة ممكنة لمنع احتلال المتمردين للمدينة.

وقد استمر نضال رضية ضد النبلاء لفترة طويلة[١٦]، وبدون أي نتيجة. وعندما رأت نفسها محاطة بالأعداء من كل جانب، مثل ماريا تريزا في النمسا،

---

[١٥] طبقات ناصري، ص١٨٦؛ تاريخ مباركشاهي، ص٢٥؛ طبقات أكبري، ص٦٦. وقد ذكر نظام الدين أحمد أن الثوار اجتمعوا مسبقاً في بلاط رضية. لكن فرشته مرة أخرى ذكر أن الثوار جاءوا من كل جانب واجتمعوا خارج العاصمة، ص٦٨.

[١٦] طبقات ناصري، ص١٨٦؛ تاريخ مباركشاهي، ص٢٥.

بإطلاق نداءات عاجلة للمساعدة. وعلى الفور تحرك ملك نصرت الدين[١٧]، والذي كان حاكماً وقتها لأوده، صوب دلهي على رأس جيشه ليقدم كل ما يمكنه لسلطانته. لكن قبل أن يتمكن من عبور نهر الگنگ انقض عليه الملوك المتمردون وقبضوا عليه، ومات في سجنه بعد فترة قصيرة نتيجة المرض الذي قضى عليه[١٨]. وقد تم أيضاً أسر الملك عز الدين بلبن كشلوخان، لكن سرعان ما أفرج عنه وقوبل من السلطانة رضية بتقدير كبير[١٩].

ويبدو أن الحظ الطيب للسلطانة كان في أدنى درجاته، حيث بدا أن الموقف قد خرج عن سيطرتها، وأثبت جيشها عدم قدرته على مواجهة جيش المتمردين الذي واصل زحفه نحو بوابة مدينة دلهي. وبرغم ذلك لم تفقد رضية

---

[١٧] ويدعوه طبقات أكبري: ملك عز الدين هنسي ص٦٦. وأعطاه فرشته اسم ملك نصر فقط. وكان واحداً من عبيد السلطان محمد الغوري. هو كان تركي ذا مظهر غير جميل، لكن الله حباه بكثير من الفضائل الانسانية. وكان غاية في الرجولة والشجاعة والمهارة في القتال، كما كان ذا عقل راجح. وعندما تولى إلتتمش الحكم اعتمد عليه، فعمل في البداية كمقطع لبعض المناطق مثل جنيد وبرواله ، وبعد فتح قلعة كاليور عينه شحنة عليها على أن تكون مقراً وسكناً له. وفي عام ٦٣١هـ زحف حتى أطراف بلاد كالنجر وهزم ملكها ونهب هذه الولاية، وحصل على مغانك كثيرة منها بحيث بلغ الخمس السلطاني منها حوالي ٢٥ لكاً.وقد عينته السلطانية رضية حاكماً على أوده بعد قمع تمرد غياث الدين بن السلطان إلتتمش. انظر: طبقات ناصري، ص٢٣٩.

[١٨] طبقات ناصري، ص١٨٦؛ تاريخ فرشته، ص٦٨.

[١٩] طبقات ناصري، ص٢٦٨. كان الملك عز الدين كشلوخان (بلبن) من أصل قبجاقي، كان رجلاً شجاعاً وجلداً وطيب السيرة، يعتقد في العلماء والفضلاء وأهل الخير والزهاد. وقد اشتراه السلطان إلتتمش من تاجر بالقرب من قلعة مندور. وقد عمل في البداية ساقياً، فلما قام بخدمة السلطان أسندت له السقاية في كاليور، ثم أقطع برهمون. وبعد موت السلطان إلتتمش كان عز الدين على رأس الثوار أثناء ثورة الأمراء الأتراك في معسكر ركن الدين فيروزشاه، وبعد انقضاء عهد ركن الدين وحدوث عصيان الملك جاني والملك كوچي على باب مدينة دلهي ضد السلطانة رضية والأمراء الأتراك الذين في خدمتها، تم أسر بلبن خلال تلك المعارك ثم نجا ووجد اعزازاً وإكراماً من السلطانة رضية. وبعد أن انطوى عهد رضية وآل العرش للسلطان معز الدين بهرامشاه ظل بلبن مكرماً أيضاً. ولمزيد من التفاصيل عن حياته انظر: طبقات ناصري، ص٢٦٨.

الأمل وبدأت تعتمد على الدبلوماسية أكثر من اعتمادها على الجيش، وما لم تحصل عليه بالحرب المفتوحة حصلت عليه بالتخطيط والدبلوماسية.

وقد قامت رضية بالخروج من العاصمة، وأمرت أن تضرب خيامها على ضفاف نهر جمنا[٢٠]. وكان الصراع بينها وبين المتمردين مستمراً بلا هوادة، ولم يبد أن له نهاية. وأثناء هذا الصراع نجحت رضية في بذر بذور الشقاق بين أعدائها، وتلاعبت ببراعة بالغيرة المتبادلة بينهم، والخلافات، والطموحات الشهصية لكل منهم. ونجحت في أن تكسب إلى صفها الملك عز الدين محمد سلار بداون، والملك عز الدين كبير خان، وحثتهم على القبض على نظام الدين محمد جنيدي والملك جاني والملك سيف الدين كوچي وحبسهم[٢١].

وقامت بعدها بنقل أخبار تلك الاتفاقية السرية للملوك الآخرين مما جعلهم مذعورين ومرتبكين، وأصبحوا لا يثقون في بعضهم البعض، وسعوا إلى تأمين أنفسهم[٢٢]. وقد أرسلت رضية فرسانها لمطاردتهم، وتم حصار الملك كوچي وأخيه فخر الدين وقتلهما[٢٣]. وقد واجه الملك جاني نفس المصير، حيث قبض عليه وقطعت رأسه[٢٤]. أما نظام الملك جنيدي فقد فر إلى بردار، وبعد فترة مات هناك لاجئاً وحيداً[٢٥]. وبذلك تم سحق التمرد الأول تماماً[٢٦]. وأدى النجاح في التصدي له إلى تقوية سلطة وهيبة رضية، وأصبحت تشعر بالأمان على العرش. والأكثر

---

[٢٠] طبقات ناصري، ص١٨٦؛ تاريخ مباركشاهي، ص٢٥. ولم يذكر كل من نظام الدين أحمد وفرشته هذا الحدث.

[٢١] طبقات ناصري، ص١٨٦؛ تاريخ مباركشاهي، ص٢٥. وقد ذكر سرهندي أن اسمهما هو محمد سالري وكنجان، وهما الذان حثتهما رضية على القبض على أتباعهم.

[٢٢] طبقات ناصري، ص١٨٧.

[٢٣] المصدر نفسه.

[٢٤] وقد ذكر الجوزجاني أن الملك جاني قتل بين منطقتي پلول ونكوان، ص١٨٧. بينما ذكر نظام الدين أحمد أنه قتل في منطقة پيل. وذكر فرشته أن الملك عز الدين شيرخاني قتل في منطقة پيل وأرسلت رأسه إلى دلهي، انظر: تاريخ فرشته، ص٦٨.

[٢٥] طبقات ناصري، ص١٨٧؛ تاريخ مباركشاهي، ص٢٥. لكن في طبقات أكبري ص٦٦، وتاريخ فرشته ص٦٨، كان المكان الذي مات فيه نظام الملك هو تل سرمور.

[٢٦] وقد ذكر الجوزجاني والكتاب الآخرون أن رضية قضت على أعدائها عن طريق ما وضعته من خطط مناسبة بجانب دهائها، لكن مؤلف روضة الصفا ذكر أن ذلك تم بعناية الله. انظر: روضة الصفا، ج٤، ص١١٨.

من ذلك أنها كانت محبوبة من عامة الناس[٢٧]. وأصبحت كل الأمة تعرف أنها كانت تستحق أن تكون خليفة لشمس الدين إلتتمش[٢٨].

كان انتصار رضية على الملوك المتمردين واحداً من إنجازاتهاالمبهرة. هي لم تمنع فقط وجود قاعدة سياسية سيئة سوف تجعل العرش تحت وصاية النبلاء، لكنها ايضاً استعادت هيبة السلطان والتي كانت قد قلت في أعين الناس بسبب سلوك السلطان ركن الدين فيروزشاه.

---

[٢٧] فتوح السلاطين، ص١٢٧.

[٢٨] المصدر نفسه.

القضاء والحسبة والشرطة في سلطنة دلهي

القضاء والحسبة والشرطة [١]

القضاء:

كانت وزارة الشؤون الدينية تخضع لسلطة صدر الصدور الذي كان خلال تلك الفترة هو قاضى الممالك وقاضي القضاة [٢]. ومهامه كصدر سوف نناقشها لاحقا، لكن من المهم أولا أن نصف التنظيم القضائي. كان السلطان بوصفه أعلى سلطة منفذة للقانون ورئيساً للدولة يمارس ثلاثة وظائف لتنظيم القضاء في عدة جوانب. كان هو حامى الدين والحَكم في الخلافات بين رعيته، ورأس الجهاز الإداري، والقائد الأعلى لكل القوى الحربية. وكان يمارس الوظيفة الأولى من خلال **ديوان القضاء**، والثانية من خلال **ديوان المظالم**، بينما كان هو نفسه أو قادته العسكريين يشكلون محكمة عسكرية لمحاكمة الثائرين، رغم أنه كان من الضروري أن يحصل على حُكم من رجال قانون مميزين [٣].

وقد أنشأ محمد بن تغلق، الذي أعدم عدداً من الرجال أكثر من أي سلطان هندي آخر، قسماً خاصاً كان يسمى **ديوان السياسة**، كان يتولى محاكمة عدد من الحالات الكبيرة والخاصة التي لم يتمكن القضاة من التعامل معها [٤]. ومن الملاحظ أن محمد تغلق كان لا يحكم على شخص بالموت قبل أن يتناقش مع القضاة. وكان رجال القانون لديهم فرصة أفضل ضد ملك أقل منهم علماً. وكان هذا الديوان يديره نوعان من الموظفين: المفتي، وهو الذي يصدر الحكم،

---

[١] المقال هو الفصل الثامن من كتاب اشتياق قريشي عن الإدارة في سلطنة دلهي، والعنوان الأصلي للفصل والكتاب هو:

Chapter VIII: *Justice, Hisbah, Police*, in: Qureshi, Ishtiaq, H., *The administration of the Sultanate of Dehli*, (Lahore, 1944).

[٢] القلقشندي، صبح الأعشى، الترجمة الانجليزية للجزء الخاص بالهند، شتوتجارت ١٩٣٦، ص٧٢؛ العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الترجمة الانجليزية للجزء الخاص بالهند، نشر مجلة الجامعة الإسلامية، ١٩٤٣، ص٣٢.

[٣] أدى ذلك لحدوث سوء فهم لأن الوظائف القضائية، والعسكرية، والتنفيذية لم تكن محددة بشكل جيد. والواقع أن السلطان أو قادته شكلوا محكمة عسكرية لمحاكمة الثوار.

[٤] برني، تاريخ فيروزشاهي، نشر سيد أحمد خان، كلكتا ١٨٦٢، ص٤٨٧.

والمتفحص، الذي يستقصي الحقائق [٥]. وبجانبهم كان هناك موظفين تنفيذيين وكتبة يطلق عليهم (أمراء ومتصرفين) [٦].

وليس لدينا ما يشير إلى أن الحكام العسكريين قد مُنحوا سلطة محاكمة الثوار والمتمردين، كما أن الثوار والأسرى غالبا ما كانوا يرسلون للعاصمة، ولم يكن للحكام سلطة مستقلة للعقاب دون الرجوع للعاصمة [٧]، وفى بعض الحالات كان يتم اعدام الثوار والأعداء في الولايات بعد الحصول على تفويض من العاصمة [٨].

ديوان المظالم

يرجع تاريخ هذا الديوان كمؤسسة منظمة إلى عهد علي بن أبي طالب، وكان الخلفاء العباسيون يجلسون فيه للعامة إما بأنفسهم أو يأمرون وزرائهم بذلك[٩]. وكان الهنود أيضاً يعتبرون أن من مهام حكامهم أن يستمعون إلى الشكاوى على الملأ [١٠]. وقد ذكر مؤلف طبقات ناصري أن هذا الديوان كان يرأسه أميرداد [١١]؛ لكن ذلك كان يتم في الواقع عند عدم حضور السلطان بنفسه[١٢].

وقد ذكر ابن بطوطة أن السلطان محمد بن تغلق كان يستمع لشكاوى رعيته يومي الاثنين والثلاثاء من كل أسبوع. وكانت الشكوى تقدم إلى الحاجب المنوط به النظر فيها، ومن المثير أن نعرف فيروزشاه قبل أن يصبح سلطاناً كان واحداً من هؤلاء الحجاب. وإذا فشل الحاجب في حل الشكوى يتوجه الشاكي إلى قاضي الممالك، وكان السلطان هو الملاذ الأخير لحل الشكوى، ويبدو أن الوصول إليه

---

[٥] برني، تاريخ فيروزشاهي، ص٤٩٧.

[٦] المصدر نفسه.

[٧] برني، تاريخ فيروزشاهي، ص٣٢١.

[٨] المصدر نفسه، ص٣٢٢، ٥٠٤؛ فقد منح محمد بن تغلق عزيز خمّار فيما يبدو سلطة عامة للتعامل مع الثوار. وعزيز خمّار كان والى منطقة دهار، وقد أعدم ثمانين من أمراء الجيش دون محاكمة. انظر: برني، تاريخ فيروزشاهي، ص٥٠٣-٥٠٤. (المترجم)

[٩] جورجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ص١٨٧-١٨٩.

[١٠] المؤسسات السياسية للهندوس، ص١٧٦.

[١١] سوف يتم الحديث عن هذا الموظف لاحقاً.

[١٢] الجوزجاني، طبقات ناصري، ص٢٧٤-٢٧٦.

لم يكن صعباً بدرجة كبيرة [١٣]. وكان على الشكوى أن تستحق العرض على السلطان، فبالنسبة للدائنين مثلاً كان عليهم أن يقدموا للسلطان ما يفيد تعثر المدينين عن سداد دينهم [١٤].

وقد قدم لنا صبح الأعشى وصفاً رائعاً لمجلس المظالم. فقد كان السلطان يجلس على عرشه العالي المرصع بالذهب، ويحيط به حراسه وضباطه، ويجلس بجواره قاضي الممالك ليعطيه النصيحة القانونية، وعندما يعلن الحاجب عن فتح الجلسة كان الشاكون يتقدمون ليعرضوا شكواهم [١٥].

وفي الأيام التي لم يكن السلطان يجلس فيها إلى العامة، كان الحجاب يستقبلون الشكاوى، ثم يسلموها لكبير الحجاب الذي يعرضها على السلطان. وفي عهد إسكندر اللودي [١٦]، كان الوزير هو من يرأس محكمة المظالم، وكان القاضي يقدم له النصائح القانونية ويساعده في ذلك اثنا عشر خبيراً من رجال القانون [١٧]. وكان يمكن للشاكين أن يقدموا شكواهم للسلطان خارج المحكمة، فقد ذكر ابن بطوطة أن السلطان إلتتمش وضع في قصره جرساً به سلسلة، وكان يمكن لأي شاك أن يدق هذا الجرس [١٨].

وكان الولاة مطالبون بالجلوس في محاكم المظالم، وكان يساعدهم صاحب ديوان المظالم والقاضي. وكانت محاكم المظالم تنظر في الشكاوى المقدمة ضد الموظفين. وفي بعض الأحيان كان يتم تسوية النزاعات من قِبل

---

[١٣] ديوان حسن سجزي، ص٤٢؛ ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٢، ص٥٣.

[١٤] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٢، ص٨٤.

[١٥] صبح الأعشى، ص٧٣؛ مسالك الأبصار، ص٣٤، ٤٩-٥١.

[١٦] هو اسكندر شاه بهلول (٨٩٤-٩٢٣هـ/١٤٨٩-١٥١٧م)، أحد حكام أسرة اللودهيين. وينسب اللوديون إلى بهلول اللودي الذي انتزع حكم السلطنة بعد وفاة آخر حكام السادات. ولمزيد عنه انظر: جاكسون، سلطنة دلهي، ص٥٦٣-٥٦٤. (المترجم)

[١٧] داودي، ورقة ٣٦. وقد استخدم المؤلف هنا كلمة دار العدالة. وهذه المصطلحات التقنية يستخدمها المؤلفون الأفغان غالباً بشكل غير صحيح. لأنهم يضعون ببساطة أسماء حديثة لمؤسسات قديمة. وقد استخدم مؤلف مجمل الأخبار (ورقة ٣٩٦أ) كلمة مظالم لهذه المؤسسة في عهد شيرشاه.

[١٨] ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، ج٢، ص٢١.

السلطة التنفيذية. وفي مثل هذه الحالات كان من الممكن للأطراف المتنازعة اللجوء للمحاكم المدنية إذا شعروا بعدم الرضا عن قرار محكمة المظالم.

ديوان القضاء

كان ديوان القضاء يتصل بديواني السياسة والمظالم، لكن كان اهتمامه الأساسي بالدعاوى المدنية. ويمكن أن يقال إن ديوان القضاء كان يتعامل مع القانون العام وديواني السياسة والمظالم مع الدعاوى الإدارية. وكان يرأس ديوان القضاء قاضي الممالك والمعروف أيضا بقاضي القضاة [١٩]، وكان يعرف أيضاً بصدر الصدور. وكان واحداً من أكثر الموظفين أهمية، ونظراً لكثرة المهام الملقاة على عاتقه كان له نائب يساعده، وكان صاحب مقام رفيع أيضاً [٢٠].

وكان قاضى القضاة يتمتع براتب سنوي يقدر ب ٦٠ ألف تنكة خلال عهد محمد بن تغلق [٢١]. وكانت إدارة الشئون الدينية والنظام القانوني تحت سلطته بجانب قيامه بسماع الطعون من المحاكم الدنيا وتعيين القضاة المحليين[٢٢]. وفى البداية كان يجلس كمحكمة من الدرجة الأولى في دلهى لكن بعد ذلك تم تعيين قاض منفصل للعاصمة [٢٣]. وقد تم تعيين ابن بطوطة في هذا المنصب الثانوي وكان يتقاضى ١٢ ألف تنكة في السنة، ونظراً لأنه كان على المذهب المالكي وسكان دلهي على المذهب الحنفي، ولعدم معرفته أيضاً باللغة الهندية، تم تعيين اثنان من القضاة مساعدين له. وكان لقاضى العاصمة مكانة عظيمة، وكان السلطان نفسه يخاطب ابن بطوطة في منصبه الجديد بعبارة سيدنا ومولانا [٢٤].

---

[١٩] وقد ذكر ديوان القضاء في الحوليات مثلما ذكر في الأدب المعاصر. انظر على سبيل المثال: أمير خسرو، خزائن الفتوح، ص٧.

[٢٠] برني، تاريخ فيروزشاهي، ص٣٥١.

[٢١] اليوت، داوسون، تاريخ الهند، ج٣، ص٥٧٨.

[٢٢] إعجازي خسرو، ج٢، ص١٣. وهناك حالة موازية مثيرة للاهتمام في فرمان ألب أرسلان لتعيين قاضي القضاة. انظر: مجمعي مراسلات، ورقة ٨أ.

[٢٣] طبقات ناصري، ص٢٢٠.

[٢٤] ابن بطوطة، ج٢، ص٨١، ٨٢.

القضاة

كان يعتبر من الضروري وجود قاضٍ في كل مدينة، وكان أول عمل إداري دائماً يشمل تعيينه [٢٥]. وفي بداية الإمبراطورية الإسلامية كانت وظيفة القاضي هي تسوية المنازعات، لكن بعد ذلك توسعت اختصاصاته بشكل كبير لنشمل الإشراف على إدارة ممتلكات الأيتام، والمجانين، وتنفيذ الأحكام الأخلاقية، والإشراف على الأوقاف، وكان حتى يساعد الأرامل المعوزات في إيجاد الأزواج المناسبين. وكان مسئولاً عن الحفاظ على الطرق، ومنع التعديات على الطرق العامة والمناطق المفتوحة [٢٦]. وكانت كل ملكية متنازع عليها تودع لدى القاضي أو من يختاره [٢٧].

وكانت مهمة الموظفين والولاة المحليين مساعدة القاضي في الحفاظ على هيبة القانون، والتعاون معه في إعادة الظالمين إلى رشدهم [٢٨]. وكان القضاة يعينون مباشرة من مركز الدولة، وكانوا مستقلين تماماً عن الولاة [٢٩]. وكان القاضي يتخذ قراره وفقاً للشرع والعادة، أو طبقاً لسبب معتمداً على العنعنة [٣٠]. وكانت المرونة في الحالات مسموح بها دون أن يؤدي ذلك لانتهاك القانون. وكان كل المسلمين موثوق في شهادتهم باستثناء المدانين في جرائم خطيرة، أو شهادة زور، أو يتشبه في تحيزهم. وكان يمكن للقاضي أن يتراجع عن حكمه عند ظهور دليل جديد، أو حتى بسبب منطقي من عنده [٣١].

أميرداد

كان أمير داد من الموظفين المهمين الذين يتعلق عملهم بالقضاء. وكان موظفاً هاماً في العاصمة، وله من القوة ما يكفي ليكون له دور في السياسات

---

[٢٥] طبقات ناصري، ص١١٧.

[٢٦] جوجي زيدان، ص١٨٣-١٨٧.

[٢٧] هداية، ص٣٣٦.

[٢٨] رسالة علاء الدين الرومي، زرقة ١١أ؛ رسائل ألب أرسلان، ورقة ٨أ في: مجمع المراسلات، كذلك سياست نامه، ص٣٨.

[٢٩] تاريخ المسلمين، ص٦٢؛ إعجازي خسرو، ج٢، ص١٣.

[٣٠] يقصد هنا علم الإسناد الخاص بالحديث الشريف.

[٣١] رسائل عمر، مجلة الجمعية الملكية الأسيوية (***JRAS***)، ١٩١٠، ص٣٠٧-٣٢٦.

العليا، ومثال ذلك: علي إسماعيل الذي شغل هذا المنصب خلال عهد قطب الدين أيبك، والذي تزعم الحزب الذي دعا إلتتمش لارتقاء عرش دلهي [٣٢].

وفي غياب السلطان كان أمير داد ينوب عنه في رئاسة جلسات محكمة المظالم، وعند وجود السلطان كانت له مهام تنفيذية وإدارية [٣٣]. ومن المؤكد أن من كان يعين في هذا المنصب كان يتم اختياره من الطبقة العليا، ويكون معروفاً بتقواه وعلمه، ويحصل على راتب كبير، لأنه كان يبحث في الشكاوى المقدمة ضد الولاة وكبار القادة [٣٤]. وكان محمد بن تغلق يمنح أمير داد راتباً قدره ٥٠ ألف تنكة في السنة، وكان لهذا الموظف مساعدين في العاصمة وفي الجيش [٣٥].

كان أمير داد ومعاونوه يلعبون دوراً هاماً في إدارة المحاكم التي يترأسها القاضي. وكان هذا الموظف يهتم بالجانب التنفيذي من القضاء، وكانت مهمته أن يتابع تنفيذ قرارات القاضي. كان هو القاضي في هذه المحاكم ليس وفقاً للقانون أو الواقع، بل وفق واجبه الذي كان إنفاذ الحكم [٣٦]. وإذا ما شعر أن هناك تعطيل للعدالة كان يمكنه إما أن يلفت نظر القاضي للحقيقة أو تأخير تنفيذ الحكم حتى يعاد النظر في القضية من محكمة أعلى أو أرفع [٣٧]. وكان مسئولاً أيضاً عن المحافظة اللائقة عن المساجد، والجسور، والمباني العامة، وأيضاً جدران وبوابات المدينة. وكان يسيطر على الكوتوال، والشرطة، والمحتسب [٣٨]. وكانت وظيفته حفظ نسخ من الوثائق المسجلة مع القاضي، ومنع أي عقد يخالف القانون [٣٩].

---

[٣٢] تاريخ مباركشاهي، ص١٦؛ طبقات ناصري، ص١٧٠؛ تاج، ورقة ١٩٥ب.

[٣٣] طبقات ناصري، ص٢٧٤-٢٧٦. وقد أغفل رافرتي كلمة مظالم الهامة في ترجمته. انظر أيضاً: فخري المدبر، آداب الملوك وكفاية المملوك، مخطوطة بالمكتب الهندي رقم (I.O 467)، ورقات ٤٤-٤٦.

[٣٤] آداب الملوك، ورقات ٤٤ب-٤٦ب؛ ابن بطوطة، ج٢، ص٤٨١.

[٣٥] انظر على سبيل المثال: طبقات ناصري، ص١٨٨؛ برني، تاريخ فيروزشاهي، ص ٣٥٨، ٣٦١.

[٣٦] آداب الملوك، ورقات ٤٤ب-٤٥ب؛ إنشائي مهرو، رسالة رقم: ١٩.

[٣٧] آداب الملوك، ورقات ٤٤ب-٤٥ب.

[٣٨] المصدر نفسه، ورقات ٤٥ب-٤٦أ.

[٣٩] آداب الملوك، ورقة ٤٥أ.

النزاعات الدينية

كان يتم اللجوء في النزاعات التي تحدث بين العناصر غير المسلمة إلى المحاكم العادية، والحكم فيها كان يتم فقط وفق القانون العرفي. وفي حالات النزاع بين المسلمين وغير المسلمين كان يتم الحكم فيها وفق مبادئ العدالة. وفي حالات قليلة جداً كان يتم فيها اللجوء للمحاكم لو كان المتقاضيان من الهنود. وبالنسبة لقناصل القرية، فإن وجودهم يرجع لفترة الوجود البريطاني، وطبقة القناصل ما زالت فعالة حتى اليوم.

روح العدالة

كان الأكثر أهمية من تنظيم المحاكم القانونية هو الروح التي تدار بها. وقد روي عن الرسول أنه قال: " لحظة تنفق في إقامة العدل أفضل من عبادة سبعين عاماً "[٤٠]. ويقول نظام الملك في كتابه سياست نامه: " يمكن للسلطان أن يستمر حتى لو لم يؤمن به الناس، لكنه لا يمكن أن يستمر في وجود الظلم"[٤١]. وتعتبر المهمة الأولى للسلاطين هي الحفاظ على العدالة [٤٢].

ولا توجد حكومة في العصور الوسطى نجحت بشكل كامل في القضاء على الفساد والظلم، لكن سلطنة دلهي كان بها إدارة منظمة للعدالة؛ حيث جعلت كل الأعمال العامة وتقسيم المسئولية والسلطة بين موظفين مختلفين، وأسست نظام فعال من الضوابط والتوازنات. وكان اختيار الموظفين بشكل عام يتم وفقاً لعلمهم وتقواهم. ويمكن أن يكون هناك قليل من الشك أن معظمهم التحقوا بعملهم بروح مخلصة. وعندما قام السلطان علاء الخلجي بتعيين قاض مكافأة له لخدماته العامة وليس لشخصيته، ثبت أنه لم يحظ بشعبية كبيرة [٤٣].

---

[٤٠] نهاية الأرب، ص٣٣؛ انشائي مهرو، رسالة رقم ٨٩؛ سيرتي فيروزشاهي، ص١٦١. والنص الصحيح للحديث النبوي الشريف هو: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " عدل ساعة خير من عبادة ستين عاماً". انظر: ابن حجر العسقلاني، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية. (المترجم)

[٤١] سياست نامه، ص٨؛ تاج، ورقة ٩ب.

[٤٢] إنشائي مهرو، الرسالة الأولى؛ حيث أعلن فيروز شاه أن كل طاقته سيوجهها نحو حفظ العدالة في أركان الإمبراطورية الأربعة.

[٤٣] برني، ص٤٤، ٣٥٢.

وقد أعطى بعض السلاطين نماذج مميزة للعدالة. فقد ألحق السلطان بلبن عقوبة صارمة بالحاكم الذي كان مذنباً بالقتل وهو مخمور؛ وكان السلطان محمد بن تغلق مدعياً عليه في محكمة القاضي، وبعد أن ثبتت ادانته أصر على العقاب[٤٤]. وفي الواقع ذكر ابن بطوطة مناسبات عديدة لهذا الحاكم القاسي أبدى فيها تواضعاً شديداً واحتراماً للقانون. ذات مرة قدم أحد النبلاء شكوى للقاضي أن السلطان أعدم أخيه دون وجه حق؛ وقد حضر السلطان للمحكمة أعزلاً قبل أن يحضر القاضي، وحيا الأخير باحترام كبير. وقد تمت ادانة السلطان الذي قام بتعويض النبيل. وكان القاضي قد تلقى تعليمات ألا يقف عند دخول السلطان قاعة المحكمة. وفي مناسبة أخرى أشتكى رجل السلطان أنه مدين له ببعض المال؛ وقد حضر السلطان قبل القاضي ودفع الدين [٤٥].

ولم يتورع فيروزشاه عن إعدام مقرب منه عندما وجد أنه مذنب بالقتل؛ ولم يسمح لمسئول كبير بالدولة أن يهرب من عقوبة الإعدام لقتله طالب غامض كان يدرس لأبنائه، وكان مذنباً بجريمة حب مع امرأة في قصر هذا النبيل [٤٦]. وقد أظهر السلطان تلك القسوة رغم أنه كان يشمئز من عقوبة الإعدام [٤٧]. وعندما أراد جلال الدين الخلجي من سيدي مولا، الذي كان مشتبهاً به بالتآمر والخيانة العظمى، أن يدافع عن نفسه بالمشي خلال النار، رفض رجال القانون الفكرة، وقالوا إن النار لن تميز بين البريء والمذنب. وقد تحرك السلطان قبل القرار، حيث شارك وتواطئ في مقتل سيدي، ورغم أن الجميع كان يعتقد في صحة الادعاء ضد سيدي، إلا أن ما قام به السلطان لم يلق قبولاً شعبياً [٤٨]. وحقيقة كانت هناك أعمال استبدادية غير قانونية، لكنها كانت تتعارض مع الروح الحقيقية للحكومة.

---

[٤٤] برني، ص٤٠، ٤٤، ٤٥؛ ابن بطوطة، ج٣، ص٢٨٥.

[٤٥] ابن بطوطة، ج٣، ص٢٨٥، ٢٨٦.

[٤٦] عفيف، تاريخ فيروزشاهي، ص٥٠٣-٥٠٨.

[٤٧] طبقات أكبري، ج١، ص٢٣٨-٢٣٩؛ إنشائي مهرو، الرسالة الأولى؛ سيرتي فيروزشاهي، ص١٢٠.

[٤٨] برني، ص٢١١-٢١٢؛ ويعتقد عصامي أن سيدي مولا أُعدم دون معرفة السلطان، ص٢١٠.

الحسبة

كان من المتوقع من المحتسب أن يتصدى للممارسات غير القانونية ويعاقب المخطئين؛ وكان يعتبر مدافعاً عن الآداب العامة، وحامياً لحقوق الضعيف ضد القوي [٤٩]. وكان من مهامه أن يتأكد أن الصلوات الجامعة تؤدى بشكل صحيح، وأنه لا يوجد سكير في الأماكن العامة، وأن الخمور والمخدرات لا تصنع أو تباع علانية؛ وأنه لا أحد يغش أو يخدع الآخرين [٥٠]. كذلك منع القمار، والزيجات غير الشرعية، والأعمال البذيئة [٥١].

وكان من المهام الأخرى للمحتسب إلزام المدينين بدفع ديونهم، شريطة أن يكونوا قد قبلوا الالتزام بالدفع وقدرتهم على ذلك. وإذا أنكر المدين الدين أو لم تكن لديه القدرة على الدفع، حينها تذهب المشكلة إلى القاضي لأن المحتسب ليس قاضياً [٥٢].

وقد حدد الفقهاء ولايته القضائية بالحالات التي تنشأ عن مخالفات واضحة فقط؛ فقد كان يستطيع التدخل في مشكلات الديون فقط في حالات تعمد عدم السداد، أو عدم السداد الذي يضر بالدائن. وكان لا يمكنه التدخل في العقود والمعاملات الاقتصادية ما لم يكن هناك دليل على وجود حالة غش. والاختلاف الهام الآخر بين القاضي والمحتسب أن الأخير كان لديه سلطة فورية للتدخل، بينما لا يمكن للقاضي أن يقوم بذلك ما لم يطلب منه الخصوم. فالمحتسب كان موظفاً تنفيذياً بينما كان القاضي قاضياً [٥٣].

وكان من مهام المحتسب أن يحمي العبيد والخدم من سوء المعاملة؛ فكان يمنع السادة من الاستخدام المفرط لخدمهم في العمل؛ وكانت حمايته تمتد للحيوانات المنزلية أيضاً، فكان يمنع تحميلها بأحمال زائدة، أو أن تعمل فوق

---

[٤٩] خزائن الفتوح، ص١٨؛ تاريخ التمدن الإسلامي، ص١٨٩-١٩٠؛ سياست نامه، ص٣٩؛ الأحكام السلطانية، ص٤٢٧-٤٢٨.

[٥٠] الأحكام السلطانية، ص٢٣٩-٢٤١.

[٥١] المصدر نفسه؛ أنظر أيضاً: برني، فتاوى جهانداري، الأوراق ٨،٩.

[٥٢] الأحكام السلطانية، ص٢٢٨-٢٣٠؛ خدابخش، الشرق تحت حكم الخلفاء، ص٢٩٢-٢٩٦.

[٥٣] خدابخش، ص٢٩٢،٢٩٦؛ مجلة الجمعية الأسيوية الملكية (***JRAS***)، ١٩١٦، ص٧٧-١٠١.

طاقتها، أو تَعامل بقسوة [٥٤]. كما كان يقوم بترتيب أمور التمريض ورعاية اللقطاء[٥٥]. وكان يوبخ أو يعاقب معلمي المدارس الذين يضربون تلاميذهم بقسوة[٥٦]. وكان يهتم بالخدمات العامة مثل: إمدادات المياه، حوائط المدينة، وسائل الراحة للمسافرين، وصيانة المباني العامة وكل ما يلفت انتباهه على حد سواء [٥٧].

وكان يعتني بالطرق العامة؛ ويأمر بهدم المنازل المحتمل انهياراها؛ ويتحكم في ارتفاع المباني الجديدة للتأكد من أنها لن تنتهك خصوصية الجيران؛ ويوقف أي عمل يؤدي إلى الإزعاج أو المضايقة [٥٨]. كما كان يفحص السفن قبل إبحارها ليتأكد من أنها آمنة ولا تحمل فوق حمولتها [٥٩]. وكان من واجبه أن يجعل الطرق والمباني العامة مضاءة، وأن الأسواق ودور العجزة مصانة بشكل مناسب، وأن الصرف الصحي يتم بشكل جيد [٦٠]. باختصار، كان المحتسب مسئولاً عن تهيئة سبل الراحة للحياة المدنية في المدينة.

الأخلاقيات العامة

كان المحتسب غالباً يُدعى الرقيب على الأخلاق العامة؛ وهذه التسمية صحيحة إلى الحد الذي جعله لا يسمح بأي انتهاك للقانون. ومع ذلك لم تمنح له سلطة انتهاك خصوصية البيوت، ولم يكن مسموحاً له بالتجسس على الآخرين. كان يهتم فقط بالانتهاكات الصارخة والمخالفات الجسيمة [٦١]. وقد مُنح المحتسب كل المساعدة لأداء واجبه، وخصصت قوة مدنية صغيرة تحت تصرفه [٦٢].

---

[٥٤] مقدمة بن خلدون، ص١٩٦؛ جورجي زيدان، ص١٩٠،١٨٩؛ الأحكام السلطانية، ص٢٤٤،٢٤٣؛ خدابخش، ص٢٩٢-٢٩٦.

[٥٥] خدابخش، ص٢٩٢-٢٩٦.

[٥٦] جورجي زيدان، ص١٩٠،١٨٩؛ مقدمة بن خلدون، ص٢٤٤،٢٤٣.

[٥٧] الأحكام السلطانية، ص٢٤٤،٢٤٣.

[٥٨] جورجي زيدان، ص١٩٠،١٨٩؛ مقدمة بن خلدون، ص١٩٦؛

[٥٩] نفسه.

[٦٠] سيرتي فيروزشاهي، ص١٨٠.

[٦١] الأحكام السلطانية، ص٢٤٤،٢٤٣.

[٦٣] سياست نامه، ص٣٩.

وبغض النظر عن الضرورة الدينية للحفاظ على الأخلاق، سرعان ما أُكتشف أن المسلمين في الهند لا يمكن أن يُسمح لهم بالتراخي في سلوكهم الأخلاقي والروحي دون تعريض وجود السلطنة ذاته للخطر. ونحن نقرأ من البداية أن السلاطين عينوا قضاة ومحتسبين في كل مدينة قرروا أن يضعوا فيها حامية إسلامية، أو ينشئوا مستعمرات إسلامية [٦٣]. وتخبرنا الحوليات على فترات عن التدخل من جانب بعض السلاطين في العادات الجديدة التي كانت تعتبر غير إسلامية أو مخزية، وأن السلطان القوي والعظيم هو الذي يهتم بالحياة الدينية والأخلاقية لشعبه.

وكان بلبن يعتبر أن الحسبة الفعالة ضرورة أولية للحكومة الجيدة؛ وقد قمع علاء الخلجي بكل صرامة شرب الخمار، والقمار، والفواحش الأخرى؛ وقد أوقع محمد بن تغلق العقوبة بمن يقوم بهذه المخالفات بشدته المعتادة [٦٤]. وقد عزا علاء الخلجي تمرد نبلائه وعدم كفاءتهم العسكرية إلى التراخي الذي أصاب أخلاق شعبه، وأن هذا التراخي سيجعل الشدة ضد المهربين وبائعي المسكرات، وحظر زواج المتعة، والعقوبات الرادعة ضد الزنا بلا معنى [٦٥].

وقد واجه الحاكم الخلجي التمرد في الهند وتهديد الغزو المغولي، وكان الإجراء الأول الذي قام به لمواجهة ذلك هو التجديد الأخلاقي لشعبه. وكان علاء الدين محظوظاً في ذلك؛ حيث ساعده في عمله وجود رجل ذا تأثير وقوة روحانية عظيمة في ذلك الوقت، وهو الشيخ نظام الدين [٦٦]. وقد تحدث خسرو بشكل كبير عن الحسبة في عهد علاء الخلجي؛ وفي الواقع، كما سيظهر بعد ذلك، كانت معظم إجراءاته الخاصة تتم وفق تنظيم أكثر كفاءة وهو ديوان الرياسات[٦٧].

---

[٦٣] انظر على سبيل المثال: الجوزجاني، ص١٧٥؛ العتبي، ص٢٨٨؛ تاج، على سبيل المثال: ورقة ٨٥أ.

[٦٤] برني، ص٣٥، ٤١، ٧٢، ٢٨٥ وغيرها؛ صبح الأعشى، ص٦٨؛ مسالك الأبصار، ص٣٨، ٥٢.

[٦٥] المصد نفسه، ص٢٥٨، ٢٩٦، ٣٨٦؛ عصامي، فتوح السلاطين، ص٣٠٥، ٣٠٦.

[٦٦] المصدر نفسه، ص٣٤١-٣٤٨.

[٦٧] خزائن الفتوح، ص١٨،١٩.

وقد أبقى غياث الدين تغلق على الحسبة في مستوى كفاءة عال [٦٨]. وفي عهد ابنه أُعجب ابن بطوطة بالطريقة التي كان يتم بها الالتزام بتطبيق الطقوس الدينية في المحكمة [٦٩]. وكان المحتسب في عهد محمد بن تغلق موظفاً ذو مكانة كبيرة، ويتقاضى راتباً يقدر بثمانية آلاف تنكة [٧٠]. وكان السلطان نفسه في بعض الأحيان يمارس مهام المحتسب، ويختبر المسلمين في القواعد الأولية للإسلام، وإذا فشلوا في الجواب تتم معاقبتهم. فقد كان يعتبر أن الإهمال المتعمد للصلاة جريمة عظيمة وشنعاء يستحق مرتكبيها العقاب [٧١]. وقد تم القبض على سيدة تنتمي للأسرة الملكية بتهمة الزنا، وتم رجمها حتى الموت [٧٢]. وقد أنزل السلطان بالسكارى العقاب بثمانين جلدة والحبس الانفرادي لمدة ثلاثة أشهر [٧٣].

وخلال عهد فيروزشاه، والذي كان إيمانه قوياً أيضاً، لم يهدأ الاحتساب. وفي الواقع أخبرنا السلطان نفسه كيف منع الممارسات غير الشرعية والمكروهة[٧٤]. وخلال فترة الفوضى السياسية التي أعقب موت فيروزشاه لم نسمع كثيراً عن الحسبة. وخلال عهد إسكندر اللودي، والذي كان اهتمامه بالقضايا الدينية وحماسته للإسلام استثنائية، أصبحت الحسبة أقوى من أي وقت مضى في الحكومات السابقة له. فعلى سبيل المثال؛ قام بمنع عادة حمل النذور من مناطق الهند المتعددة إلى قبر القديس المحارب مسعود غاز سالار [٧٥]. كما أحيا أيضاً مرسوم فيروز شاه بمنع النساء من زيارة المقابر.

---

[٦٨] برني، ص١٤٤.

[٦٩] ابن بطوطة، ج٢، ص٣٤.

[٧٠] صبح الأعشى، ص٧٢؛ مسالك الأبصار، ص٣٢.

[٧١] بطوطة، ج٢، ص٣٤،٥٢.

[٧٢] المصدر نفسه، ج٢، ص٥٤.

[٧٣] المصدر نفسه، ج٢، ص١٠٦.

[٧٤] فتوحاتي فيروزشاهي، ص٢؛ إنشائي مهرو، رسالة رقم ٧.

[٧٥] داودي، ورقة ٢٤أ؛ طبقات أكبرين ج١، ص٣٣٦. ومسعود هو ابن أخ السلطان محمود الغزنوي، وصحبه في حملاته على الهند، وبعد وفاته اشتهر كقديس محارب وصار قبره مزاراً للمسلمين من كل أنحاء الهند: لمزيد عنه انظر: (المترجم)

Shahid, Amin, *Conquest and Community: The Afterlife of Warrior Saint Ghazi Miyan*, (University of Chicago Press, 2016), p.12f.

الرأي الديني

من الوظائف الهامة للمحتسب المحافظة على نقاء المذهب السني ومحاربة البدع [٧٦]. لذلك كان يبقي عينه على الوعاظ والمعلمين. وقد قام القرامطة[٧٧] بهجوم دموي على المسجد الرئيسي للإمبراطورية في عهد السلطانة رضية، وقد تصدى له المسلمون السنيون بأنفسهم. وقد كرروا محاولتهم في عهد فيروزشاه الذي حارب هذه الطائفة ويبدو أنه نجح في ذلك [٧٨]. وقام أيضاً باقتلاع الهرطقات المتعددة الأخرى من جذورها [٧٩]. والحركة المهرطقة التي كانت ذات تأثير عظيم هي حركة المهدوي، الذي ظهر في عهد السلطان إسلام شاه سور، وقد قام هذا السلطان أمام إصرار رجال الدين من حاشيته بإعدام شيخ علائي، الذي كان ذا شخصية نقية وشجاعة ومثيرة للإعجاب [٨٠]

ولم يكن المحتسب يستطيع التدخل في الحياة الدينية لأهل الذمة، وكان يمكنه فقط التدخل عندما يتم إهانة الدين الإسلامي، مثل حالات إهانة بعض الرسل. وكان من مهامه أن ينظر هل خرق أهل الذمة الشروط التي قبلوا بها وقت الفتح؛ وكان مسئولاً عن التزام المسلمين بعهودهم [٨١]. وعندما أراد السلطان إسكندر اللودي، مدفوعاً بحماسته، أن يحطم المعبد القديم، ويمنع الحجاج الهنود من الاستحمام في الماء المقدس، منعه ملك العلماء عبد الله أجوذني [٨٢] الذي

---

[٧٦] فتاوى جهانداري، ورقة ٩أ؛ سوسيولوجيا الإسلام، ج١، ص٣٦٩، ٣٩٧.

[٧٧] المقصود بهم هنا الإسماعيلية وليس القرامطة. راجع المقال السابق. (المترجم)

[٧٨] فتوحاتي فيروز شاهي، ص٧.

[٧٩] فتوحاتي فيروز شاهي، ص٧-١٠؛ سيرتي فيروزشاهي، ص١٢٨.

[٨٠] بداوني، منخب التواريخ، ج١، ص٣٩٤-٤٠٩. كان اتجاه الدولة واضحاً فيما ذكره فيروزشاه: "لا توجد في إمبراطورية الهند مذاهب مخالفة، بل يوجد فقط مذهب أهل السنة والجماعة. وفيما يخص المشركين الذين يعيشون معنا، فمن قبل منهم أن يدفع الجزية يترك ليعيش بحرية، أما الآخرين فيتم قتالهم". انظر: سيرتي فيروزشاهي، ص١٢٨.

[٨١] جورجي زيدان، ص١٨٩، ١٩٠.

[٨٢] هو واحد من أشهر علماء الشريعة الإسلامية في سلطنة دلهي، وعاش في عصر اللوديين، ولمزيد عنه انظر:

Khan, Iqtidar, *Historical dictionary of medieval India*, (Maryland, 2008), p.11. (المترجم)

عرض حياته للخطر دفاعاً عن حقوق أهل الذمة [٨٣]. ولم يكن مسموحاً للهندوس أزياء تتعارض مع الشريعة الإسلامية [٨٤].

وكان فيروزشاه هو المثال الفردي للحاكم المسلم الذي اعترض على التبشير بالمذاهب الهندوسية وتحويل المسلمين لها، وقام بإنزال عقوبة صارمة على البراهمة الذين لم يقنعوا فقط بعض المسلمين بالتحول لعبادة الأصنام، لكن أيضاً أقنعوا بعض النساء المسلمات بالارتداد عن الإسلام [٨٥].

ولم يتدخل أي حاكم مسلم في الدعاية الدينية للهندوس بين شعبهم، وأدى الاتصال بالإسلام لظهور حركة إحيائية هندية كبيرة بزعامة زعماء حركة البهاكتي[٨٦]، التي تركت تراثاً من الشعر الجميل والعبادة الصوفية. ولم يكن كبير (شاعر وصوفي هندي) هو المسلم الوحيد الذي تأثر بعمق بتعاليم المذاهب البهكتية. ولا يوجد أي ذكر لمحاولة منع نشر تعاليم هذا المذهب الهندوسي بين المسلمين، بل إن البعض منهم اعتنق المذهب وصاروا من تلاميذ معلمي هذه الديانة الهندوسية [٨٧]. وقد دعا السلطان محمد بن تغلق الجوگيز[٨٨] إلى مجلسه الخاص وأولى اهتماماً كبيراً بطقوسهم[٨٩]. وقد اعترض السلطان على طائفة الاباحيين البغيضة [٩٠].

---

[٨٣] تاريخ داودي، ورقة ١٩.

[٨٤] فقهي فيروزشاهي، الأوراق ٤١٨-٤٢١.

[٨٥] عفيف، ص٣٧٩-٣٨٢.

[٨٦] تشير حركة البهاكتي إلى الاتجاه الديني الإلهي الذي ظهر في الهندوسية في القرون الوسطى ثم أحدث ثورة في السيخية. وقد نشأت في جنوب الهند في القرن الثامن الميلادي ثم انتشرت بعد ذلك في الشمال. ولمزيد عنها انظر:
Khan, *Historical dictionary of medieval India*, p.41-42. (المترجم)

[٨٧] تعاليم وحج .....، ص٢٢٥-٢٢٩؛ أنظر أيضا: خصائص المجتمع البنغالي، ص٩٩.

[٨٨] هي طائفة من الهنود كانت تمارس رياضة اليوجا كجزء من طقوس حياتها اليومية. (المترجم)

[٨٩] ابن بطوطة، ج٢، ص١٠٢.

[٩٠] وهي طائفة كانت تبيح العلاقات الجنسية بين المحارم. انظر: خسرو، خزائن الفتوح، ص٢٨.

ديوان الرياسة

كان المحتسب بوصفه مدافعاً عن مصالح الناس يشرف على الأسواق ويفحص المكاييل والموازين؛ وكان يعاقب المطففين في الموازين والذين يغشون الطعام [٩١]. وكان الإشراف على السوق يسند غالباً لموظف تابع للمحتسب يسمى الرئيس، والذي كان أيضاً مسئولاً عن تحديد أسعار عادلة. لذلك كانت مصالح المنتج والمستهلك في أمان [٩٢]. ولذا كان من المفروض أن يكون لديه معرفة خبيرة وتامة بالأسواق، وأيضاً فهم قوانين العرض والطلب [٩٣]. وكان هذا الديوان يسمى ديوان الرياسة أو العدل [٩٤].

كانت وظيفة المُعدِلين في عصر الخلافة هي تسجيل الوثائق، وإبلاغ المحاكم بسوابق الرجال المطلوبين للإدلاء بشهادتهم [٩٥]. وفي عصر السلاطين انتقلت مهام هذه الوظيفة إلى الدادبك (أميرداد)، لذلك صار مصطلح عدل يتعلق بوظائف ديوان الرياسة. وكان الاهتمام بالتجارة في السلطنة معروفاً منذ بدايتها المبكرة؛ فقد أصدر السلطان قطب الدين أيبك تعليماته للولاة بتشجيع التجارة [٩٦]. وكانت وظيفة الرئيس موجودة منذ بداية السلطنة، لذلك كان يتم الحفاظ دائماً على نوع من التحكم في الأسعار؛ لكن من المحتمل أن هؤلاء الموظفين كانوا يتدخلون فقط عندما تستغل طوائف التجار والحرفيين الاحتكار للإضرار بالناس.

وفي ضوء هذه المعلومات من السهل أن نفهم نجاح علاء الخلجي في تخفيض الأسعار لمستوى محدد والمحافظة عليه. كان ديوان الرياسة أداة فعالة

---

[٩١] سياست نامه، ص٤٩؛ الأحكام السلطانية، ص٢٣٩-٢٤١؛ جورجي زيدان، ص١٨٩، ١٩٠؛ فتاوى جهانداري، ورقات ٩١أ-٩٢أ؛ خزائن الفتوح، ص١٧. وقد نتج عن سياسة علاء الخلجي استخدام الموازين الحديدة المختومة بختم ديوان الرياسة.

[٩٢] سياست نامه، ص٤٩؛ فتاوى جهانداري، ورقات ٩١أ-٩٢أ؛ خزائن الفتوح، ص١٧. وفي بعض الأحيان كان المحتسب نفسه يعمل كرئيس. انظر على سبيل المثال: ابن بطوطة، ج٢، ص٢٦. وعلى اعتبار أن المصطلحين كانا في بعض الأحيان مترادفين، فإن المتحكم في الأسواق كان غير مسلم ولا يمكنه القيام بالمهام الدينية للمحتسب.

[٩٣] أدب الملوك، ورقة ٤٦أ؛ فتاوى جهانداري، ورقات ٩١أ-٩٢أ.

[٩٤] برني، ص٣٨٥؛ البيهقي، ص٣٥٢؛ خزائن الفتوح، ص١٧، ٢٢.

[٩٥] مقدمة بن خلدون، ج٢، ص٣٢

[٩٦] تاج المآثر، ورقة ٧٢أ.

للسيطرة الاقتصادية. ولا تكمن عظمة علاء الخلجي في إنشاء هذا الديوان، بل في تطويره وزيادة فاعليته. وقد رفع من قيمة الذهب في خزائنه عن طريق تفيض أسعار السلع واستقرارها عند مستوى منخفض. وقد كان محظوظاً في اختياره للرئيس، لأنه كان على اطلاع كامل على الأسواق، وفعال وصارم للغاية. ومع ذلك لم يترك السلطان الأمور كلها في يد يعقوب (الرئيس الجديد)، لكنه كان دائماً على اطلاع بكافة الأمور. وتم تعيين عدد كبير من المراقبين لفرض المستوى الجديد من الأسعار. وقد استخدم السلطان والرئيس الجواسيس لاكتشاف أي خرق لهذه القواعد. وقد تم استخدام الأطفال الأبرياء، والعبيد، والجواسيس المحترفين للكشف عمن يخرق هذه القواعد. وعندما كان يتم اكتشاف أحدهم كانت العقوبة رادعة جداً [٩٧].

ولكن لا يمكن لأي قدر من التجسس أو المراقبة أن ينجح إذا لم يتم اتخاذ خطوات عملية أكبر. أولاً، تم اتخاذ إجراءات للمحافظة على إمداد الأسواق بالمواد الغذائية الضرورية بالأسعار الجديدة. ثانياً، أصبحت الدولة تحصل على نصف محصول القمح بشكل عيني، وهذا القمح كان يتم تخزينه في صوامع للغلال، وبذلك صارت الدولة من أكبر تجار القمح. وكان يترك للفلاح قدر كبير من القمح يكفيه طوال العام، وكان عليه أن يبيع باقي المحصول للتجار المرخص لهم بالأسعار التي تحددها الدولة. ثالثاً، تم اعتبار أن قيام أي تاجر بتخزين القمح بكمية أكبر من الكمية المفترض أن يشتريها خلال فترة معينة جريمة جنائية. كما لم يكن مسموحاً للمستهلك أن يشتري أي كمية زائدة عن حاجته.

وكان يتم تسجيل كل التجار والحمالين، وكان يتم الاحتفاظ بعائلاتهم كرهائن في دلهي أو المناطق المجاورة لها. وكان يتم احتجازهم جماعياً إذا ما قام أحد أفراد أسرتهم بارتكاب أي جريمة. وكان يتم تشجيع الفلاح على احضار انتاجه إلى السوق، لكي يرى إذا كان التاجر قد ترك له هامش ربح عادل. ولم يكن مسموحاً بتجارة القمح إلا في الأسواق المرخصة أو الخاضعة للإشراف. لذلك ومع التحكم في الامداد والطلب والنقل، نجحت الدولة في المحافظة على سعر منخفض للقمح.

---

[٩٧] برني، ص٣١٦-٣١٩؛ عصامي، ص٣٠٧؛ ابن بطوطة، ج٢، ص٢٦.

وقد تم اتخاذ إجراءات مماثلة لمعالجة أسعار السلع الأخرى. كما كان هناك المندوي المختص بتجارة الذرة، وقد أنشأ السلطان سوقاً كبيرة تسمى سراي عدل، حيث كانت تباع الملابس والسلع المختلفة الأخرى. وكانت الصعوبة الأساسية هنا أن الدولة لم تكن بنفس الوضع المميز كما في تجارة الذرة؛ حيث لم تستطع أن تسيطر على المورد الرئيسي في يدها، ولا استطاعت تحديد السعر في المصدر في بعض السلع المستوردة. وهذه العوامل بالتأكيد تم وضعها بالاعتبار عند تحديد الأسعار.

كانت المؤن تؤمن عن طريق تسجيل التجار ومنحهم المال ليخزنوها في الأسواق جيداً. والخطوة التالية كانت تخفيض الطلب عن طريق تقنين البضائع، حيث لم يكن مسموحاً لأي أحد أن يشتري دون تصريح من الرئيس، الذي يمنحه وفقاً لمعيار ثابت. وهذا الانخفاض في الطلب يجب أن يكون قد أثر على السوق المحدودة في العصور الوسطى بشكل كبير وخفض الأسعار [٩٨].

وفي الواقع كان الاقتصاد هو شعار عهد علاء الخلجي. وكان السلطان متهماً بالبخل في التعامل مع العلماء والموهوبين. والإجراءات الاقتصادية نفسها التي فرضها على شعبه لم تكن مجرد نزوة بل كانت للمصلحة العليا للناس [٩٩]. وقد اتخذ السلطان الإجراءات نفسها لتأكيد الحصول على الإمدادات من الخيول بأسعار رخيصة من أجل جيشه؛ وكان السلطان غالباً ما يفحص الخيول بنفسه، ويعاقب الذين يبدلون الأسعار عن الأسعار المحددة. والنتيجة العامة لكل هذه الخطوات هي أن السلطان نجح في تخفيض الأسعار إلى مستوى مرضي؛ واستطاعت خزانته تمويل ليس فقط الإجراءات الدفاعية ضد المغول، ولكن أيضاً حملاته التوسعية في الدكن والتي تكلفت نفقات باهظة [١٠٠].

وقد توقف نظام علاء الدين في عهد قطب الدين مباركشاه، ليس فقط لأن الأخير لم يكن قادراً على مواصلة هذه الجهود، لكن أيضاً لأنه لم يواجه نفس

---

[٩٨] برني، ص٣٠٤-٣١١٩؛ خزائن الفتوح، ص٢٢-٢٤؛ تاريخ ألفي، ج٢، ورقة ٣٢ب.

[٩٩] برني، ص٣٦٥، ٣٦٦.

[١٠٠] برني، ص٣١٢-٣١٤؛ ٣٤٠-٣٤١.

المشاكل، ولا استمر ديوان الرياسة في عمله [١٠١]. وبعد فترة الفوضى السياسية، وعندما وضع إسكندر اللودي الحكم على أساس سليم، وجدناه يهتم بمشكلة الأسعار؛ فقد كان يقرأ التقارير اليومية عن الأسواق التي تأتيه من مختلف أنحاء مملكته [١٠٢]. وقد ظهر اهتمامه بالاقتصاد في قيامه بوضع مستوى جديد للمكاييل والموازين استمر بعده لفترة طويلة.

وقد حافظ السور [١٠٣] أيضاً على ديوان الرياسة؛ وهيمو [١٠٤] الذي ارتقى لقيادة الجيش في عهد عدلي [١٠٥] كان في وقت من الأوقات مراقب على الأسواق[١٠٦]. وتُظهر حقيقة أن الأسعار كانت منخفضة جداً والسلع وفيرة في عهد اللوديين، مع استمرار ديوان الرياسة في عمله، أن النظام المؤسسي في سلطنة دلهي كان عميق الجذور [١٠٧].

الشرطة

كان السلاطين منذ بداية سلطنة دلهي حريصين على حفظ الأمن في مملكتهم [١٠٨]. وكانت مهام إدارة الشرطة يقوم بها الكوتوال؛ وهو أشبه بصاحب الشرطة في عصر الخلفاء [١٠٩]. وكانت دورياته تجوب المدينة ليلاً وتحرس

---

[١٠١] وهناك اشارات متعددة عن وجود تحكم في الأسواق في عهد قيروزشاه. انظر على سبيل المثال: انشائي مهرو، الرسائل رقم: ٢٠، ٣٠. وقد استوردت الدولة الزيت لكسر احتكار التجار الذين خزنوا السلع في الولايات. انظر: المصدر نفسه، رسالة رقم ٣٠.

[١٠٢] داودي، ورقة ٢٥أ.

[١٠٣] السور إمبراطورية إسلامية أسستها أسرة من قبائل الباتشو الأفغانية، وقد حكمت شمال الهند لمدة ١٦ عاماً (١٥٤٠-١٥٥٦)، ولمزيد عنها انظر:

Hartel, H., *The Last Great Muslim Empires*, (Brill, 1997). pp. 262–263.

[١٠٤] كان رئيس وزراء والقائد العام لجيش السلطان علدي شاه. ولمزيد عنه انظر:

Sarkar, J., *Military History of India*, (Orient Longmans, 1960). pp. 66–69.

[١٠٥] هو عدلي شاه الحاكم السابع وآخر حكام اسرة السور. ولمزيد عنه انظر:

Majumdar, R., *The Mughal Empire*, (Mumbai, 2007), pp.94–96

[١٠٦] طبقات أكبري، ج٢، ص١١٩.

[١٠٧] داودي، ورقات ٢٤أ، ٦٣ب.

[١٠٨] انظر على سبيل المثال: تاج المآثر، ورقات ٨٠ب، ٨٤ب، ١٤٩أ، ١٥٦ب.

[١٠٩] يسمى أيضاً شحنه. انظر على سبيل المثال: كلياتي حسن سجزي، ص٤٢؛ ابن بطوطة، ج٢، ص٢٢.

الطرقات، وكان يعمل بمعاونة الأهالي، حيث كان يعين مرشد في كل حي ليتأكد من عدم وجود جرائم. وكان يحتفظ بسجل لسكان كل حي، وكان على علم بأنشطتهم ووسائل معيشتهم، وكذلك كل مغادر أو قادم جديد للحي [١١٠]. وكانت سلطته تمتد أيضاً للمناطق الريفية [١١١]. كما عمل أيضاً كقاضي للجرائم [١١٢]. ولم يكن الكوتوال موظفاً عسكرياً، فسلطته بالضرورة كانت مدنية في طبيعتها، ورغم أن المصطلح استخدم بمعنى حاكم عسكري لحصن، لكنه كان ضمنياً موظف مدني بسلطات عسكرية [١١٣].

كان القانون الجنائي صارماً والعقوبات رادعة [١١٤]. وفي بعض الأحيان في حالات التمرد أو السلوك الشائن كان يطاف بالجاني في طرقات المدينة [١١٥]. وكانت حياة المتمرد وثروته تحت رحمة السلطان، وكان معلوماً جيداً أن المتمرد يخاطر وعيونه مفتوحة (بمعنى أن يكون حريصاً جداً) [١١٦]. وكان علاء الخلجي أول من وضع في دلهي نظاماً قاسياً لمعاقبة أسرة المتمرد [١١٧].

كان قانون العقوبات الشرعية يطبق على الجرائم التي تخضع لسلطة القاضي. ولم يكن التعذيب من أجل الحصول على اعتراف معروفاً قبل علاء الدين؛ وقد أوقفه فيروزشاه [١١٨]. وكان يتم عمل تحقيق عند وفاة شخص غريب وتحرر وثيقة بتوقيع رجل معروف من المنطقة لتأكيد أنه لا توجد شبهة خطأ في

---

[١١٠] عين أكبري، ج٣، ص٤. وقد تغيرت بعض الوظائف في عصر المغول.

[١١١] دستور الألباب في علم الحساب، ص٣١.

[١١٢] الشرق في عصر الخلفاء، ٢٢٦، ٢٢٧؛ تاريخ المسلمين، ص٦٣، ٤١٩.

[١١٣] انظر على سبيل المثال: برني، ص١٣٥-١٣٦. وعن كوتوال كقاءد عسكري انظر المصدر نفسه، ص٣٠٢؛ تاج المآثر، ورقة ٨٢أ.

[١١٤] انتقلت معظم الأشكال القاسية للعقوبات ضد الجرائم السياسية للعالم الإسلامي في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي من الإمبراطورية البيزنطية. ميتز، ص٣٦٧.

[١١٥] انظر على سبيل المثال: برني، ص١٠٨.

[١١٦] انظر على سبيل المثال: برني، ص٢٧٦.

[١١٧] المصدر نفسه، ص٢٣٥.

[١١٨] فتوحاتي فيروزشاهي، ص٢-٥. والشرع يمنع انتزاع الاعتراف بالتعذيب أو التخويف، والاعتراف الذي يتم تحت التهديد أو التعذيب لا يعتد به كدليل. ميتز، ص٣٧٠.

الوفاة [١١٩]. وحيث أن فيروزشاه لم يشر إى ذلك في إصلاحاته، فإن هذا النظام ربما كان موجوداً قبله.

وفي بعض الأحيان كان هناك شخص يشغل منصبين أو أكثر من الوظائف التي ناقشناها في هذا الفصل، لكن ذلك كان يكون أكثر بشكل عام في المدن الصغيرة.

[١١٩] تاريخ مباركشاهي، ص١٤٠، ١٤١.